

تأليف فضيلة الشيخ

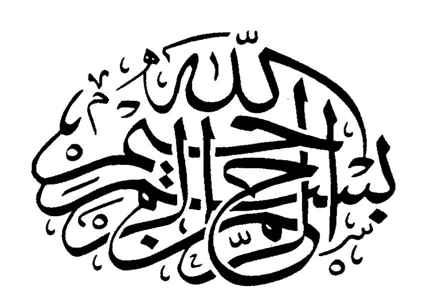
عبد الرحمن الوكيل

رحمه الله

اعتنى به، وعلق عليه

رامي إبراهيم السيد البنا





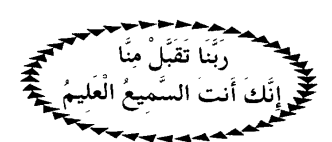
هذه هي الصوفية



هذه هي الصوفية

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦





مقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له . .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ .

[آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾

[النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أما بعد . .

فبين يديك - أخي المسلم - كتاب « هذه هي الصوفية » لمؤلفه فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل؛ قد غاص فيه بحراً متلاطم الأمواج، وشرَّح جسد الصوفية، بعقيدته الراسخة، وملكته الفلسفية، ولغته الرصينة، وبيانه الرائع، فحقق فيه ودقق، وناقش وردّ، وكشف فيه كل قولٍ فاسد، ورمى بسهامه كل عينٍ لحاقد، فأتى على بنيانهم من القواعد.

وقد عُهد إليَّ بمراجعته والتعليق عليه، فشمَّرت عن ساعد الجدَّ، وشرعت مستعينًا بالله وقد قسمت العمل فيه كالآتي:

القسم الأول: مدخل إلى الكتاب، وفيه مبحثان:

الأول: في بيان بعض الأحكام المتعلقة بقضايا الكفر والإيمان، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: خطورة التسرع في التكفير.

المطلب الثاني: الفرق بين التكفير المطلق، وتكفير المعين.

المطلب الثالث: شروط تكفير المعين.

المطلب الرابع: موانع تكفير المعين.

المطلب الخامس: ملاحظات حول الكتاب.

المبحث الثاني: دراسة حول الكتاب، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الكتاب.

المطلب الثاني: المحور الذي يدور حوله الكتاب.

المطلب الثالث: ترجمة المؤلف.

المطلب الرابع: منهج المؤلف.

القسم الثاني: متن الكتاب مزوّد بالتعليقات

ولا أنسى أن أشكر لوالدي الحبيب، وشيخي الفاضل؛ فضيلة الشيخ: محمد بن إسماعيل المقدَّم، على ما بذله لي من النصح والتشجيع، وتفضّله عليَّ بمراجعة المقدمة، فجزاه الله خيراً، وبارك في عمره.

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم.

وكتب

رامي بن إبراهيم بن السيد البنا

القسم الأول :

المبحث الأول

المطلب الأول: خطورة التسرع في التكفير
المطلب الثاني: الفرق بين التكفير المطلق وتكفير المعين
المطلب الثالث: شروط تكفير المعين
المطلب الرابع: موانع تكفير المعين
المطلب الخامس: ملاحظات حول الكتاب

المطلب الأول:

خطورة التسرع في التكفير

إن الحكم بالكفر على مسلمٍ حكمٌ خطير، ومسلكٌ وعر، لا يجوز لأحدٍ أن يقدم عليه إلا أن يكون عالمًا به، حاذقًا بأحكامه وشروطه، وإن خطورة التكفير تتبين من آثاره، فلا يكفر المسلم إلا بعد برهان ساطع، ودليل قاطع؛ ولذلك نهى الإسلام عن التعجّل في الحكم بالكفر، ولأن يخطئ الإنسان في السلامة خير له من أن يخطئ في العقاب.

ومن النصوص التي وردت في خطورة الحكم بالكفر:

ما جاء عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»[١].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد جاء بها أحدهما»[٢].

وعن أبي ذر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «... ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه»[٣].

فإن في هذه الأحاديث وما شابهها أعظم زاجر، عن التسرع في التكفير وإطلاقه دون روّية أو نظر، فقد سماه النبي ﷺ تارة كفرًا، وأخرى ساواه بقتل المسلم؛ ذلك لأن التكفير حقٌ خالصٌ لله - تَعَالَى -، ولو أن مسلمًا كَفَّرَ أخاه؛ فمعنى ذلك أنه حكم عليه بحبوط عمله، واستحقاقه دخول النار خالداً مخلداً فيها، هذا في الآخرة، أما في الدنيا؛ فإنه يلزم منه أمور:

---

[١] رواه البخاري (٦١٠٣، ٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).
[٢] رواه البخاري (٦١٠٥).
[٣] رواه البخاري (٦٠٤٥)، ومسلم (٦١) وهذا لفظه.

١- زوال عصمة دمه وماله وعرضه، فليس على قاتله قصاص.

٢- انفساخ عقد زواجه، وتحريم بقائها وأولاده تحت سلطانه وولايته.

٣- وجوب محاكمته لتنفيذ حد الردّة عليه بعد إقامة الحجة والاستتابة.

٤- إذا مات فلا تجري عليه أحكام المسلمين؛ فلا يغسل ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث.

وهذه الأحكام الخطيرة توجب على من يتصدى للحكم بتكفير خلق الله؛ أن يتريث مرات ومرات، قبل أن يقول ما يقول[١].

قال ابن حجر الهيتمي:

«ينبغي للمفتي أن يحتاط في التكفير ما أمكنه لعظيم خطره، وغلبة عدم قصده، سيما من العوام، وما زال أئمتنا على ذلك قديمًا وحديثًا»[٢].

وقد كان من أشد العلماء احترازاً وإنصافًا وعدلاً؛ شيخ الإسلام وعلم الأعلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -، الذي طالما حذر من التسرع في التكفير، يقول عن نفسه:

«هذا، مع أني دائمًا - ومن جالسني يعلم ذلك مني - أني من أعظم الناس نهيًا عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية، التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقًا أخرى، وعاصيًا أخرى»[٣].

* أهل العلم يخطِّئون ولا يكفِّرون:

قال شيخ الإسلام: «من عيوب أهل البدع: تكفير بعضهم بعضًا، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطِّئون ولا يكفِّرون»[٤].

---

[١] انظر: ظاهرة الغلو في التكفير: د. القرضاوي، ص (٢٣ - ٢٤).
[٢] المرجع السابق، ص (٦٨).
[٣] مجموع الفتاوى، (٣/ ٢٢٩).
[٤] منهاج السنة النبوية (٥/ ٩٢).

لذا ينبغي لمن يقدم على هذا الأمر ألا يتعجل، فبمجرد أن يسمع كلمة قالها رجل، يطير بها في الآفاق؛ فلابد من تعلم الأحكام الشرعية الخاصة به.



المطلب الثاني:
الفرق بين التكفير المطلق وتكفير المعين

إن من القواعد المقررة عند أهل السُّنَّة والجماعة؛ أنهم يفرقون بين إطلاق التكفير وبين تعيين التكفير في حق شخص بعينه.

فإن التكفير المطلق: هو الحكم بالكفر على القول أو الفعل، أو الاعتقاد الذي ينافي أصل الإسلام ويناقضه، وعلى فاعل ذلك على سبيل الإطلاق، بدون تعيين.

أما تكفير المعين: فهو الحكم على الفرد المعين بالكفر؛ لإتيانه بأمر يناقض الإسلام، بعد استيفاء شروط التكفير فيه، وانتفاء موانعه[١].

ولا فرق في ذلك بين أصول الدين وفروعه؛ يقول شيخ الإسلام - رحمه الله -:

« وكنت أبين لهم أنما نقل لهم عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق؛ لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين. وهذه أول مسئلة تنازعت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار وهي مسئلة « الوعيد » فإن نصوص القرآن في الوعيد مطلقة كقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾ [النساء: ١٠]، وكذلك سائر ما ورد: من فعل كذا فله كذا، فإن هذه مطلقة عامة.

وهي بمنزلة قول من قال من السلف: من قال كذا، فهو كذا. ثم الشخص المعين يلتغى حكم الوعيد فيه: بتوبة، أو حسنات ماحية، أو مصائب مكفرة أو شفاعة مقبولة.

[١] انظر: منهج ابن تيمية في التكفير (١/ ٣٧)، والغلو للويحق، ص (٣١١).

والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيبًا لما قاله الرسول ﷺ؛ لكن قد يكون الرجل حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها؛ وإن كان مخطئًا.

وكنت دائمًا أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: «إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في اليم، فوالله لإن قدر الله على ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا من العالمين. ففعلوا به ذلك، فقال الله له: ما حملك على ما فعلت. قال خشيتك: فغفر له».

فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذُرِيَ؛ بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفرٌ باتفاق المسلمين؛ لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمنًا يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك.

والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول ﷺ أولى بالمغفرة من مثل هذا»[١].

وقال أيضًا:

«فإن خصوص الوعيد التي كانت في الكتاب والسنة، ونصوص الأئمة بالتكفير والتفسيق ونحو ذلك لا يستلزم ثبوت موجبها في حق المعين، إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، لا فرق في ذلك بين الأصول والفروع»[٢].

وهذا لا يعني أن نمنع من إطلاق اسم الكفر على من أطلقه الشارع عليه، بل يجب ذلك؛ لأنه حكم أطلقه الشارع فيجب أن نطلقه؛ يقول شيخ الإسلام:

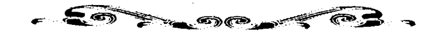
---

[١] مجموع الفتاوى، (٣/ ٢٣٠ - ٢٣١).
[٢] مجموع الفتاوى، (١٠/ ٣٧٢).

« فهذا الكلام يمهد أصلين عظيمين:

أحدهما: أن العلم والإيمان والهدى فيما جاء به الرسول، وأن خلاف ذلك كفر على الإطلاق؛ فنفي الصفات كفر، والتكذيب بأن الله يرى في الآخرة، أو أنه على العرش، أو أن القرآن كلامه، أو أنه كلم موسى، أو أنه اتخذ إبراهيم خليلاً كفر، وكذلك ما كان في معنى ذلك، وهذا معنى كلام أئمة السُّنَّة وأهل الحديث.

والأصل الثاني: أن التكفير العام - كالوعيد العام - يجب القول بإطلاقه وعمومه »[١].



[١] مجموع الفتاوى، (١٢/ ٤٩٧، ٤٩٨).

المطلب الثالث:

شروط تكفير المعين

الشرط الأول
أن يقصد المعين بكلامه المعنى المكفِّر

لما كان التكفير حكمًا شرعيًا يتحرى في إطلاقه على المعين التيقن من كفره وردته، كان لزامًا معرفة قصد المعين، والتزامه بالمعنى الكفري، أو عدم التزامه؛ وذلك لأن بعض الألفاظ تكون متشعبة المعاني، فربما قصد المعين من لفظ معنى غير المعنى الكفري، أو قال قولاً يستلزم أموراً مكفرة لم يقصدها، ولا يلتزمها. فمن كان هذا حاله يكون رميه بالكفر أمراً مشكوكًا، لا يجوز التجرؤ عليه[١].

● ذكر ذلك شيخ الإسلام ضمن كلامه على الألفاظ التي تستلزم أموراً كفرية، وأنها لا تلزم القائل إذا لم يلتزمها، وكان ذلك من جملة إجابته على سائل نظم سؤاله في أبيات، فقال:

« ويقول المثبت: نفي مباينته للعالم وعلوه على خلقه باطل، بل هذه الأمور مستلزمة لتكذيب الرسول فيما أثبته لربه، وأخبر به عنه، وهو كفر أيضًا، لكن ليس كل من تكلم بالكفر يكفر، حتى تقوم عليه الحجة المثبتة لكفره، فإذا قامت عليه الحجة كفر حينئذ، بل نفي هذه الأمور مستلزم للتكفير للرسول فيما أثبته لربه وأخبر به عنه، بل نفي للصانع وتعطيل له في الحقيقة. وإذا كان نفي هذه الأشياء مستلزمًا للكفر بهذا الاعتبار، وقد نفاها طوائف كثيرة من أهل الإيمان، فلازم المذهب ليس بمذهب، إلا أن يستلزمه صاحب المذهب؛ فخلق كثير من الناس ينفون ألفاظًا أو يثبتونها،

[١] منهج ابن تيمية، (٢/ ٢٠٩).

بل ينفون معانٍ أو يثبتونها، ويكون ذلك مستلزمًا لأمور هي كفر، وهم لا يعلمون بالملازمة بل يتناقضون، وما أكثر تناقض الناس، لا سيما في هذا الباب، وليس التناقض كفرًا.

ويقول الناظم: أنا أخبرت: أن من قال ذلك هو مفتون وفاتن. وهذا حق؛ لأنه فتن غيره بقوله، وفتنه غيرُه، وليس كل من فتن يكون كافراً.

وادعيت أن من قال ذلك كان قوله مستلزمًا للتعطيل، فيكون الكفر كامنًا في قوله، والكامن في الشيء لا يجب أن يكون ظاهرًا فيه، ولو كان الكفر ظاهرًا في قوله للزم تكفير القائل، أما إذا كان كامنًا وهو خفي لم يكفر به من لم يعلم حقيقة ما تضمنه من الكفر، وإن كان متضمنًا للكفر، ومستلزمًا له»[١].

ولا يكفّر المعين – أيضًا – بما لا يقصده، كأن يطلق لفظًا دالاً على معنى هو يدل على معنى آخر مكفِّر – فهذا لا يكفَّر إلا إذا قصد المعنى المكفِّر.

وقد ضرب شيخ الإسلام – رحمه الله – مثالاً لذلك، فقال ضمن رده على من زعم أن الرجل يكفر إذا عبر بعبارة يقال إنها سيئة:

«بل هم مجمعون – يعني أئمة المسلمين – على نقيضه وأن المسلم إذا عنى معنى صحيحًا في حق الله – تعالى – أو الرسول ﷺ ولم يكن خبيرًا بدلالة الألفاظ، فأطلق لفظًا يظنه دالاً على ذلك المعنى، وكان دالا على غيره أنه لا يكفر، ومن كفّر مثل هذا كان أحق بالكفر، فإنه مخالف للكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين، وقد قال تعالى: ﴿لا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]. وهذه العبارة كانت مما يقصد به اليهود إيذاء النبي ﷺ، والمسلمون لم يقصدوا ذلك فنهاهم الله – تعالى – عنها، ولم يكفرهم بها»[٢].

---

[١] مجموع الفتاوى، (٥/ ٣٠٦ – ٣٠٧).
[٢] الرد على البكري، ص (٣٤١ – ٣٤٢).

الشرط الثاني
قيام الحجة

بعث الله - تعالى - الرسل من لدن آدم حتى خاتمهم محمد ﷺ؛ لكي يعبدوا الخلق لله، ولكي يقيموا عليهم الحجة؛ قال تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

وما كان الله ليعذب عباده، قبل أن تبلغهم الحجة الرسالية؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ [طه: ١٣٤].

فقيام الحجة شرط من شروط التكليف؛ ومن ثم التكفير، ولابد أن تكون الحجة تامة بائنة واضحة مثل الشمس، قال شيخ الإسلام - بعد أن نقل حديث الرجل الذي أمر أهله بحرقه بعد موته - قال:

«فهذا اعتقد أنه إذا فعل ذلك لا يقدر الله على إعادته وأنه لا يعيده، أو جوز ذلك، وكلاهما كفر، لكن كان جاهلاً لم يتبين له الحق بيانًا يكفر بمخالفته، فغفر الله له؛ ولهذا كنتُ أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله - تعالى - فوق العرش لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافرًا لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال، وكان هذا خطابًا لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم، وأصل جهلهم شبهات عقلية، حصلت لرؤوسهم، في قصور من معرفة المنقول الصحيح، والمعقول الصريح الموافق له»[١].

واستدلوا بأدلة كثيرة على قيام الحجة، نذكرها دون تفسيرها؛ لوضوحها:

[١] الرد على البكري، ص (٢٥٩).

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ⁽١٥⁾﴾ [الإسراء: ١٥][١].

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ⁽٩⁾﴾ [الأعلى: ٩][٢] وقول الله – عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ⁽١٠⁾ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ⁽١١⁾﴾ [سورة الأعلى: ١٠ – ١١][٣].

وقوله – جَلَّ وَعَلاَ –: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ⁽٨⁾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ ⁽٩⁾﴾ [الملك: ٨– ٩][٤].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة والأحاديث.

* ومن الأمثلة التطبيقية لهذا المطلب؛ التكلم بكلمة الكفر؛ قال شيخ الإسلام: «لكن ليس كل من تكلم بالكفر يكفر حتى تقوم الحجة المثبتة لكفره، فإذا قامت الحجة كفر حينئذ»[٥].



---

[١] انظر: كلام شيخ الإسلام: مجموع الفتاوى، (١/ ١١٣).
[٢] انظر: السابق ، (١٩/ ٢١٥).
[٣] انظر: السابق ، (١٦/ ١٦٦ – ١٦٧).
[٤] انظر: السابق، (١٩/ ٢١٥).
[٥] انظر: السابق، (٥/ ٣٠٦).

المطلب الرابع:
موانع إلحاق التكفير بالمعين

كما أن للتكفير شروطًا يجب توفرها في المحكوم عليه إذا أطلق عليه الحكم بالتكفير؛ يوجد موانع لهذا التكفير؛ إن وجدت في الشخص المعين انتفى عنه حكم التكفير، وهاك أهمها:

الأول: الخطأ

قال في «لسان العرب»: والخطأ هو الغلط، وهو ضد الصواب، ويقال: لمن أراد شيئًا ففعل غيره: أخطأ، كما يقال لمن قصد ذلك؛ فيطلق الخطأ على العمد وعلى غير العمد[١].

والذي يعنينا هنا هو الخطأ غير العمد أو السهو، فإن الله سبحانه وتعالى – عصم هذه الأمة من أن تجتمع على الخطأ كما قال النبي ﷺ: «إن الله لا يجمع أمتي، أو قال: أمة محمد ﷺ، على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار»[٢].

وأما آحادها فغير معصومين من الخطأ؛ بل كل ابن آدم يقع في الخطأ إما تعمدا، أو غير متعمد كما قال النبي ﷺ: «كل ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التوابون»[٣].

وقد أمر الله – تعالى – الناس أن يطلبوا الحق بقدر وسعهم وإمكانهم، ولم يكلّفهم ما لا يطيقون، وهذا من رحمة الله – تعالى – بهم، ومن رحمته أيضًا أن من بذل في طلب الحق ما في وسعه، فلم يصبه، وأخطأ فلا يلام على ذلك.

---

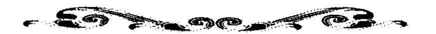
[١] انظر: «اللسان» مادة: «خطأ»، (٢/ ١٩٢)، ط. المعارف.

[٢] رواه الترمذي (٢١٦٧) وصححه الألباني، دون «ومن شذ شذ في النار»، وانظر: صحيح الجامع (١٨٤٨)

[٣] رواه الترمذي (٢٤٩٩) وابن ماجه (٤٢٥١)، وحسنه الألباني، صحيح الجامع (٤٥١٥).

وفي هذا يقول شيخ الإسلام: «وأما القدرالذي تنازعوا فيه فلا يقال: إن الله أمر كلاً منهم باطنًا وظاهرًا بالتمسك بما هو عليه، كما أمر بذلك الأنبياء، وإن كان هذا قول طائفة من أهل الكلام؛ فإنما يقال: إن الله أمر كلاً منهم أن يطلب الحق بقدر وسعه وإمكانه، فإن أصابه، وإلا فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وقد قال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال الله: قد فعلت[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ [الأحزاب: ٥]،فمن ذمهم ولامهم على ما لم يؤاخذهم الله عليه فقد اعتدى، ومن أراد أن يجعل أقوالهم وأفعالهم بمنزلة قول المعصوم وفعله، وينتصر لها بغير هدى من الله فقد اعتدى، واتبع هواه بغير هدى من الله، ومن فعل ما أمر به بحسب حاله؛ من اجتهاد يقدر عليه، أو تقليد إذا لم يقدر على الاجتهاد، وسلك في تقليده مسلك العدل، فهو مقتصد؛ إذ الأمر مشروط بالقدرة، ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦][٢].

وقال شيخ الإسلام بعد أن ذكر قصة الرجل الذي أمر بحرقه: «فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد، من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح، لم يكن أسوأ حالاً من هذا الرجل، فيغفر الله له خطأه، أو يعذّبه إن كان منه تفريط في اتباع الحق على قدر دينه، وأما تكفير شخص علم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك فعظيم»[٣].



---

[١] رواه مسلم، (١٢٦).
[٢] مجموع الفتاوى، (١٩/ ١٢٧ - ١٢٨)
[٣] الاستقامة، (١/ ١٦٥)

ثانياً: الجهل

(ينبغي الحذر من الانجراف في فتنة إكفار المسلمين؛ لأن باب الاكفار وعدم الاكفار، باب عظمت فيه الفتنة، فيجب على الناصح لنفسه ألا يغامر بدينه ويتورط في إكفار من أظهر الإسلام؛ قال ﷺ: «أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»[١]، أما إن ظهر منه عمل من أعمال الكفر، متأولاً أو جاهلاً أنكرنا عليه وعلمناه الحق بأدلته، وقد نقل القاسمي – رحمه الله – عن القاضي أبي بكر ابن العربي – رحمه الله – قوله: «فالجاهل والمخطئ من هذه الأمة، ولو عمل من الكفر والشرك؛ ما يكون صاحبه مشركًا أو كافرًا، فإنه يعذر بالجهل والخطأ حتى تتبين له الحجة؛ الذي يكفر تاركها بيانًا واضحًا ما يلتبس على مثله، وينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام؛ مما أجمعوا عليه إجماعًا عملياً جليًا قطعيًا، يعرفه كل من المسلمين من غير نظر وتأمل»)[٢].

ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)﴾ [النساء: ١٦٥]. وقوله – عز من قائل – ﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥)﴾ [الإسراء: ١٥].

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – «لكن من الناس من يكون جاهلاً ببعض هذه الأحكام جهلاً يعذر به، فلا يحكم بكفر أحد حتى تقوم عليه الحجة، من جهة بلاغ الرسالة، كما قال تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥)﴾ [الإسراء: ١٥]. ولهذا لو أسلم رجل، ولم يعلم أن الصلاة واجبة

---

[١] سبق تخريجه.

[٢] منهج الدعوة الإسلامية ص (١٨ – ١٩)، لشيخنا محمد بن إسماعيل – حفظه الله –، وهو من مطبوعات المدرسة السلفية.

عليه، أو لم يعلم أن الخمر يحرم، لم يكفر بعدم اعتقاد إيجاب هذا، وتحريم هذا؛ بل ولا يعاقب حتى تبلغه الحجة النبوية»[١].

ومن الأدلة – أيضًا؛ حديث الرجل الذي أمر بحرق نفسه بعد موته؛ قال شيخ الإسلام:

«وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة الذي يندرس فيها كثير من علوم النبوات، حتى لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيراً مما يبعث الله به رسوله ولا يكون هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر، ولهذا اتفق الأئمة على أن من نشأ ببادية عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث عهد بالإسلام، فأنكر شيئًا من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة؛ فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول؛ ولهذا جاء في الحديث: «يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا زكاة ولا صومًا ولا حجًا إلا الشيخ الكبير، والعجوز الكبيرة، يقول: أدركنا أباءنا وهم يقولون: لا إله إلا الله، وهم لا يدرون صلاة ولا زكاة ولا حجًا فقال: ولا صوم ينجيهم من النار»[٢].

وقد دل على هذا الأصل ما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: قال رجلٌ لم يعمل حسنة قط – لأهله: إذا مات فحرِّقوه، ثم اذرو نصفه في البرِّ ونصفه في البحر، فوالله؛ لئن قدر الله عليه ليعذِّبنَّه عذابًا لا يعذِّبه أحداً من العالمين – فلمَّا مات الرّجل فعلوا ما أمرهم، فأمر الله البرَّ فجمعَ ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: لِمَ فعلتَ هذا؟

[١] مجموع الفتاوى، (١١ / ٤٠٦).

[٢] الحديث في «ابن ماجه» (٤٠٤٩) ونصه من حديث حذيفة مرفوعًا: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتي لا يُدري ما صيامٌ ولا صلاةٌ ولا نسكٌ ولا صدقة، وليُسري على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس؛ الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقولها»، فقال له صِلةٌ: ما تغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك، ولا صدقة؟، فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، أقبل عليه في الثالثة؛ فقال: يا صلة تنجيهم من النار؛ ثلاثًا، وقد قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»، (١٣ / ١٨ – ١٩): سنده قوي.

قال: من خشيتك، يارب! ، وأنت أعلم، فغفر الله له»[١].

قال شيخ الإسلام: «فهذا الرجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك، وكل واحد من إنكار قدرة الله – تعالى –، وإنكار معاد الأبدان إن تفرقت كفر، لكنه كان مع إيمانه بالله، وإيمانه بأمره، وخشيته منه؛ جاهلا بذلك، ضالاً في هذا الظن، مخطئًا، فغفر الله له ذلك والحديث صريح في أن الرجل طمع أن لا يعيده إذا فعل ذلك، وأدنى هذا أن يكون شاكًا في المعاد، وذلك كفر؛– إذا قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفره –، هو بين في عدم إيمانه بالله تعالى، ومن تأول قوله: لئن قدر الله على بمعنى قضى، أو بمعنى ضيق، فقد أبعد النجعة، وحرف الكلم عن مواضعه؛ فإنه إنما أمر بتحريقه وتفريقه لئلا يجمع ويعاد، وقال: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في الريح في البحر، فو الله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحداً...

فذكر هذه الجملة الثانية بحرف الفاء عقيب الأولى يدل على أنه سبب لها، وأنه فعل ذلك لئلا يقدر الله عليه إذا فعل ذلك، فلو كان مقراً بقدرة الله عليه إذا فعل ذلك، كقدرته عليه إذا لم يفعل؛ لم يكن في ذلك فائدة له، ولأن التقدير عليه والتضييق موافقان للتعذيب، وهو قد جعل تفريقه مغايراً لأن يقدر الرب.

قال: فوالله! لئن قدر الله علي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا من العالمين. فلا يكون الشرط هو الجزاء، ولأنه لو كان مراده ذلك لقال: فوالله لئن جازاني ربي، أو لئن عاقبني ربي ليعذبني عذابًا، كما هو الخطاب المعروف في مثل ذلك، ولأن لفظ «قدر» بمعنى ضيق لا أصل له في اللغة»[٢].

ومن الأدلة التي استدل بها شيخ الإسلام على هذه المسألة، ما رواه

---

[١] مجموع الفتاوى: (١١ / ٤٠٨)

[٢] مجموع الفتاوى: (١١/ ٤٠٩ – ٤١٠)

مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ. قلنا: بلى. قال: قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي، انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظنَّ أنْ قد رقدت، فأخذ رداءه روْيداً، وانتعل رُوْيداً، وفتح الباب، فخرج، ثم أجافه[١] رويداً، فجعلت درعي في رأسي، واختمرت، وتقنّعت إزاري، ثم انطلقت على إثره، حتى جاء البقيع، فقام، فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاثْ مرات، ثم انحرف، فانحرفت، فأسرَع، فأسرعتُ، فهرولَ، فهرولتُ، فأحضر فأحضرت، فسبقته، فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت، فدخل، فقال: ما لَكِ يا عائش حَشْيَا رابية[٢]، قالت: قلت: لا شيء. قال: لتخبرني، أو ليخبرنّي اللطيف الخبير. قالت: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي! فأخبرته، قال: فأنت السواد الذي رأيتُ أمامي، قلت: نعم. فلهدني[٣] في صدري لهدة أوجعتني، ثم قال: أظننت أن يحيف اللهُ عليكِ ورسولهُ؟. قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله؟. قال: نعم. قال: فإن جبريل أتاني حين رأيت، فناداني، فأخفاه منك، فأجبته، فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك، وظننت أن قد رقدتِ، فكرهت أن أوقظَكِ، وخشيت أن تَسْتَوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع، فتستغفر لهم. قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، وإنّا إن شاء الله بكم للاحقون».

قال - رحمه الله -: «فهذه عائشة أم المؤمنين: سألت النبي ﷺ هل يعلم الله كل ما يكتم الناس؟ فقال لها النبي ﷺ: نعم، وهذا يدل على

[١] أجافه: أغلقه.
[٢] هو التهيج والاضطراب الذي يعرض للمسرع في مشيه.
[٣] أي دفعها.

أنها لم تكن تعلم ذلك، ولم تكن قبل معرفتها بأن الله عالم بكل شيء يكتمه الناس كافرة، وإن كان الإقرار بذلك بعد قيام الحجة من أصول الإيمان، وإنكار علمه بكل شيء كإنكار قدرته على كل شيء، هذا مع أنها كانت ممن يستحق اللوم على الذنب؛ ولهذا لهزها النبي ﷺ، وقال: أتخافين أن يحيف الله عليك ورسوله» [١].

ويتفرع عن قضية العذر بالجهل؛ العذر بالتأويل وهو من الموانع - أيضًا - التي تحول بين إلحاق التكفير على المعين، حتى تزال الشبهة التي لدى المعين، وهو عند كثير من أعيان الجماعات وعلمائها.



[١] مجموع الفتاوى: (١١ / ٤١٢)، وانظر: مجموع الفتاوى: (٣٥ / ١٦٥)، (٦ / ٦١) والاستقامة: (١ / ١٣٠)

ثالثًا: العجز:

إن شريعة الإسلام هي شريعة اليسر والسماحة ورفع الحرج؛ فالله - عزَّ وَجَلَّ - لا يكلفنا بما نعجز عنه، فإذا طرأ عذر، وزادت المشقة عن المعتاد؛ فهنا يفتح باب الترخيص ورفع الحرج، فمن عدم الماء وعجز عن تحصيله أبيح له التيمم، ومن لم يستطع أن يصلِّي قائمًا؛ فجالسًا، وإلا فعلى جنب.

وقد عدّ شيخ الإسلام «العجز» من موانع التكفير؛ فقال مبينًا ذلك:

«فمن ترك بعض الإيمان الواجب لعجزه عنه؛ إما لعدم تمكنه من العلم؛ مثل أن لا تبلغه الرسالة، أو لعدم تمكنه من العمل؛ لم يكن مأمورًا بما يعجز عنه، ولم يكن ذلك من الإيمان والدين الواجب في حقه؛ وإن كان من الدين والإيمان الواجب في الأصل؛ بمنزلة المريض والخائف والمستحاضة، وسائر أهل الأعذار؛ الذين يعجزون عن إتمام الصلاة، فإن صلاتهم صحيحة بحسب ما قدروا عليه، وبه أمروا إذ ذاك، وإن كانت صلاة القادر على الإتمام أكمل وأفضل، كما قال النبي ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير[١]»[٢].

واستدل شيخ الإسلام على هذا العذر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩]. وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: ٧٥].

[١] رواه مسلم (٢٦٦٤)
[٢] مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٧٨ - ٤٧٩)

قال شيخ الإسلام: «فعذر - سبحانه - المستضعف العاجز عن الهجرة»[١].

وقال - رحمه الله -: «وكذلك الكفار؛ من بلغه دعوة النبي ﷺ في دار الكفر، وعلم أنه رسول الله فآمن به، وآمن بما أنزل عليه، واتقى الله ما استطاع، كما فعل النجاشي[٢] وغيره، ولم تمكنه الهجرة إلى دار الإسلام، ولا التزام جميع شرائع الإسلام؛ لكونه ممنوعًا من الهجرة، وممنوعًا من إظهار دينه، وليس عنده من يعلمه جميع شرائع الإسلام»[٣].

واستدل - رحمه الله - أيضًا - بقصة مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون، وامرأة فرعون، ويوسف الصديق - عليه السلام - مع أهل مصر؛ فإنهم كانوا كفارًا[٤].



[١] السابق (١٩/ ٢٢٠).
[٢] فقد أسلم - رضي الله عنه - وكان قومه نصارى أو أسلم معه قليل، وعجز عن الهجرة، مع ذلك صلى عليه النبي ﷺ.
[٣] السابق (١٩/ ٢١٧).
[٤] انظر المصدر السابق، نفس الصفحة.

رابعاً: الإكراه

* الإكراه لغةً: إلزام الغير بأمرٍ هو كاره له.

ولكي يتحقق الإكراه لابد من شروطٍ أربعة؛ ذكرها الحافظ ابن حجر في الفتح وهي:

الأول: أن يكون فاعله قادراً على إيقاع ما يهدد به، والمأمور عاجزاً عن الدفع؛ ولو بالفرار.

الثاني: أن يغلب على ظن المكره أنه إذا امتنع أوقع به ما هدده به.

الثالث: أن يكون ما هدده به فورياً، أو بعد زمن قريب جداً، أو جرت العادة أنه لا يخلف ما هدده به.

الرابع: أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره[١].

والدليل على اعتباره مانعاً من موانع التكفير قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦)﴾ [النحل: ١٠٦].

خامساً: الجنون

لحديث النبي ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ...».

سادساً: النائم

للحديث السابق – أيضاً – وفيه: «... وعن النائم حتى يستيقظ»[٢].

وبعد .. . فهذه نبذة مختصرة عن موانع الحكم بالكفر على المعين، أردت التنبيه عليها لما جاء في هذا الكتاب من إطلاقات، قد يساء فهمها إذا عريت عن هذه الضوابط.

[١] الفتح (١٢/ ٣١١).
[٢] رواه الترمذي (١٤٢٣) وابن ماجه (٢٠٤١) (٢٤٠٢) وصححه الألباني في صحيح الترمذي وصحيح الجامع (٣٥١٢).

المطلب الخامس:
ما يمحو الكفر بعد ثبوته على المعين

التوبة: هي الرجوع من الذنب إلى الله – تَعَالَى –، والعزم على الإقلاع عنه، ورد المظالم إلى أهلها إن وجدت.

فإن كَفَر معين، توفرت فيه الشروط، وانتفت عنه الموانع التي قدمناها – ثم بعد ذلك ثبت أنه تاب ورجع، فهذا مما يمحو الكفر، ويرجع له وصفه بالإسلام.

قال شيخ الإسلام: «والله – تعالى – يقبل توبة العبد من جميع الذنوب: الشرك فما دونه، كما قال – تعالى –: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ [الزمر: ٥٣]. وقال – تَعَالَى –: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [البروج: ١٠]، وقال – تَعَالَى –: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وقال – عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤)﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]. فمن تاب من هذه الاعتقادات الفاسدة، وهو استحلال شيء من المحرمات، أو التدين بشيء منها، قبل الله توبته، وأما من استحل ذلك أو تدين به وإن لم يفعله، فالذي يفعل ذلك وهو معتقد للتحريم خير منه، فإن هذا مؤمن مذنب وأما الاستحلال لها والتدين بها فهو كفر»[١].

والدليل على قبول التوبة، ورجوع كون وصفه بالإسلام مرة أخرى؛ هو أن النبي ﷺ قبل توبة من تاب من المرتدين، ومنهم من خاض في النبي ﷺ.

---

[١] الاستقامة، (٢ / ١٩٣ – ١٩٤).

قال شيخ الإسلام بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقوله – عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر: ٥٣]. قال: «فثبت بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ أن كل من تاب تاب الله عليه، ومعلوم أن من سب الرسول من الكفار المحاربين، وقال: هو ساحر، أو شاعر، أو مجنون، أو معلّم، أو مفتر، وتاب تاب الله عليه، وقد كان طائفة يسبون النبي ﷺ من أهل الحرب، ثم أسلموا، وحسن إسلامهم، وقبل النبي ﷺ منهم: منهم أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب؛ ابن عم النبي ﷺ وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وكان قد ارتد، وكان يكذب على النبي ﷺ، ويقول: أنا كنت أعلمه القرآن. ثم تاب، وأسلم، وبايعه النبي ﷺ على ذلك»[١].

إلى هنا انتهى المراد من بيانه في أحكام قضايا الكفر والإيمان؛ نخلص من المطالب المتقدمة بالنقاط الآتية:

١– خطورة الإسراع بالتكفير وعدم التروِّ فيه، وأن هذا حقٌّ لله – عَزَّ وَجَلَّ –؛ ومن ثم لا يقدم عليه إلا الراسخون في العلم.

٢– فرقٌ بين إطلاق التكفير، وإلحاق التكفير بمعين؛ فقولنا: أن هذا العمل كفر بما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، فهذا لا شيء فيه، أما قولنا: هذا الرجل كافر بعينه؛ فهذا لابد فيه من تروٍّ، وتطبيق الأحكام السابقة عليه.



[١] مجموع الفتاوى (٣/ ٢٩٠ – ٢٩١).

المطلب السادس:

ملاحظات حول الكتاب

• الملحوظة الأولى:

وبناءً على ما سبق فقد وقع المؤلف – عفا الله عنه – في بعض الإطلاقات التي هي محل نظر:

– فمن ذلك أنه أحيانًا يطلق وصف «الكفر» على الصوفية، دون مراعاة الضوابط التي سبق ذكرها، أضف إلى ذلك أنه لابد من تحديد المراد بالصوفية قبل الحكم عليها؛ فهناك من يعتبرها طائفة متخصصة في الجانب الروحي والوجداني من الإسلام، وأن التصوف هو الطريق إلى تهذيب النفس وصفاء الروح، وعمارة الأوقاف بالعبادة، وإن كان الأسلم التعبير بالمصطلحات الشرعية كتزكية النفس، لأن لفظ الصوفية صار مشتبهًا موهمًا.

ومن الناس من يعتمد بدع الصوفية في العبادات والأذكار، ومنهم غلاة القبوريين، ومنهم الاتحادية والحلولية.

• الملحوظة الثانية:

ويلاحظ على المؤلف – رحمه الله تعالى – أنه غضَّ الطرف عن خاتمة الشيخ أبي حامد الغزالي – عفا الله عنه – الحسنة بإذن الله، وركَّز فقط على أخطائه وآرائه الصوفية.

قال الشيخ عبد الرحمن دمشقية – حفظه الله –: «ففي المرحلة الأخيرة اختلفت دعوته؛ ففي حين كان يدعو إلى التصوف والذوق والمواجيد والكشف والفناء وغيره ... صار يدعو في المرحلة الأخيرة من عمره إلى الكف والاتباع وترك الابتداع والعمل بما كان عليه السلف الصالح.

وإن نظرة إلى كتابه المسمى «إلجام العوام عن علم الكلام» – وهو من آخر مصنفاته على الإطلاق –؛ ليثبت لنا حقيقة هذا التغير من وجوهٍ عديدة:

الوجه الأول: أنه انتصر في هذا الكتاب لعقيدة السلف منبهًا على أن الحق هو مذهب السلف، وأن من خالفهم في ذلك فهو مبتدع[١].

الوجه الثاني: أنه نهى عن التأويل أشد النهي، داعيًا إلى إثبات صفات الله، وعدم تأويلها بما يؤدي إلى تعطيلها التعطيل حيث قال بأن:

«علاج وهم التشبيه أسهل من علاج وهم التعطيل؛ إذ يكفي أن يقال مع هذه الظواهر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]».

الوجه الثالث: أنه شدد النكير على المتكلمين، ووصف أصولهم ومقاييسهم بـ«البدعة المذمومة»، وبأنها كانت سببًا تضرر أكثر الخلق منها قائلاً:

«والدليل على تضرر الخلق به: المشاهدة، والعيان والتجربة، وما ثار من الشر منذ نبغ المتكلمون، وفشت صناعة الكلام مع نهي العصر الأول من الصحابة عن مثل ذلك.

ويدل عليه – أيضًا – أن رسول الله ﷺ والصحابة بأجمعهم ما سلكوا في المحاجة مسلك المتكلمين في تقسيماتهم وتدقيقاتهم – لا لعجز منهم عن ذلك – فلو علموا أن ذلك نافع لأطنبوا فيه، ولخاضوا في تحرير الأدلة خوضًا يزيد على خوضهم في مسائل الفرائض» اهـ. كلام الغزالي.

وأشار الغزالي – رحمه الله – إلى مسألةٍ مهمة وهي: «أن الصحابة ﷺ كانوا محتاجين إلى محاجة اليهود والنصارى في إثبات نبوة محمد ﷺ، فما زادوا على أدلة القرآن شيئًا وما ركبوا ظهر اللجاج في وضع مقاييس العقلية وترتيب المقدمات.

[١] إلجام العوام، ص (٦٢).

كل ذلك لعلمهم بأن ذلك مثار الفتن ومنبع التشويش، ومن لا يقنعه أدلة القرآن، لا يقمعه إلا السيف والبنان فما بعد بيان الله بيان ».

وجلٌّ موقفه وضعه في العبارة الخاتمة القوية: « فما بعد بيان الله بيان »

الوجه الرابع: أنه توسع في الكلام عن البدعة والتحذير منها في هذا الكتاب، الأمر الذي لا نجده في كتبه الأخرى، ففي الإحياء – مثلاً – يندر وجود أي كلام عن البدعة ومخالفة السلف في العقائد أو العبادات أو انتهاج منهج المتكلمين.

فإذا تكلم عن البدع أراد بذلك تقرير شيء من تعاليم الصوفية؛ فإنه حين كان يثني على كثرة الجوع ويذم الشبع ذكر عن عائشة رضي الله عنها قولاً يستبعد صدوره منها، وهو قول عجيب؛ يقول الغزالي: « وقالت عائشة: أول بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ: الشبع »[١].

بينما تجد في « الإلجام » قد حمل على كل مذهب أو علم أو رأي خالف ما كان عليه السلف، واعتبره بدعة مذمومة.

يقول: « وكذلك العوام؛ إذا طلبوا بالسؤال عن هذه المعاني يجب زجرهم ومنعهم، وضربهم بالدرة كما كان يفعل عمر رضي الله عنه بكل من سأل عن الآيات المتشابهات، وكما فعله رسول الله ﷺ في الإنكار على قوم رآهم خاضوا في مسألة القدر وسألوا عنه، فقال عليه السلام: فبهذا أمرتم؟ وقال: « إنما أَهْلَكَ من كان قبلكم بكثرة السؤال »[٢]، ويضيف قائلاً: « ولذلك أقول: يحرم على الوعاظ على رؤوس المنابر الجواب عن هذه الأسئلة بالخوض في التأويل والتفصيل؛ بل الجواب عليهم، بالاقتصار على ما ذكرناه وذكره السلف »[٣].

[١] الإحياء، (٣/ ٨٦).
[٢] أخرجه أحمد (٢/ ١٩٥)، والبغوي في شرح السنة، (١/ ٢٦٠)، ومسلم (٢٦٦٦) بلفظ آخر.
[٣] إلجام العوام، (٧٠).

قال الشيخ عبد الرحمن دمشقية:

«والذي نقلناه عن أبي حامد الغزالي يثبت رجوعه عما كان عليه من القول بالكشف وإدراك خصائص النبوة وقواها، وبالاعتماد في التأويل أو الإثبات على الكشف الذي كان يراه غاية العلوم».

وقال: «ولا نقول أن كلامه هنا هو عين كلام السلف ومذهبهم في العقائد، وأنه فهمها تماماً على الوجه المطلوب، ولكن حسبنا رجوعه إليها، وحثه وإحالته عليها في حين أنه كان يحيل على الكشف وسلوك الذوق من طريق التصوف».

فصل: في الكلام على خاتمته - رحمه الله -:

تناقل العلماء – سلفًا وخلفًا – أن الغزاليَّ – رحمه الله – في آخر حياته أقبل على تعلم الحديث ومجالسه، فمن ذلك؛

* حكى تلميذه – عبد الغافر الفارسي – آخر مراحل حياته قائلاً: «وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ﷺ ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين – البخاري ومسلم – اللذين هما حجة الإسلام»[١].

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – قدّس الله روحه ونوّر ضريحه –: «ثم لما لم يحصل مطلوبه من هذه الطرق بقي من أهل الوقف ومال إلى طريقة أهل الحديث، فمات وهو يشتغل بالبخاري ومسلم»[٢].

* وقال الإمام الحافظ ابن كثير – رحمه الله –: «ويقال أنه مال في آخر عمره إلى سماع الحديث والتحفيظ للصحيحين»[٣].

[١] انظر في ذلك: طبقات السبكي (٤/ ١٠٩–١١١)، وتبيين كذب المفترى لابن عساكر ص (٢٩٦) والسير للذهبي (١٩/ ٣٢٣ – ٣٢٤)

[٢] الصفدية، ص (٢١٢).

[٣] البداية والنهاية (١٢/ ١٧٤)

وقال عنه الذهبي – بعد أن ذكر عنه أشياء –: «ولولا أنه – أي أبو حامد من كبار الأذكياء، وخيار المخلصين، لتلف»[١].

قال الشيخ عبد الرحمن دمشقية – حفظه الله –:

«على أن الغزالي لم يصرح مباشرة برجوعه عما كان عليه، وقد يكون ذلك عائداً إلى أن الغزالي مات حين كان في بداية الطريق الأخير الذي سلكه (أي طلبه للحديث)[٢].

• الملحوظة الثالثة:

كثرة استشهاده بأقوال المستشرقين، وهذا لا غبار عليه إن احتيج إليه؛ ولكن المسألة أشبعها علماء الإسلام، نقداً وتحليلاً، فكان الأنسب الاقتصار على كلامهم، لا سيما وقد أطلقوا عباراتٍ لا تتفق مع الإسلام، إما جهلاً منهم أو كيداً للإسلام وأهله[٣].

وبعد ...

فهذه بعض الملاحظات التي كانت على الكتاب، والتي لا تنقص من قيمته، فكلٌ يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، وكما قال الشاعر:

من ذا الذي ترضى سجاياه كلها

كفى المرءَ نبلاً أن تعدَّ معايبه



[١] السير (١٤/ ٣١٢).
[٢] انظر: أبو حامد الغزالي والتصوف (٤١٩ – ٤٣٠).
[٣] لبيان خطر الاستشراق على الفكر الإسلامي؛ راجع؛ «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» للأديب العملاق: محمود شاكر وبقية كتبه، وكتب المفكر الكبير الأستاذ: أنور الجندي مثل «أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والتنوير الغربي»، وكتب الدكتور: محمد محمد حسين مثل «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» – رحمة الله عليهم أجمعين –.

المبحث الثاني
دراسة حول الكتاب

المطلب الأول: أهمية الكتاب

المطلب الثاني: المحور الذي يدور حوله الكتاب

المطلب الثالث: ترجمة المؤلف

المطلب الرابع: منهج المؤلف

المطلب الأول:

أهمية الكتاب

للكتاب الذي بين أيدينا أهمية كبيرة، فقد ذاع صيته في الآفاق، ودُحِضَ به غلاة الصوفية وملاحدة الحلولية وغيرهم، وأهمية الكتاب تتجلى في النقاط التالية:

(١) أن المؤلف قد اتسم بالموضوعية في دراسته؛ فهو يتكلم عن الصوفية؛ لذا نفض الغبار عن كتب الصوفية أنفسهم وأخذ منها وناقشها مناقشة الخبير بها، العالم بأسرارها. ولمَ لا؟!، وقد عاش التجربة بنفسه وتجرّع مرارتها.

(٢) أن المؤلف – رحمه الله – كان خبيرًا بالفلسفة اليونانية؛ الأمر الذي أهّله لدحض نظرية «وحدة الوجود» واجتثاثها من جذورها.

(٣) أن أسلوب المؤلف أسلوب أدبيٌّ متميز ورصين؛ يقوم على التوسع في استخدام المفردات، وتنويع الأساليب، مما كان له الأثر البليغ في خدمة الفكرة التي انتدب نفسه لبيانها.

(٤) أن الكتاب قد ظهر في مرحلة؛ قويت فيها شوكة هذه الطائفة، وارتفعت راياتها، وامتد نفوذها، حتى صاروا يتكلمون ولا نكير، وشُبهت على كثير من الناس – بسبب هذه الطائفة – حقائق الدين.

فكان هذا الكتاب؛ صفعةً قوية نبَّهت المخدوعين بالصوفية، وأيقظتهم من غفلتهم، وردتهم إلى الحق ردًّا جميلاً.

(٥) ونظرًا لموقعِ المؤلف داخل جماعة أنصار السنة المحمدية[١]، فإن الكتاب عكس موقفًا حاسمًا وصريحًا للجماعة من بدع ومنكرات الصوفية التي شاعت وذاعت، وشغلت الساحة الفكرية.

---

[١] جماعة أنصار السنة؛ جماعة سنية سلفية قامت في مصر أولاً ثم انتشرت في غيرها للدعوة إلى الإسلام والتوحيد الخالص، وأسست عام (١٣٤٥ هـ – ١٩٢٦م) بمدينة القاهرة على يد العلامة الشيخ محمد حامد الفقي – رحمه الله – الذي توفي فجر الجمعة ٧ من رجب ١٣٧٨ هـ في دار الجماعة، ومن أعلامها أيضًا العلامة الجليل الشيخ عبد الرزاق عفيفي (١٣٢٣ – ١٤١٥ هـ) والعلامة الدكتور محمد خليل هراس – رحمه الله تعالى –، ولازالت بجهودها المباركة تقيم السنة وتقمع البدعة، حرسها الله من كل سوء.

المطلب الثاني:
المحور الذي يدور حوله الكتاب

المحور الذي يدور حوله أغلب الكتاب؛ هو نقد عقيدة «وحدة الوجود»، التي اتخذها غلاة الصوفية شعاراً لهم، والتي كانت سبباً في الإنحرافات الكثيرة التي وقعوا فيها.

أما عن أصل هذه النظرية، فهي من الفلسفة اليونانية الوثنية، يقول أحد فلاسفتهم والذي يدعونه بـ«فيلسوف الوجود المحض»: «إن كل الظواهر التي نراها ونعيشها، وكل هذه الموجودات التي نتعامل معها؛ ليست لها حقائق متميزة بين بعضها، وبالتالي فليس ثمة فرق جوهري بين الإنسان والحيوان وغيرها، فكلها ذات واحدة»[١].

ويقول د. عبد الرحمن بدوي:

«إن هؤلاء الفلاسفة السابقين على سقراط – أى فلاسفة اليونان – لم يضعوا تفرقة بين الله والطبيعة؛ بل تصوروا أن الطبيعة هي الله، والله هو الطبيعة، وهذا المذهب هو المذهب المعروف باسم «وحدة الوجود»[٢].

فإذا قارنت هذا الكلام مع شبهه عند منحرفة المتصوفة، فستجد أن هذا الكلام أصل لشجرةٍ خبيثة اجتُثت من فوق الأرض ما لها من قرار، ثم إن ديننا الحنيف ليس فيه تعقيدات، ولا طلاسم ولا ألغاز، لا يحلها إلا الخبير بها، وليس الدين حكراً على طائفة معينة من الناس، فديننا دين الفطرة ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠]، ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة: ١٣٨].

---

[١] مدخل إلى الفلسفة خريف الفكر اليوناني ص (٨٨)، د. عبد الرحمن بدوي، ط. الخامسة (١٩٧٦)، دار القلم.
[٢] خريف الفكر اليوناني مدخل إلى الفلسفة اليونانية ص (٨٨)، د. محمد عفيفي، ط. دارالعلم.

إن شقشقة الكلام، وتعقيده، وتلغيز الحقائق، ثم دعوى أن هذا لا يفقهه ولا يحل طلاسمه، إلا خواص الناس؛ سمة تميز أهل البدع والأهواء عن أهل السنة والجماعة الذين ينفذون إلى الحقائق الناصعة بسلاسة وسهولة ويسر، دونما حاجة إلى التقعر والتنطع والتكلف.



المطلب الثالث:

ترجمة المؤلف

• **اسمه:** عبد الرحمن بن عبد الوهَّاب الوكيل

• **مولده:** ولد – رحمه الله – في قرية زاوية البقلي – مركز الشهداء – المنوفية في عام ١٣٣٢ هـ، ٢٣ / ٦ / ١٩١٣م.

• **تعلمه:** حفظ القرآن الكريم في كُتَّاب القرية ثم التحق بالمعهد الديني في طنطا، وقد مكث يدرس تسع سنوات، ثم حصل على الثانوية الأزهرية، والتحق بكلية أصول الدين، وحصل على الإجازة العالية بتفوق، ولم يكمل الدراسات العليا إذ غلبه المرض على ذلك.

حصل أيضًا على درجتي العالمِية وإجازة التدريس.

• **تعليمه ونشره للعلم:**

عين مدرسًا للدين بالمدارس الثانوية بوزارة المعارف (التربية والتعليم).

تعرف على فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس جماعة أنصار السنة سنة (١٩٣٦م)، وقد حظى لديه بمكانة خاصة.

انتخب للعمل بالمعهد العلمي بالرياض مع فضيلة الشيخ محمد عبدالوهاب البنا عام ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م وهو من مؤسسي الجماعة.

اختير – رحمه الله – رئيسًا لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر القديمة، كما عمل وكيلاً أول للجماعة، وعند اختيار الشيخ عبد الرزاق عفيفي – رحمه الله – رئيسًا للجماعة، تم انتخابه «نائبًا للرئيس» في ٢٢ / ٢ / ١٣٧٩هـ، ٢٧ / ٨ / ١٩٥٩م ثم انتخب رئيسًا للجماعة بعد سفر الشيخ عبد الرزاق عفيفي، ليكون ثاني رئيس للجماعة بعد مؤسسها وانتخب نائبًا له الشيخ محمد خليل هراس.

انتدب أستاذاً بكلية الشريعة بمكة المكرمة – زادها الله شرفًا – في وظيفة أستاذ العقيدة بقسم الدراسات العليا، وظل بها إلى أن قضى نحبه.

• ثناء العلماء عليه:

قال فيه الشيخ محمد حامد الفقي – رحمه الله – في مقدمته لتحقيق كتاب « نقض المنطق » : « ثم وكلت إلى الأخ الفاضل المحقق الشيخ عبد الرحمن الوكيل؛ وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية عمل مقدمة له؛ لأنه متخصص في الفلسفة وله بصر نافذ فيها وهو من خلصاء شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – » .

وقال عنه الشيخ محمد علي عبد الرحيم – رحمه الله – : « لقد كان الشيخ عبد الرحمن الوكيل موفور الحظ من اللغة، وجمال البلاغة، ووضوح المعنى، وسعة الاطلاع وشرف الغاية، كما جمع علماً مصفّى من شوائب البدع والخرافات الصوفية، وكان حسن اللغة، قليل اللحن، فصيح العبارة، له اجتهاداته الواعية، وكان في ذلك نمطًا فريداً في جماعته لا يشاركه في ذلك إلا حبر سوهاج وعلامتها أبو الوفاء درويش » .

وقال عنه الشيخ أبو الوفاء درويش : « لو كنت أريد أن أوفيه حقه من التمجيد وأن أشرح آثار قلمه الفياض في نفوس القراء، وأن أنوِّه بما خصه الله به من شجاعة في الحق نادرة، وصراحة يعز منالها في أيامنا الحاضرة، وأن أومئ إلى مالازم قلمه الجرئ من التوفيق في جولاته الموفقة في كل ميادين المعرفة، وما امتاز به أسلوبه الجزل من روعة تسيطر على النفوس، وجلاء علل القلوب؛ لما استطعت أن أوفيه حقه » .

و قال عنه الدكتور سيد رزق الطويل – رحمه الله – : « لقد كان في أخلاقه نسيج وحده، سمو في الخلق، متنوع المعرفة، أديبًا، شاعراً جزل الشعر قوي العبارة » (مقدمة دعوة الحق . مختصراً)

وقال عنه الشيخ محمد صادق عرنوس: «إن أخانا الأستاذ النابغة عبدالرحمن الوكيل المعروف بين قراء «الهدي النبوي»[١] بـ«هادم الطواغيت»؛ قد أصبح أخصائيًا في تشريح التصوف والإحاطة بوظائف أعضائه».

• **مؤلفاته:** كانت معظم مؤلفاته في نقد أهل البدع والأهواء؛ وبخاصة الصوفية وأهمها:

«صوفيات»

«البهائية»

«الصفات الإلهية»

«زندقة الجيلي»

«هذه هي الصوفية»؛ وهو كتابنا هذا.

• **وفاته:**

توفي - رحمه الله - في ٢٢ من جمادى الأولى ١٣٩٠ هـ (١٩٧١م)، ودفن بالحجون (بمكة المكرمة).

فرحمه الله رحمة واسعة واسكنه ورفاقه فسيح جناته،

إنه وليٌّ ذلك والقادر عليه.



[١] هي مجلة أسسها الشيخ الفقي؛ لتكون لسان حال الجماعة، ودعوتها القائمة، وتولى بنفسه رئاسة تحريرها، وشارك فيها مجموعة من العلماء الكبار؛ أمثال المحدث الشيخ أحمد شاكر والعلامة محب الدين الخطيب، والمحقق الكبير الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد وشيخ الأزهر الشيخ/ محمود شلتوت - رحمهم الله أجمعين -، وفي عام (١٣٨٧ هـ) توقفت المجلة، وكان العدد الأخير منها؛ العدد الثاني من العام الحادي عشر في صفر لسنة (١٣٨٧ هـ).

المطلب الرابع:

منهج المؤلف

١)اعتمد المؤلف – في كتابه هذا – على نقول واقتباسات من المراجع الصوفية، المشهور منها والمغمور، مع توثيقها بذكر تاريخ ومكان طبعها.

٢)انتقد المؤلف النصوص المنقولة عن الصوفية، نقداً علمياً موضوعياً، في ضوء نصوص الكتاب الكريم والسنة الشريفة، كما شهر في وجه شبهاتهم نفس سلاح الفلسفة؛ التي بنوا عليها ضلالاتهم.

• أسلوب المؤلف:

أسلوب جزل رصين، سخّر فيه إمكاناته اللغوية القوية، وأفاد من تنويع الأساليب، وطوّعها لخدمة فكرته.

وربما غالى في الشدة على من ينتقده، يحدوه في ذلك غيرته على التوحيد، وحرصه على صفاء العقيدة من أي شائبة.

وقد أتى الكتاب في صورة خطاب أرسله إلى شيخ الصوفية؛ الذي اشتكى الجماعة إلى وكيل النيابة[١]، ويعد – في نفس الوقت – خطاباً إلى كل تائه ومغرّر به من هذه الطائفة.

وقد وفقني الله – عَزَّ وَجَلَّ – إلى خدمة هذا الكتاب، وتقريبه لقارئه حيث:

١ . قمت بتوثيق النصوص المنقولة قدر الطاقة؛ بالرجوع إلى مصادرها الأصلية، وقد لوحظ كثيراً من السقط والاختصار، فما كان منه قليلاً، رددته إلى أصله، ووضعته بين قوسين هكذا [ ]، وإلا أشير إليه في الهامش، أو أنقله مُفصلاً.

[١] انظر: ص (١١) من هذا الكتاب.

٢ . تخريج الأحاديث التي وردت في الكتاب، تخريجًا مختصرًا يفي بالحاجة.

٣ . التعريف ببعض الأعلام التي لم يترجم لها المؤلف.

٤ . تخريج الأبيات الواردة في الكتاب، وضبطها على مصادرها الأصلية.

٥ . تفسير الكلمات الغريبة غير المألوفة للقارئ.

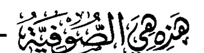
٦ . ميزت التعليقات المضافة بالترقيم بين القوسين على هذا النحو [ ]، عن تعليقات المؤلف التي موضوعة بين قوسين هكذا ( ).





تأليف
عبد الرحمن الوكيل
(١٣٣٢ - ١٣٩٠ هـ)

اعتنى به، وعلّق عليه
رامي إبراهيم السيّد البنّا



مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد خاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين.

أما بعد :

فمازلت أذكر، وأنا طالب في معهد طنطا الديني، ذلك الشيخ الشيبة يقسم لنا – وعيناه مُخْضَلَّتَان بالدموع ونَبَراتُ صوته أصداء عَميقةٌ بعيدةُ الغَوْرِ من الشَّجْوِ الْوَلْهان، والحنينِ الهائم، والحرمانِ الجريح – يقسم لنا أن في ضريح عبد العال المجاور لضريح البدوي شعرةً من رأس الرسول!، وأنها معين خير، وفيْض بركة ويُمْن، ومطافُ آمالٍ، ومَهْوَى رجاء!! وأذكر أنني حين سمعت حديثه، يؤكده بقسمٍ غليظ، شعرت بقلبي، وكأنما يود أن ينشق عنه الصدر؛ ليهفوَ في صبابته الملهوفة إلى معبد الشعرة يقبلها، ويكنُّها في مهجته، بل شعرت كأنما حملت الملائكة إليَّ بشرى الخلود!!

ومازلت أذكر أيضًا أنني سألت الشيخ؛ ليطمئن قلبي على هذا الأمل الحلو الساحر الفتنة، عما جعلهم يوقنون بنسبة هذه الشعرة إلى رأس النبي الأعظم؟ فأجاب تولاه الله بما قدَّم –: لقد وضعناها في زجاجة، وأقمنا حولها حلقة ذكر وإنشاد، فإذا بالشعرة تذكر مع الذاكرين على دفيف الدفوف، وحَنَّاتِ النايات، والنغم المطرب المرقص من الأناشيد!!.

وأذكر أنني آمنت بهذه الأسطورة كأنما هي من الله برهان ساطع!! وأذكر أن الشيخ تداركنا – حتى يُحْكِم القيد – بحجة أخرى، فزعم أنهم وضعوا الشعرة تحت الشمس، فلم يجدوا لها ظلاً!! وكان هذا الوهم الوثني الجديد حجة عندي تدحض كل ريبة!!.

وأذكر – ويارب غفرانك – أن خرافة الشيخ هذه غمرتني بنشوة سَكْرى خِلْت فيها أنني أرى الجنة، أو أنني صحابي يتلو عليه الرسول وَحْيَ الله!!.

فكنت أهفو إلى هَيْكل الشعرة[١] خاشع الطرف، رَيَّان القلب بالولاء، أُصَلِّي لها بنجاوي[٢] الحب العابد، وألثم[٣] خشب هيكلها وحَجَره في شغف ثائر الأشواق عِرْبيد التلهف، وأُنَهْنِهُ[٤] بالأرواح الْعِطْرِيَّة – التي إخال أنها تناسمني منها – دموعي المسكوبة لوعة عشق، وظمأ غرام!![٥].

وتعال معي أذكرك بأنني كنت أطوف حول صنم البدوي[٦]، حتى إذا مثلت أمام الكُوَّة[٧] الصغيرة في وثنه النحاسيِّ البراق، أنفذت منها يدَيَّ – في رعشة التقديس – حتى ألمس سِتْر القبر، ثم أخرجها رويداً رويداً في حرص وحذر بالغين، وقد ضممت قبضتيهما على ...؟ على ماذا؟ كنت أوقن حينذاك أنني أضمهما على بركات سماوية تفيض من روح الله على القبر(٨)!! ثم أبسط يدي في جيبي، ثم أمسح بها وَجْهي، رَجَاءَ أن أكونَ مُيَسَّر الرزق، داني قطوف النجاح، مشرق الوجه بنور الله!! وتعال – ولا تسأم من ذكرياتي – فإنها عبرة ضحية، وعظة مأساة – أذكرك بذلك الدَّوِيِّ ترجف منه الأرضُ، وترتعد جُدُرُ المعهد حين كانت تُوَزَّعُ أسئلةُ اختبار آخر العام الدراسي. أتدري ماذا كان يحدث؟.

تهبُّ هذه الآلاف المضطربة من الطلبة رافعة أكفها في ضراعة ناعقة بما لا يسمع، ولا يبصر، حتى ليبح صوتها، وتتمزق حناجرها إذ تنعق ضارعة: ياسيد!! وياويل السمع من طول «ياء النداء»!!. لقد كانت تطول، وتطول،

[١] أي الشعرة التي يزعمون أنها من الرسول ﷺ.

[٢] النجاوي جمع نجوى وهي من انتجى القوم تناجو أي تساروا.

[٣] ألثم: أُقبِّل.

[٤] (نهنهه) عن الشيء (فتنهنه)؛ أي كفَّه وزجَره فكفَّ.

[٥] كل هذا – وما يأتي بعده – يصور لك المؤلف – رحمه الله – مدى الخشوع والشوق، والخوف من القبر الذي أمامه.

[٦] هو أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد البدوي، شيعي باطني، ولد بمدينة «فاس» بالمغرب (٥٩٦ هـ) وتوفي سنة (٦٧٥ هـ)، «السيد البدوي»، ص٥، د. عبد الله صابر.

[٧] الكوة بالفتح والضم لغتان وهي ثقب البيت، ويقصد بها المؤلف هنا؛ النافذة التي في ضريح البدوي.

(٨) يزعم الصوفية أن فوق كل ضريح ولي نافذة مفتوحة في السماء، يفيض الله منها بركاته على الطائفين حول الضريح!.

حتى لَيُخَيَّل إليك أنها دخان مارد يحترق، فيلمس دخانه قبة النجم، ولعلهم كانوا يفعلون ذلك؛ لتصل أصداء ضراعتهم إلى حيث جثمت على الأرض في غيابة القبر جيفة مَنْ دَعَوْه!!

ولعلك تسألني: وماذا كان يفعل بكم شيوخكم؟ كانوا يرفعون في سكرة الْحُبِّ وذل الخشية أيديهم المعروقة، يمسحون بها وجوههم، أو يمشطون لحاهم، ومن بين الشفاه الذوابل تنساب هذه الْهَمْهَمَةُ: «رضي الله عنك ياسيد!!» ثم يلتفتون إلينا، وعلى وجوههم ألَق[١] الرضى ناصحين في تأييد وإعجاب: «كِفَاية ما خَلاَصْ سِمِعْكُم السيد!!».

وتعال – وناشدتك الله إلا ما أصغيت غير مَال ولا كاره – أذكرك بذلك الشيخ الأكبر الذي كان يشرك الدهماء[٢] في يوم «الْكَنْسَة» وكان يمزق عمامة صنم البدوي مزْقًا، ثم يهديها إلى مريديه بركة – في زعمه – من رَوْح الله التي يغرق صَيِّبُها ذَيَّالك[٣] الوثن!!

لقد كان للشيخ الأكبر شيخٌ هو تاجر خيط في المدينة، وقد أعطاه العهد، وألبسه «خِرْقَةَ التصوف»، وكان التاجر على أُمِّيَّةٍ وجهالة، بيد أنه كان خبيراً بزندقة الصوفية، مؤمناً بها، يبثها، ويهوي بالهالكين في حَمْأَتها!!

ولقد كنا نرى الشيخ الأكبر يخفض من رأسه عبودية للتاجر الصوفي!! ثم يلثم يديه في خشية ورهبة وإجلال!! وكنا نهتف إعجاباً بصنيع الشيخ؟؛ إذ نراه دلائل قوية على إيمان عميق، وتواضع كريم!!

كذلك كنا نحرص كل الحرص على أن ننتشي[٤] بمشهد الشيخ، وهو

---

[١] **ألق البرق – أليقًا**: لمع وأضاء.

[٢] **الدهماء**: عامة الناس، وسوادهم (ج) دُهْم.

[٣] **ذيَّالك**: أصلها (ذيَّا) وأضيف إليها لام البعد وكاف الخطاب، فأصبحت إشارة للبعيد وهي قليلة الاستعمال ولها شاهد من قول رؤبة بن العجاج:

لتقعدنَّ مقعد القصيِّ ... مني ذي القاذورة المقليِّ
أو تحلفي بربِّك العليِّ ... أنِّي أبوذيَّالك الصبيِّ

[٤] **نشى – نشوة**: سكر أول السُّكر، وبالشيء أحبه، وفلان انتشى: بدأ سُكره.

يطوف حول ضريح البدوي، يتلمس نحاسه وستره، حتى إذا بلغ فمه موضعًا منه، راح يشويه بسعير القبل من شفتيه الناريتين!! ونحرص كل الحرص على أن نوفض من منازلنا سراعًا إلى « مولد » البدوي؛ لنشهد سرادق الشيخ الأكبر المضروب على أَبَدٍ طويل عريض من الأرض احتفاءً بمولد الوثن الأكبر!! ولنطعم طعامه، ونشرب شرابه، ثم نخرج من السرادق الفخم الضخم مهرولين صَوْبَ النصُب الكبير، أو ما يسميه الدراويش « العمود أو الصاري(١) » نقترف هذا، لعلنا نصيب بركة من القطب الغوث[٢] الذي قيل لنا: إنه لا يحرص على شيء كما يحرص على شهود الليلة الخاتمة « للمولد » هو والأقطاب الآخرون والأوتاد والأبدال والأنجاب!! ولعلنا نبصر واحداً منهم فيما تجسد فيه من صور(٣).

ثم تعال معي إلى الجامع الأحمدي الكبير، أو هيكل الطاغوت الأكبر؛ لترى هذه الحشود التي يمور[٤]، ويموج بها الجامع من نساء ورجال وأطفال، وفدوا إلى الصنم من كل فَجٍّ عميق، وقد أشعلوا مواقدهم، يطهون الطعام، أو يصنعون « الشاي، والقرفة » وأمام كل منهم « شوال » خبزه، ووعاء « دُقَّته » وقد حبا على الأرض الأطفال يبولون، أو يتبرزون!!.

وهنا، وهناك حانات ذكر يرقص فيها « الدراويش » وَتَتَخَلَّعُ « الدرويشات ».

* * *

ويزور بي شيخ من أهلي – وأنا صغير – القاهرة، فيجوب بي الصحراء، ويجتاز الأودية، ويسلك المفاوز، ويتعثر في الجلاميد[٥] نشدانًا

---

(١) هو عمود طويل من الخشب مفرط في الارتفاع مثبت في قاعدة من الأسمنت.

[٢] سيأتي كلام عن القطب الغوث، انظره ص (١٧٢).

(٣) كان قد حدثني نقيب صوفي من قريتي عن القطب وأنه رآه. قال: « كنا بمولد البدوي مرة دون الصاري فسمعت من بعيد فحيح مزمار، فرأيت شيخي يهرول إلى باب السرادق، ثم يكسر من قامته، حتى لتكاد تمس رأسه الأرض، ويرفع يديه في رعب شديد يحيي بهما رجلا أشعث أغبر منهتك السوأة، وبيده عكاز طويل، يدب به على الأرض، وقد تقدمه رجل مثله ينفخ في « مزمار » ثم تنهد الرجل وهو يستعيد ذكرياته، ثم قال: « وهكذا رأيت القطب، فقد سألت شيخي عن الرجل الأول: أليس هو القطب؟ وصاحب المزمارِ حاجبه؟! فأجاب: بلى، ولكن اكتم السر!! ».

[٤] **مار الشيء مورا**: تحرك وتدافع.

[٥] **الجلاميد** مفردها: جُلمود وهو الصخر.

لضريح[١] ابن الفارض سعيًا على القدم!! وهناك حيال الوثن الفارضي، يغني مرافقي قصيدة ابن الفارض: «نسخت بحبي آية العشق من قبلي» فتذرف عيناه وعيناي الدموع، ويحترق قلبي وقلبه شجنًا على هذا العاشق المحروم، عصف به الغرام، وأضناه الحرمان!!. كل هذا كان !! ثم ماذا؟!.

ثم هداني الله سواء سبيله، وسلكت بي رعايته مسلك التوحيد والإيمان، فماذا حدث بعد؟! تطلعت نفسي إلى الماضي الوثني – وهي نَهْب حسرة حزينة المأساة، وخميلُ[٢] أفراح معطَّرة – تَطَلُّعَ الناجي من السعير مازالت في أتونه[٣] المتأجج ضحايا تعسةٌ منكودة[٤] جَنَتْ عليها الصوفيةُ ما جنت عليَّ، وتطلعتُ إلى الريف الحزين، يستعبده شيوخُ الطرق، ويغصبون أيتامَه ما يُوَصْوِصُ[٥] فيهم من رَمَقٍ[٦] خابي[٧] الشعاع، وأراملَه ما هُنَّ في حاجة ملهوفة إليه لِيَسْدُدْنَ خَلَّة، أو يسترن عورة، ومساكينه حتى الذبالة المحتضرة من حشاشتهم.

تطلعتُ إلى الريف الوديع تجعل منه الصوفية فساد عقيدة، وضلالة فكر، وذلة ومهانةً في الأخلاق، وَرَدْغَةَ[٨] بدع وجهالة وخرافة وأساطير، وعبوديةً خانعة لهوىَ الأحبار، وسدانةً يعكف فيها السَّدَنَةُ[٩] على بَغْي طواغيتهم، يبشرون بسماحة بِرِّه، وأريحية رحمته!!.

وتطلعت إلى المدينة يعبث في أرجائها الصوفية، فتحيل أهلها – حتى

---

[١] نشدانا من نشد الضالة، نشْداً: طلبها.

[٢] الخمْلُ: ريش النعام، والخميل من الثياب: ذات الخمْل؛ ويقصد بهذا التعبير ذكريات كانت جميلة ومبهجة – في نظره آنذاك –.

[٣] الأتون: الموقد الكبير.

[٤] نَكَدَ، نكداً: شؤم، والمنكود: السيئ.

[٥] وصوصت الجارية؛ إذا لم ير من قناعها إلا عيناها.

[٦] رَمَقه: نَظَر إليه و الرَّمَق: هو بقية الروح.

[٧] هو من (خبى) يقال (خَبَت) النار تخبو خُبواً: سكنت وطفئت. ويقصد به المؤلف؛ أي شعاع باهت نوره ضعيف.

[٨] رَدِغَ المكان – رَدَغًا: وَحِلَ.

(٩) السَدَنة، مفردها (سادن) وهو خادم الكعبة.

الكثير من المثقفين منهم – عبيد قبور، وَعُبَّاد جيف، وأحلاس منكر وزور، وموالي أذِلأَّء لكل طاغية باغية!!.

تطلعت إلى هؤلاء وأولئك، وذكرت ما كابدته، فصرخت موجعًا من هَوْل الفاجعة أحاول إنقاذ الضحايا التعسة، المُغِذَّة السُّرَى[١] وراء الذئاب الضواري من الصوفية!!.

وأكتب ما أكتب، ضارعًا إلى الله وحده أن يمد بالمعونة – فمنه وحده يُسْتَمَدُّ – وأن يتبين لتلك الضحايا المسكينة أنها تتجرع الْغِسْلين تحسبه رحيقًا، وتطعم الْوزِين[٢] تظنه فاكهة الخلد، وتدين بوثنية – هي شر ما ابتدع الشيطان لأوليائه من وثنيات، وتخالها توحيداً مُطَيَّبًا بِرَوْح الله!!.



[١] **أعدَّ السير** : أسرع فيه، **والسُّرَى**: سير عامة الليل. وهذا التعبير يقصد به المؤلف أنهم يسرعون وراء هؤلاء القوم (الصوفية) وهم في ظلمة شديدة لا يرون أمامهم سوى هؤلاء.

[٢] «**الوزين**»: هو الحنظل المطحون.

هذا الكتاب

لهذا الكتاب الذي نصدره بهذه المقدمة قصة، فمن أعوام خلت، شكا سماحة شيخ الصوفية إخوانًا لي من أنصار السنة، بدعوى أنهم ينالون من كرامة الصوفية، فكان أن رجوت وكيل النائب العام أن أقف وحدي موقف المتهم، فلم يجد المحقق ما يأخذنا به، وقد قدمنا له الأدلة الدامغة من كتب الصوفية على ما دمغناهم به، وعلى صفحات «مجلة الهدي النبوي» نشرت – بعد التحقيق معي – خطابًا مفتوحًا إلى سماحة الشيخ، فيه ما فيه من حق يصعق باطلاً، وتوحيد يقضي على وثنية؛ ليعلم الشيخ ومن خلفه، أنهم مهما كادوا لنا، أو مكروا بنا، فإننا لن نسكت عن أساطيرهم، ولأحنقه[١]، فيضرب بكل سهم في جعبته، فتكون فرصة أهتبلها، لكشف خفايا الصوفية أمام كل جهة يشكو إليها مني، وألح إخواننا أنصار السنة هنا وفي السودان العزيز وغيره في طبع الخطاب، فطبعت منه آلاف النسخ، فكان أن صودر في السودان بأمر الحاكم العام السابق ولما أن نفدت [نسخه] طبعه إخواننا في سوريا الشقيقة(٢). [و] قد ترجم إلى الإندونيسية.

وألح إخواننا في طبعه مرة أخرى، فعدت إلى الكتاب أكتبه من جديد وأزيده كثيراً من النصوص، وموضوعات جديدة لم تكن في طبعته الأولى،

---

[١] أحنقه: اغاظه.

(٢) طبع هناك تحت إشراف الأخ الكريم الأستاذ «محمد نسيب الرفاعي» عن جماعة الصراط المستقيم بحلب عام ١٩٥٢م وقد جاء في مقدمته الرائعة التي قدم له بها الأخ الكريم ما يأتي: «إن بوادر خاتمة أولياء الشيطان قد لاحت، وبشائر انتصار الحق على الباطل قد دقت، وإن هذه البوادر والبشائر لاحت جميعها من هذا الكتاب – صوفيات – هذا الكتاب الذي ساوم المبطلون الضالون صاحب المطبعة التي طبع فيها على إعطائه أجرة الطبع، وقيمة الورق مقابل تسليم الكتاب لهم ليحرقوه .. هونًا أيها القوم، مايغنيكم إحراق كتاب الصوفيات؟ أليس مأخوذًا عن كتبكم ورسائلكم؟ إن كل تهمة موجهة إليكم فيه إنما هي منقولة بالحرف الواحد من مجلدات نتحداكم أن تقولوا إنها ليست لسادتكم وكبرائكم».

حتى أربى الكتاب على ضعفي حجمه الأول، فليس افتئاتًا على التاريخ أن أسميه: «هذه هي الصوفية» بدلاً من اسمه الأول «صوفيات(١)» وسيرى القراء كما عودتهم، أنني لم أرم الصوفية بغير ما به تدين، وأننا لم نعتد بقول أحد في الصوفية، وإنما اعتددنا بنقل نصوص كثيرة من كتب الصوفية بينة الدلالة على معتقدهم، مقارنين بينها وبين بعض آيات القرآن الكريم، وأحاديث خاتم النبيين ﷺ، هذا لكيلا يفتري صوفي أننا نرميهم بغير ما يفترون على الله، كنا نستطيع أن نصنع صنيع بعض نقدة الصوفية قديمًا وحديثًا، فنأتي بفتاوي أئمة المسلمين في شأن الصوفية، أو ننقل ما نقلوه عن الصوفية من نصوص، بَيْدَ أني رأيت أن يكون للعدل والحق والتحقق الرعاية الأولى، فنقلت دين الصوفية من كتبهم التي يؤمنون بها ذاكرًا اسم الكتاب، وتاريخ ومكان طبعه، ورقم الصفحة التي عنها نقلت؛ لأرمي الظن والريب باليقين الواضح؛ ولأبعد كل شبهة تتوهم أننا نفتات عليهم، أو نَبْهتهم؛ وليكون كل قارئ مفتيًا لنفسه بالحق، وحكمًا بين الحق وباطلهم.

وقد يعيب علينا بعض من سحرتهم طقوس الصوفية، وشاعريتها الكهنوتية الْعُنْفَ في المحاجة، لكننا لهؤلاء نقول: رويدكم!! فإنما نسمي الأشياء بأسمائها، ونصفها بصفاتها، فلا نقول عن الزّقُوم: إنه تفاح الجنة، ولا عن الغِسْلين: إنه رحيق الفردوس، ولا عن الشرك: إنه توحيد، بل لا نحب أن نداهن النفاق فنزعم أن شرك الصوفية خطأ، فحسب، كما ينافق بعض الشيوخ الذين مَرَدُوا على النفاق، ومرنوا على المخادعة والمداجاة[٢]؛ ليحسبوا مع الكافرين(٣)، ومع المؤمنين!! وعجب مُغْرِبٌ في العجب، أن نغضب، بل نرتجف من الْحَنَق إذا دُعِينا نحن بغير أسمائنا، ونحقر من ينتسب إلى غير

(١) رد عليه كاتب في السودان بكتيب سماه «الجياد الصافنات في الرد على صوفيات» ورد عليه كاتب في سوريا بكتاب سماه «نسف الصوفيات» فكان ردهما أبلغ دليل على أن الصوفية وثنية عفنة، وحجة على أنهم في ضلال ما دمغناهم به.

[٢] **المداجاة**: المداراة.

[٣] في إطلاق لفظ «**الكافرين**» نظر؛ لأن الصوفية بجملتها لا تكفر، بل أكثر ما يقال أنها فرقة ضالة، ذلك لأن كثيرًا من عوام الصوفية لا يعرف تفاصيل مذهبهم.

أهله، ثم لا نغضب من نعت الباطل بأنه حق!! وعجب ذاهل الدهشة أن نرمي بالعمى والجهالة من يسم الليل: بأنه نهار مشمس، أو من يقول عن المر: إنه حلو، أو من يقول عن الثلاثة: إنها واحد!! أو من ينسب إلى مذهب رأى مذهب آخر، أو من يخطىء في حقيقة تاريخية، أو جغرافية، أو مادة قانونية، ثم لا نرمي بهما – بالعمى والجهالة – من ينعت الصوفية بأنها إسلام صحيح، ومن يقول عن الطائفين حول القبور، اللائذين بأحجارهم الصم: إنهم مسلمون[١]!! ثم يمكر؛ ليحسب مع المسلمين، فيقول عن أولئك: ولكنهم مخطئون!!

عجب أن نكفر من ينسب إلى محمد ﷺ حديثًا موضوعًا، والقائلين بأن الله ثالث ثلاثة، ثم نحكم بالإيمان الحق لمن ينسبون إلى النبي أنه الصوفيُّ الأول، وأنه الموحي بدين الصوفية!! من يقولون: إن الله عين كل شيء وأنه مليون ملايين!! نحكم بإيمان هؤلاء، لا لشيء سوى أن لهم أسماء تشاكل أسماء المسلمين!!

إن الحق والدفاع عنه يُحتِّمان علينا أن نسمي كل شيء باسمه، ونصفه بصفاته، وإلا افترينا عليه، وجعلنا للباطل السَّوْرَةَ والصولة، وداجينا في الإيمان. أما هذه النعومة والطراوة والرخاوة المخنثة في الذياد عن الحق، والجهر بكلمة الحق، أما ذلك فشر أنواع الجبانة الذليلة، والخداع والرياء والعجز المهين!! قولوا عنا ما شئتم، فإن للحق صولة تجتاح كل صولة أخرى، ولن ينال منها أن ترموا بعض جنده بالعنف في البيان والمحاجة، وعجيب أن نرمى بالعنف، أو ينتقد علينا هذا في الدفاع عن أعظم مقدسات الدين والفضيلة، والله يقول ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

قولوا ماشئتم، فليس بنافع ما تتقولون به الذياد عن الصوفية أو الإبقاء على

[١] لتطبيق حكم الكفر على أحد معين لابد من ثبوت شروط وانتفاء موانع، انظر تفصيل ذلك في «مدخل للكتاب».

رمقها الشاحب المحتضر!! بل ستبقى رغم ما تتقولون به تلك الحقائق الصاعقة العاصفة المدمرة تدك هياكل الصوفية، ستبقى شاهد عدل وحق ساطع البرهان على أن الصوفية عدو الإسلام الألد الخصام، بيد أن هذا العدو يسحرك بغزل التقبيل، ويسكرك بخمرة العناق، حتى إذا أغمضتْ عينيك النشوةُ الحالمة، أنفذ إلى صميم قلبك خنجره المسموم.

وما نشتري بما نكتب رضاء الناس، وإنما نبتغي به رضاء الله، فلله ما بذلت من جهد، وأضرع إليه سبحانه أن يدخره لي جهداً في سبيله، وألاَّ يضيعه بذنب منَّا نقترفه، وهو مولانا ونعم النصير.

عبد الرحمن عبد الوهاب الوكيل

الفصل الأول

مقدمة

معذور

شكوتَ إلى النيابةِ يا سماحة الشيخ(١)؛ لِتَنْتَصِفَ لك من إنسان يدعوك إلى الحق، وإلى الإيمان به.

ولا تَثْريب[٢] عليك!! فَهَتْكُ القناع السِّحْرِيِّ عن الصوفية حرمانٌ لِكَهَنَتِها من السُّحْت يُجْبى باسم الأوثان. ولم لا؟!.

وسيراها الناس ثَمَّتَ أمشاجًا من اليهودية الباغية، والمجوسية الماجنة، والوثنية المستغرقة في الجحود!! سيرون الصوفية الْغَزَلِيَّة الفتون حَمْأَة من الشرك الخاتل[٣] تَمِضُ على شفتيه بسمات الغانية الْمُتَبَرِّجة؛ لتفتك، وتقتل!!.

أرأيتَ إلى من شكوتَه، كيف يَفْتري لك العذر، ويبتسم إشفاقًا عليك من ثورتك العارمة عليه؟! وما تَنْقِم من هذا المسلم سوى أنه يبصرك بجناية هذه الجماعة التي قال الله فيها ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) ﴾ [يس: ٦٠] ؟! يُبَصِّرك بجنايتها الظالمة على الدين الحق وقِيَمه الروحية، على الفكر الملْهَم، والأخلاق التي تَسْتَوْحي السماء النورَ والسموَّ والهداية، على الْمُثُل العليا للجماعة الإسلامية.

أملنا في الشيخ

ولقد كنا نأمل - والشيخ من كبار علماء الأزهر - أن يقود هذه الجماعة الضالَّةَ الحَيْرى إلى هَدْيِ الله، وأن يحول بينهم، وبين تَدْمير ما للجماعة الإسلامية من مُقَوِّمات، وما لدينها من قِيم، ومازال الأمل يُغْريني طيفُه الشاعرُ

(١) المقصود سماحة شيخ الطرق الصوفية فإليه يوجه الخطاب.
[٢] **التثريب**: الاستقصاء في اللوم.
[٣] «**ختل**»: خدع «**والخاتل**»: الخادع.

أنك يا سماحة الشيخ ستفعل ذلك لمالَك في ماضيك من سوابق خير، وأوقن أنك لو فعلت لكنتَ ليثَ بطولة فادية، تهتف بها الأحقاب في إعجاب، وتُرَتِّل الثناء عليها مزاميرُ القرون!!.

ضحية

هذا رجاءُ شاب مسلم أغوى صباه الغريرَ سحرُ الصوفية، فَجَرَّعته زُعافَها يحسبه خمرة الجنة تدهق كئوسها الملائكة، وغسلينهَا يخاله رحيقًا تُرْويه به الحورُ النواعم، ثم أشرقت على روحه المظلم أشعةَ الهدى من كتاب الله، فنظر، فماذا رأى؟

رأى ماضيَه الصوفيَّ شيطان كفرٍ ماردٍ يغتال إيمانه، وشركٍ يعصف بالرَّمَقِ الشاحب من توحيده، فياحَرَّ قلباه!! كان الفتى اليتيم الروح يأمل أن يمشي على الماء، وأن يُحَلِّق بجناحيه فوق قبة النجوم، وأن يتحد بالروح الإلهيِّ الأعظم، وأن يهتك - كالشهاب الثاقب - حُجُبَ «السَّوِيَّة والْغَيْرِيَّة[1]»؛ ليشهدَ حقيقة الوحدة الْكُبْرى، وحدة الوجود، ويسعدَ بها، وقد تحققت في ذاته!! كان يأمل ذلك كلَّه، فبكل هذه الأساطير المجوسية وعدته الصوفية، ولكن!! وآه مما بعدها من أدمع وجراح!!.

أمَّلت أن أمشي على الماء، فكانت الحُمَمُ المدمدماتُ من سقر!!.

أملت أن أحلق بجناحيٍّ فوق الأفق، فإذا هي مأساة المشرك التي قَصَّها الله في كتابه ﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)** ﴾ [الحج: ٣١].

فَمِنْ ذروة القمة الحالمة الخيال هويت - يَدُكُّني الصخر الأصَمُّ الناتئ - إلى غَوْرٍ سحيق سحيق!!.

---

(١) اصطلاحان صوفيان مأخوذان من كلمتي «سوى وغير» والصوفي الحق في دين الصوفية من يوقن أنه لا «سوى ولا غير» أي يرى الكلَّ عينًا واحدة!!.

وهنالك على الصخور الحدباء[١] بقيت مني أشلاء متناثرة، تروي لك عبرتي الحزينة المفجوعة!!.

وهنا في القلب الدامي جراحٌ نازفةٌ تنوح بين يديك بمأساتي الدامية!!.

أمَّلت الاتحاد بالروح الإلهي، فلم أجد غير الشيطان ينفث في دمي فتونَه، ويتلظَّى في غرائزي غَيًّا يتعشَّق كل ساجية!!.

أملت شهود الوحدة الكبرى!!.

وآه من هذه الأسطورة الناعسة الفتنة، المكحولة الآثام!!.

فقد وعدتني الصوفية أن هذه الأسطورة ستجعل مني إلاهًا ثائر الرغبات، عاصف الشهوات، يَجْمَحُ به هواه إلى امتهان ألوهيته في سبيل مثل هذه الرِّغابِ التي تشهَّاها الحرمان من شاعر ظامئ الجسد.

آه يا يوم التلاقي ليتني كنت إلاهًا
لأَبحْتُ الناسَ للناسِ خدودًا وشفاها

وعدتني بالربوبية تتجلى فِيَّ بصورة بشرية، فأصرف الوجودَ بقدري القاهر، وقضائي الذي لا مَرَدَّ له، وأسخِّر السماء والأرض، والعواصف والجنَّ، والملائك والحورَ، أسخرهم لصَبَوَاتِ شبابي، ونزوات هواي!!.

ألم يُبِحْ كاهن الصوفية التلمساني في دينه الأم والأخت، ويرمي من يحرمهما على الابن والأخ بأنه محجوب؟![٢].

ألم يؤكد طاغوت الصوفية الأكبر «ابن عربي»(٣) أن الربَّ الأعظم غانيةٌ هَلُوكٌ الشِّفاهُ على ثغرها قبلا دنسة ملتهبة!! وأن هذا الربَّ لا يبلغ كمال تجليه

---

[١] الحَدَب: ما ارتفع من الأرض.

[٢] ص ١٧٧، جـ١، «مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية، قال المعلِّق: التلمساني هو: سليمان بن علي بن عبد الله، والتلمساني ينسب إلى تلمسان وكان ميلاده بها سنة ٦١٠ هـ، ووفاته سنة ٦٩٠ هـ ومن العجيب أنه كان يلقب بـ«عفيف الدين التلمساني» «الموسوعة الصوفية»، د. عبد المنعم الحفني ص١٠٦، مكتبة مدبولي.
قال فيه شيخ الإسلام: «كان يستحل جميع المحرمات، حتى حكى عنه الثقات؛ أنه كان يقول: البنت والأم والأجنبية شيء واحد ليس في ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا حرامٌ عليكم» مجموعة الرسائل (١ / ١٨٤) دار الكتب العلمية.

(٣) هو محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي مات سنة ٦٣٨ هـ.

الأعظم إلا حين يتجسد في صورة أنثى تجتاح أنوثتها خطيئةُ كل عِرْبيد في غيابة الليل!! قد يتجلى هذا الربُّ في صورة مَلَكٍ أو رجلٍ، بَيْدَ أن تَجَلِّيه في صورةٍ ماجنةٍ تُعْوِل بالشهوة، وتصرخ بالرغبة، وتَتَقَتَّل بالمفاتن، وتغازل بالإثم – تجليه في تلك الصورة أحلى وأجمل، وأتم وأكمل!!.

إذ يتجلى في الرجل بصورة فاعل، أما في المرأة فيتجلى في صورة فاعل، وصورة منفعل، وصورة فاعل منفعل معًا في مَجْلىً واحد(١)!!.

تَثْليث آخر!! غير أن وراءه شهوة متمردة تَنْزُو به!! عُذْرَاك إن جَمَحَتْ بي رغبتي في الذياد عن الحق إلى ذكر خطايا صوفية، يَدْمى منها حتى الخزي، وتثير الحياء في صفاقة وجه البغي!!. عُذْرَاك فإنما نجاهد لتدمير الطاغوت الأكبر، وشيخ الصوفية يشكو منا إلى النيابة، لأننا نكشف لهم ما افتراه الشيطان من أديان وثنية، فتن بها الآبقين من الخلق، وسَمَّاها لهم صوفية!!.

فمضى الكهان يبشرون بها على أنها توحيد يشع منه وحده الحق، وإيمان سماوي الروح، عُذْرِيُّ الحب، فكان خطرها الناجم الداهم، هو القَاصمة، بل كانت أشد خطرًا على المسلمين من المجوسية، فهذه مُسْتَعْلنةُ الْبَغْيِ لها من قلنسوتها آية[٢]. أما الصوفية، فَبَسَمَاتٌ حلوة خَلُوب[٣]، ونجاوي ناعمة شَفَّ رِقَّتها عشق محروم، ونغمات عذَابٌ آسرة، وعمائم منتفخة كالبطون المُتخمة من الحرام، ولحًى بيضٌ مُرْسلَة على قلوب سود، يعيث فيها مشط مُوَسْوِس، ومسبحات بألوان الطيف مسحورةُ الْهَيْنَمة[٤]، لا تمل من الترتيل، موَشَّاةُ الذوائب، مُنَعَّمَة الأنامل، تصطفق حَبَّاتها في رعونة ثائرة!!.

واجب الشيخ

كان واجب الشيخ – وقد ذكرته بهدى الله – دعوة أتباعه إلى الإسلام،

(١) سيأتيك نصه بلفظه.
[٢] أي أن المجوسية مكشوفة أمام الجميع، وكلٌ يعرف أنها عدوٌ للإسلام وأهله، أما الصوفية فعلى العكس من ذلك.
[٣] «خلوب»: خادعة، وفعله: خَلَبَ.
[٤] «الهينمة»: الصوت الخفي.

يؤمنون بالكتاب والسنة، ويكفرون بالصوفية، وتراثها الوثني، فإن لم يرض أتباعه بالله وحده ربا، وبكتابه – فَحَسْب – إماما، وبرسوله الحق وحده أسوة وقدوة، كان حقًا على الشيخ أن يفر إلى الله مُخْبتا مؤمنًا، وأن يترك – رَضِيَّ النفس – هذا المنصب وأصنامه، ترجمهما لعنة الله!!.

لماذا أكتب للشيخ ؟

في خياليَ الْكليلِ شَفَقٌ خابٍ من حسن الظن بالشيخ، وأطياف شاحبة الصور تُخَيِّلُ إليَّ أن الشيخ على جهالة بدين الصوفية، وبما تطفح به كتبها من وثنية، ومن أعماق نفسي الحانية ينبعث دعاء ثائر الإلحاح في برٍّ وإشفاق، يدعوني إلى أن أنشر بين يدي الشيخ، وصَوْب فكره وعينيه كتاب الصوفية ليري فيه صور أربابها – وتعالى جَدُّ ربنا الحق –، ورسولها[١] – وبرأ الله خاتم النبيين من بهتانها –، وأوليائها – وحاشا أولياء الرحمن أن تمسهم صوفية –، فلعل الشيخ حين يرى هذه الصور التي تفجع النفس والضمير والخلق الكريم والفكر البصير، يهب بها على الجاهلية الصوفية ثورة حقٌّ قوي لطمه باطلٌ، وعزم مشبوبٍ أحنقه ظلمٌ خاتل، وهناك يروي التاريخ عنه للآباد الواعي قصة البطولة الفادية، وتزخر القلوبُ المؤمنة بمشاعر الإعجاب به آية حب عميق، ودليلَ أخوة في الله، أتراك تفعل يا سماحة الشيخ؟!.

وإلا فسنَظَل – بعون الله – نُلْهِب بسياط الحق ظهورَ الآبقين[٢]، ونَدُكُّ بمعاوله – غير هَيَّابَةٍ ولا واهنةٍ – معابدَ الأصنام، حتى تخر على سدنتها وعبيدها، ولن يحول بيننا – بتوفيق الله – وبين التذكير بما هدى الله إليه، وفرض علينا الجلاَدَ المُسْتَلئم دونه، عواصفُ شَرٍّ تثيرها علينا أحقاد الصوفية المُسْتَعِرة، فما لقلب المؤمن أن يرهبَ في الحق إلا من فطره، ولا أن يرغب إلا في رضاه﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم (١٢٩) ﴾ [التوبة: ١٢٩].

[١] أي رسول الصوفية، وهو معطوف على أربابها.

[٢] «أبق»: هرب، يقصد الهاربين عن عبودية الله إلى عبودية الأصنام.

دين الصوفية

للصوفية مدد من كل نحلة ودين إلا دين الإسلام، اللهم إلا حين نظن أن للباطل اللئيم مدداً من الحق الكريم، وأن للكفر الدنس روحاً من الإيمان الطهور، والصوفية نفسها تبرأ إلا من دين طواغيتها مؤمنة بأنه هو الحق الخالص، يقول التلمساني — وهو من كُهَّان الصوفية — «القرآن كله شرْكٌ، وإنما التوحيد في كلامنا(١)» وابن عربي يزعم أن رسول الله أعطاه كتاب فصوص الحكم — وهو دين زندقته — وقال له(٢): «اخرج به إلى الناس ينتفعون به ويقول: «فحققت الأمنية كما حَدَّه لي رسول الله بلا زيادة ولا نقصان» ثم يقول:

«فمن الله ، فاسمعوا وإلى الله فارجعوا»[٣]

على حين يذكر الحق وتاريخه الصادق أن الصوفية تنتسب إلى كل نحْلةٍ مارقة، وتنتهب منها أخبث ما تدين به، ثم تفتريه لنفسها، مؤمنة به، وتحمل على الإيمان به كل فراشة تطيف بجحيمه، وإلا فهل من الإسلام أسطورة وحدة الوجود[٤]، وخرافة وحدة الأديان؟! فتلك تزعم أن الله — سبحانه — عينُ خلقه، عينهم في الذات والصفات والأسماء والأفعال، تزعم أن واهب الحياة، وخالق الوجود عينُ الصخر الأصم، والرمة العفنة!! ووحدة الأديان تزعم أن كفر الكافر، وخطيئة الفاجر عين إيمان المؤمن، وصالحة الناسك، تزعم أن دين الخليل هو دين أبيه آزر، وأن إيمان موسى عين كفر فرعون، وأن وثنية أبى جهل عين توحيد محمد، فَكُلٌّ رب الدين ورسوله!! كل تَعَيُّنٌ للذات الإلهية،

(١) ص ١٤٥ جـ١ «مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية.

(٢) ص ٤٠ «فصوص الحكم» بشرح بالي ط ١٣٠٩ هـ.

[٣] نقل المؤلف هذا القول مختصراً ونصه في «الفصوص»: «أما بعد: فإني رأيت رسول الله ﷺ في مُبَشِّرة أُريتُها في العشر الآخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده ﷺ كتاب، فقال لي: هذا كتاب «فصوص الحكم» خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أُمرْنا. فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب، كما حدَّه لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان» انظر مقدمة الكتاب. ص ٤٧ ط. عيسى الحلبي، والبيت في الصفحة ٤٨.

[٤] سيأتي تفصيل عن ذلك كله إن شاء الله تعالى.

غير أنها سميت في تَعَيُّنٍ بمحمد، وفي آخر بأبي جهل، وهي هي في مظهريها، أو اسميها!! تزعم أن دين إبليس وإيمانه عين دين أمين الوحي، وروح إيمانه، بل زادت الخطيئة فجوراً، فزعمت أن إبليس أعظم معرفة بآداب الحضرة الإلهية من أمين الوحي، وأسمى مقامًا!!.

أَفَمِنْ دين الإسلام هذه الخطايا الكافرة؟!.

افتراءٌ على دين الله

ولكن ما بالي أسرف في الحجاج؛ لأثبت ما ليس في حاجة إلى دليل يثبته، بل ما الصوفية – نفسها – تقر مؤمنة به؟!.

سلوها لِمَ انتبذت من المسلمين مكاناً قصيًا تسمى فيه المدنين برحبها صوفيين، لا مسلمين، والاسمان متقابلان تقابل الظلام الجائر، والضوء الباهر؛ سلوها لِمَ تمقت ما سمى به الله من يعبدونه على بصيرة، وتَجْنَح إلى اسم ماله من دلالة إلا على كفر أو مذلة؟ سلوها مَنْ هم كهان دينها، وأحبار طقوسها؟ سلوها لِمَ تُوَرِّث أحقاد طواغيتها على الكتاب والسنة؟ سلوها لِمَ تفتن الأغرار عن دين الحق، فتزعم لهم أن الإسلام شريعة وحقيقة، تعني بالشريعة ما أوحاه الله إلى رسوله، وبالأخرى وساوس الأبالسة النافثين لبدع الصوفية. سلوها، وسلوها؛ ولكن لاتكدوا أنفسكم، فهذا ابن عجيبة الفاطمي الهوى، الصوفي الدين يلهمكم جواب ما عنه تسألون، فإليكم ما افتراه: [فأما] واضع هذا العلم – يعني التصوف – [هو] النبيُّ ﷺ علمه الله [له] بالوحي والإلهام، فنزل جبريل أولاً بالشريعة، فلما تقررت، نزل ثانيًا بالحقيقة[١]، فخص بها

---

[١] الحقيقة والشريعة مصطلحان من مصطلحات الصوفية المشهورة؛ «الحقيقة» – عندهم – عبارة عن المعنى الذي لا يجوز عليه النسخ، وحكمه متساو منذ عهد آدم حتى فناء العالم مثل: معرفة الحق، وصحة معاملة النفس بخلوص النية. والشريعة – عندهم – عبارة عن المعنى الذي يجوز عليه النسخ والتبديل: مثل أحكام الأوامر، فالشريعة هي فعل للعبد، والحقيقة هي حفظ الله وعصمته جل جلاله للعبد، والشريعة هي حفظ العبد لأحكام الظاهر علي نفسه، والحقيقة هي حفظ الحق لأحوال الباطن عن العبد، والشريعة من المكاسب، والحقيقة من المواهب»، من «كشف المحجوب» للهجويري مختصراً ص ٦٢٧ – ومرادهم =

بعضًا دون بعض، وأول من تكلم فيه، وأظهره سيدنا علي كرم الله وجهه، وأخذه عنه الحسن البصري(١)» وإنها لَفرْية جائرة الإفك على رسول الله، وبَهت له بجريمة ملعونة، جريمة كتمان العلم، وأي علم؟ إنه علم الحقيقة في دين الصوفية!! أفيكتم الرسول الحق وعلمه ودلائله، وقد توعد كاتم العلم بعقاب شديد من الله «من كتم علمًا يعلمه الله إياه، ألجم اليوم القيامة بلجام من نار[٢]» ثم وراء هذا البهتان اتهام صريح لأبي بكر وعمر وعثمان، ومعهم خيار الصحابة من السابقين، بأنهم كانوا أَنْضَاءَ ضلالة وجهالة بما يعرج بالروح إلى محبة الله، ووراءه محاولة حقود مصممة على تجريد الجماعة الإسلامية من خيار سلفها وخيار خلفها من صفة الإيمان الحق، وحسب الصوفية أن تبوء هي وحدها بما تبهت به الصديقين والشهداء.

وسيلة المعرفة عند الصوفية

ويدين الصوفية ببهتان آخر يدمغها بالمروق عن الإسلام، ذلك هو اعتقادها أن الذوق الفردي(٣) – لا الشرع، ولا العقل – هو وحده وسيلة المعرفة ومصدرها. معرفة الله وصفاته، وما يجب له(٤)، فهو – أي الذوق – الذي

= بـ «الحقيقة» أيضًا هو: إقامة العبد في محل وصل الله، ووقوف سره على محل التنزيه، «كشف المحجوب» ص ٦٢٨، وقد ينحرف هذا المعنى عند كثير من الصوفية ويذم أهل الشريعة بأنهم أهل الجمود والظاهر ولا يعرفون عن الأحوال والمقامات شيئًا؟ فعلم الحقيقة هو الجوهر، وبترقي الإنسان فيه يصبح ولياً لله. ولا شك أن هذا خطل، لأن الإنسان لا يترقى إلى الله ولا يصبح وليًا لله، إلا بطاعة الله ورسوله، فبتنفيذ أوامرهما واجتناب زواجرهما يترقى العبد ويصبح وليًا لله تعالى، وخاتم النبيين وأفضل الأولياء –ﷺ– كان أشد الناس عبادة من صلاة حتى تفطَّر قدماه، وصيام وغير ذلك مما يسمونه علم الشريعة أو العلم الباطن!!.

(١) ص٥ «إيقاظ الهمم في شرح الحكم» لابن عجيبة جـ١ ط ١٩١٣م. وفي قوله ذاك دليل الصلة الوثيقة بين الصوفية وبين الشيعة التي تؤله أئمتها.

[٢] قال المؤلف – رحمه الله –: رواه أبو داود والترمذي وابن حبان؛ ولم أجده لا في أبي داود ولا الترمذي وإنما الحديث رواه بنحوه؛ أحمد في «المسند» (١٠٤٩٢، ١٠٦٠٥) وابن حبان في صحيحه (٩٦)، والطبراني في الأوسط (٧٥٣٢، ٤٨١٥)، والكبير (١٠٨٤٥)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٦) وقال: على شرط الشيخين، ونصه «من كتم علمًا ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢١) وانظر: «صحيح الجامع» (٦٥١٧).

(٣) يعني به الذوق الخاص بكل إنسان.

(٤) لم نقل: وما يستحيل عليه؛ لأن الصوفية تؤمن بأنه سبحانه يجب له كل شيء، لأنه عين كل شيء، فلا يستحيل عليه نقص ولا عجز.

يُقَوِّم حقائق الأشياء، ويحكم عليها بالخَيْرِيَّة أو الشَّرِّية، بالحسن أو القبح، بأنها حق أو باطل، فلا جَرَم أن تدين الصوفية بعدد عديد من أرباب وآلهة، ولا عجب أن ترى النِّحْلَة منها تعبد وثنًا بغير ما تعبده به أخرى، أو تخنع لصنم يكفر به سواها من النِّحل الصوفية، لا عجب من ذلك كله، مادامت تجعل « الذوق » الفردي حاكمًا وقيمًا على المسميات وأسمائها، فيضع للشيء معناه مرة، ثم ينسخه بنقيضه مرة أخرى. هذه الحِدَّةُ في تَوَتُّر التناقض صبغة الصوفية دائمًا في منطقها المخبول، ولقد ضربت الصوفيين أهواءُ أحبارهم بالحيرة والفرقة، فحالوا طرائق قددًا، تُؤَلِّه كلُّ طريقة منها ما ارتضاه كاهنُها صنمًا له، وتعبده بما يفتريه هواه من خرافات!! على حين يجمعهم على الوحدة هوىً واحدٌ، وغايةٌ واحدة، هي القضاء على الإسلام والجماعة الإسلامية.

وما إخالك يا سماحة الشيخ تمتري فيما ذكرته لك، فأنت به خبير، وإلاَّ ففيم هذه الشِّيَعُ المتطاحنة(١)، وقيم هذه المشيخات المتنابذة، كلما دخلت واحدة منها عليك لعنت أختها، بل فيم هذه الحرب التي يثيرونها عليك في مكر دنيء ورياء ماكر؛ إذ جلست على عرشهم دون أن تكون لك قدم ثابتة في التصوف، ودون أن تُنَصَّب شيخ طريقة من قبل؟!! قلها صريحة الجرأة ياسماحة الشيخ، يهب الله لك هداه، ومقام الصِّدِّيقين، وإنه لَلْخَيْرُ الذي تنشده نفس كل مؤمن.



(١) يقول رويم البغدادي: « لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا، فإن اصطلحوا، هلكوا » ص ١٨١ « طبقات الصوفية » للسلمي، فليتنافر المسلمون، وليتطاحنوا، فهذا دين الصوفية.

الفصل الثاني

آلهة الصوفية

يفتري الصوفية – فمالهم من سجية غير ذلك – أنهم الذين يعرفون الله معرفة لا يمس يقينها ريب، ولا يشوب جلال الحق فيها شبهة، ويَصِمون المسلمين بعمى البصيرة(١)، وعَمَه العقل، وخَطَل الفكر، وجمود العاطفة، وفساد الذوق وخمود جذوة الحياة في الشعور، والإغراق العميق السحيق في المادية الصماء، والجمود الأحمق على عبادة التاريخ، ومازالت تلك دعواهم فما الرب الذي يعبدونه وإذا شئت إحكام الدقة، فسلهم: ما الرب الذي اختلقوه، ثم عبدوه؟

ناشدتك الله – إن مسك فيما أقول وهم ريبة، أو فتنك منهم عن الحق غزل ابتسامة، أو ترنيمة عاشقة بتسبيحة أو دعاء، ناشدتك الله إلا ما قرأت شيئًا من كتبهم، لتعرف رب الصوفية الأعظم. اقرأ من الفتوحات، أو الفصوص، أو ترجمان الأشواق، أو عنقاء مغرب، أو مواقع النجوم، وكلها لابن عربي. اقرأ من الإنسان الكامل للجيلي، اقرأ من تائية ابن الفارض وشرحها للنابلسي أو القاشاني، اقرأ من الطبقات والجواهر والكبريت الأحمر للشعراني، اقرأ من الإبريز للدباغ، اقرأ من كتاب الجواهر، والرماح وهما للتيجانية، وروض القلوب المستطاب لحسن رضوان، بل اقرأ حتى مجموع الأوراد الذي يتعبدون به الآن ودلائل الخيرات، «وأحزاب» الكهنة منهم في العشايا والأسحار.

إن الصوفية تنعت ابن عربي بأنه «الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر»[٢]

---

(١) يقول نيكلسون «والصوفية لا يفتئون يعلنون أنهم أمة الله المختارة» ص ١١٧ «الصوفية في الإسلام» ترجمة نور الدين شريبة.

[٢] للشعراني كتاب في ترجمة ابن عربي عنوانه «الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر».

وتخر له ساجدة، والجيلي بأنه « العارف الرباني والمعدن الصمداني » وابن الفارض بأنه « سلطان العاشقين » والشعراني بأنه « الهيكل الصمداني والقطب الرباني » فما أدعوك إذن إلى تلاوة كتب تنقم منها الصوفية دلائل الحق، وإشراق الهدى، بل إلى كتب تقدسها الصوفية على اختلاف نوازعهم، وتباين أهوائهم، ويجعلونها – ولا أعدو الصدق إذا قلت يعبدونها – ويرونها الأفق الأسمى لنور التوحيد، والمنبع السلسال لفيوض الربانية!! فإن قرأت شيئًا من تلك الكتب، فتدبر بعده آية واحدة من كتاب الله، واقذف بنور الحق الإلهي على دياجير الباطل الصوفي، وَثَمَّت يروعك، ويستفز الْغضابَ الثوائر من لعناتك أن تجد الصوفية تدين بربٍّ يَتَجَسَّد في أحقر الصور، وتَتَعَيَّنُ « هُوِيَّته وإِنِّيَّتُه[١] » في أنتن الجيف، وتتمثل حقيقته الوجودية صورَ أوهام في الذهن الكليل، وظنون حيرى في الفكر الضليل، وتَهاويل أُسْطُورِيَّةٍ في الخيال. ألم تُؤَله الصوفيةُ في دين كاهنها التلمساني رِمَّة كلب تقزز من صديدها الدود[٢]؟!

ومعذرة يا سماحة الشيخ، فو الذي هدى المسلمين إلى دينه الحق، وأوجب الجهاد دونه، ما قلت إلا الحق للحق، وما رميت إلا بالحق، وإن شئت فمرحبًا بموعد نلتقي فيه للمحاجة، فاختر ما شئت من أمكنة، وإن يكن قبة البدوي!!.

وهاك من النصوص ما يكشف لك في جلاء عن معتقدات الصوفية، وسأختار من النصوص ما لا يمكر به التأويل، من كتب تتخذها الصوفية شرعة لها ومنهاجًا في الدين، وتجعلُ أوثان مَنْ افتروها مطافات تَسْتَرْوِح عندها – كما تزعم – نسائم الجنة، وعبير الخلود، ورَوْح الله، وتضرع إلى جلاميدها

(١) الهوية عندهم هي الحقيقة الباطنة للذات الإلهية، والإنية هي حقيقتها الظاهرة في مجاليها المتنوعة.

(٢) مر التلمساني على كلب أجرب ميت في الطريق، فقال له رفيق له – وكان التلمساني يحدثه عن وحدة الوجود –: أهذا أيضًا هو ذات الله؟ مشيرًا إلى جثة الكلب. فقال التلمساني: نعم. الجميع ذاته، فما من شيء خارج عنها، انظر ص ١٤٥ « مجموعة الرسائل الكبرى » لابن تيمية.

الصمِّ أن تهب للروح السكينة، وللقلب اليقين المطمئن، وأن تمد الوجود بالحياة الفياضة بالخير واليُمْن والبركة، وأن تكشف لعبادها حقيقة الربوبية والإلهية ليعرجوا إلى الاتحاد بها، وترجو ما ينخر في عظامها من سوس، وينهش لحومها من دود، أن يُصَرِّف كُهَّانَ الصوفية في أقدار الله، وأن يجعل لهم السلطان على قضائه، وأن يُحَلِّق بهم فوق الذُّرى السامقات[١] من أقْدَاسِ الربانية!!

إله ابن الفارض(٢)

يؤمن هذا الصوفي ببدعة الاتحاد، أو الوحدة سمها بما شئت. بصيرورة العبد ربًا، والمخلوق خلاقًا، والعدم الذاتي الصِّرف وجودًا واجبًا، وإذا شئت الحق في صريح من القول، فقل: هو مؤمن ببدعة الوحدة، تلك الأسطورة التي يؤمن كهنتها بأن الرب الصوفي تَعَيَّن بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله في صور مادية، أو ذهنية، فكان حيوانًا وجمادًا وإنسًا وجنًا وأصنامًا وأوثانًا. وكان وهمًا وظنًا وخيالاً، وكانت صفاته وأسماؤه وأفعاله، عينَ ما لتلك الأشياء من صفات وأسماء وأفعال؛ لأنها هي هو في ماهيته ووجوده المُطلَق أو المقيَّد، وكل ما يقترفه البُغاة من خطايا، وما تنهش الضاريات من لحوم، أو تعرق من عظام، فهو فعل الرب الصوفي، وخطيئته وجرمه!!

وإخالك الآن تود لو تُسَوَّى بي الأرضُ، أو تدهمني - على غِرَّة - صاعقةٌ، إذ يجري على لسان الحق ذكرُ ابن الفارض منعوتًا بالزندقة وتعجب أن يكون سلطان العشق الصوفي زنديقًا!!

وما عليَّ - برحمة الله - مما تود، ولن يمنعني عجبك في ذهوله من أن أحكم على ابن الفارض بما ارتضاه هو دينًا له وتدبَّر ما سأنقل لك عنه من تائيته، فلعل يزول عجبُك، وينفثيء[٣] غضبك.

---

[١] «السامقات»: جمع «السامق»؛ وهو المرتفع الشامخ.

(٢) هو عمر بن أبي الحسين علي بن المرشد بن علي شرف الدين الحموي الأصل المصري المولد توفي سنة ٦٣٢هـ، ولم نتحدث عمن سبقه من الصوفية كالحلاج أو البسطامي مثلاً، لأنني اخترت أن أنقل عمن يجمع الصوفية جميعًا سلفًا وخلفًا على تقديسهم، أما الحلاج وغيره فيطعن فيه رياء ونفاقاً بعض الصوفية فتركته، حتى لا يكون لهم رياء معذرة.

[٣] «فثئ» غضبه: انكسر حدّته.

جَلَتْ في تجلِّيها الوجودَ لناظري ففي كلِّ مَرْئِيٍّ أراها [برؤيتي][١]

يزعم أن الذات الإلهية هتكت عنه حُجبَ الْغَيْرِيَّة، وجَلَتْ له الحقَّ المُغَيَّب، فرأى حقيقة الله مُتَعَيِّنةً بذاتها في كل مظاهر الوجود، رأى هذا الكون المادي بكل ما يدب عليه، أو يغتال الحياة والأعراض في غياهب ليله السَّاجي[٢]، ومَغَاوِره[٣] المظلمة، رآه هو عَيْنَ الله وماهيَّتَه، ورأى وجودَه عين وجوده، فما ثَمَّ من شيء عند ابن الفارض إلا وهو الله، بل ما للرب — رب ابن الفارض — وجود سوى وجود تلك الصور المادية، أو الذِّهْنية المنطبعة عن شيء متحقق، أو مُتَوهَّم، أو متخيَّل. أمَا وقد نَعَق بهذا البهتان، فَلْيَفْتَرِ لنفسه ما يترتب على الإيمان به؛ لهذا راح يزعم أنه بذاته اتحد بذات ربه، فكانت الثنائية في الاسم، وكانت الوحدة في الحقيقة والوجود، وأنه في جَلْوَة تلك الوحدة يشهد في ذاته وصفاته وأفعاله ذاتَ الله وصفاته وأفعالَه، وعن هذا يعبر.

وأُشْهِدْتُ غَيْبي، إذ بدت، فَوَجَدْتُني هنالك إيَّاها، بجَلْوَةِ خَلْوتي[٤]

شهد «هوية» الوجود الإلهي، أو باطنَه، و«إِنِّيَّةَ» وجوده هو، أو ظاهره، فلم يجد للربِّ وجودًا سوى وجوده ولا لذاته كيانًا متقوِّمًا غير كيانه، فهتف في جَذَل الْبُشْرى: أنا الله!!

بَيْد أنه خشي أن يتوهَّم أحدٌ أن هذا الشهودَ وهمٌ طارئ، أو حال عارض أو صورةٌ من حلم أَسْبَل[٥] لها فكره وعينه، خشى هذا، فقال:

ففي الصَّحْوِ بعد المَحْوِ لم أَكُ غَيرها وذاتي بذاتي، إذ [تَجَلَّت]، تَجلَّت[٦]

والصحو في دين الصوفية هو رجوعُ العارف إلى الإحساس بعد سَكْرتِه

---

[١] في الأصل (**برؤية**) وما أثبتناه من ديوان «ابن الفارض»، وهو البيت رقم (٢١٤) من التائية انظر الديوان ص ١١٠.

[٢] (**سجا**) الشيء: سكن ودام.

[٣] (**المغاور**): جمع (**مغور**)، (**وغوْر**) كل شيءٍ قعره.

[٤] البيت رقم (٢٠٩) من التائية.

[٥] (**أسبل**) على عينه: جعل عليها غشاوة.

[٦] البيت رقم (٢١٢) وفي المطبوع (**تَحلَّت**) وما أثبتناه من الديوان ص ١١٠.

بوارد قوى، وفيه يشهد العارفُ المغايرةَ بين الذات الإلهية ومظاهرها أو صفاتها، يشهد أن الكون ليس هو الذات الإلهية، وإنما هو تَجلِّياتُ أسمائها وصفاتها، ومجالٍ لأفعالها. أما المحو في دينها فهو امِّحَاءُ الكثرة والْغَيْرِيَّة [١]، والخَلْقيَّة المتنوعة المتعددة، وفناء السَّوِيَّة، وتجلي الوحدة المطلقة، فيرى الصوفي الخلقَ عين الحق، والمربوبَ عينَ الرب.

فَثَمَّتَ إذن فرقٌ عند الصوفية بين الصحو[٢] والمحو[٣]، ولكن ابن الفارض أبي أن يؤمن بهذا الفرقِ المُبْتَدع، فهتك الستر، ومزَّق القناع؛ ليكشف لك في قول صريح عن حقيقة معتقد الصوفية، ومضى مسرعًا يلهث؛ ليدرك فكرك قبل أن يؤمن بذلك الفرق بين الصحو وبين المحو!! وليؤكِّد لك أن دينَ الصوفية قائمٌ من أول أمره على الإيمان بأن الله سبحانه هو عين خلقه!! على نفي كل مغايرة – مطلقةً، أو مقيدة، إضافية، أو نِسْبية – بين الخالق والخلق، سواء في ذلك حال الصوفي في الصحو، وحاله في المحو، وهكذا صَرَّح ابن الفارض في جرأة شَرُود بما يرمز عنه سواه من منافقي الصوفية، حين يَفْجؤهم برهانُ الحق، ولذا يقول:

إلى كَمْ أُوَاخي الستر، ها قد هتكتُه وحَلُّ أَوَاخي الحُجْبِ في عقد بَيْعَتِي [٤]

يعني أنه عاهد الحقَّ حين بايعه على أن يهتك كُلَّ ستر، ويحل كلَّ أنشوطة[٥]، حتى يرى كُلُّ ذي بصر أن الله يتمثل دائمًا في صور الخلق، وتتعين ذاتُه بذواتهم!!

---

[١] أي ينمحي أن العبد غير الله، وتنمحي كثرة الأشياء أمامه، وكل هذه المغايرات تنمحي تمامًا فيري كل شيء هو عين الرب – تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

[٢] الصحو – في نظر الصوفية –: هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد الغيبة، وعكسه السكر وهو غيبة بوارد قوي. «الموسوعة الشاملة»، ص ٨٢٦.

[٣] المحو: هو رفع أوصاف بحيث يغيب العبد عندها عن عقله، ويحصل منه أفعال وأقوال لا مدخل لعقله فيها كالسكر. «الموسوعة الشاملة»، ص ٩٤٧، وبذلك ترى أنه يوجد فرق عند الصوفية بين الصحو والمحو، فهما كالضدين، أما ابن الفارض ففي حالته هذه لم يفرق.

[٤] البيت رقم (١٥٥) من التائية، وقال في الهامش يعني: «ها أنا قد هتكته بكشف الحقيقة والحال أن حل قيود الاستتار وكشف وجوه الأسرار ثبت في عقد بيعتي يوم الميثاق أي جبلت على هذه الماضية أزلاً» «الديوان» ص ١٠٢

[٥] **الأنشوطة**: العقدة.

وتدبر هذه الصراحةَ الصارخة الجرأة في قول ابن الفارض: «وذاتي بذاتي، إذ [تَجلَّت] تَجلَّتِ» تدبر تجد الزنديق، يأبى أن يثبت لربه ذاتًا، ويتعالى أن يجعل وجودَه هو فيضَ وجود ربه، فلم يقل: «وذاتي بذاته» أو «ذاته بذاتي» وإنما قال؛ ليحكم بالعدم الصوفي على رب الوجود الحق، وخالقه: «وذاتي بذاتي» فليس ثمت إلا ذاته هو في الحالين!! ألا تحس الجحودَ طاغيَ البغي!!

ما ثَمَّ عند ابن الفارض من رب، ولا مربوب، إلا وهو ابن الفارض إنه الخلاق، وإنه هو الوجود، وواهب الوجود، وما الربُّ الأكبرُ إلا أثر من آثار قدرته، أو جُزْئِيٌّ تائه حيرانُ من كُلِّيِّه!! هذا دين ابن الفارض. فبماذا تحكم عليه؟!.

فَوَصْفِي، إذ لم تدع باثنين وَصْفُها   وَهْيئتُها – إذ واحدٌ نحن – هيئتي[١]

يزعم أن كل ما وصف به اللهُ نَفْسَه، فالموصوفُ به على الحقيقة هو ابن الفارض؛ لأنه الوجود الإلهي الحق، في أَزَلِيَّتِه، وأَبَدِيَّتِه، وديموميته[٢]، وَسَرْمَدِيَّته[٣]..

فإن دُعِيَتْ كنتُ المجيبَ، وإن أكُنْ   منادًى أجابت من دعاني، ولَبَّت[٤]

إن دُعِيَ اللهُ أجاب ابنُ الفارض؛ لأنه عينه، وإن دعى ابن الفارض لَبَّى الله، لأنه اسمه ومُسَمَّاهَ! ولكن أتلمح الكبر جائرَ الْعُتُوِّ من ابن الفارض على خالقه؟ إذ يزعم أنه إن دُعِيَ الربُّ، فما يفعل ابنُ الفارض شيئًا سوى أن يجيب، أما إذا دُعِيَ ابن الفارض، فما يكفي الربَّ أن يجيبَ، وإنما يُهَرْوِل ملهوفًا إلى التلبية!!.

---

[١] البيت رقم (٢١٥) من التائية.

[٢] أي دوامه – سبحانه وتعالى –.

[٣] أي أنه – سبحانه – ليس له أول ولا آخر. «الموسوعة»، ص ٧٩٣.

[٤] البيت رقم (٢١٦) من التائية.

ما كفاه زعمه أنه هو الله، فأكَّد أن الربَّ الأكبر ما هوَ إلا صورةٌ شاحبة منه، وظلٌّ حيرانُ له!!.

فقد رُفِعَتْ(١) تاءُ المخاطب بيننا   وفي رَفْعِهَا، عن فُرْقَةِ الْفَرْقِ، رفعتي[٢]

الخطاب يستلزم الأثْنَيْنِيَّةَ، إذ لابُدَّ له من طرفين متقابلين مُخَاطِبٍ ومخاطَبٍ، ولهذا يكفر ابن الفارض بمايؤكده الخطاب في آيات الله، أو في دعاء الداعي من دلالة على المغايرة بين المتخاطبين!! وينفي صدور خطابٍ أو دعاءٍ منه إلى «غَيْرِ ما» فما ثمَّ «غَيْرٌ» حتى يخاطبه، أو يدعوه!!

فإذا ما صدر منه خطاب، أو دعاء إلى الله، فلا تحسبن أنه يخاطب غيره؛ إذ الخطاب صادر منه إليه، والدعاء متوجِّه به من نفسه إلى نفسه.

لقد كان يقول من قبل أن يُكْشَفَ عنه الغطاء: أنت أنت، فلما تَجَلَّت له الحقيقة صار يقول: «أنا أنا» فما «أنت» تلك إلا «أنا» ذاتًا ووجودًا!!.

ويرى ابنُ الفارض أنَّ إثبات الربوبية الخلاَّقة وحدها لنفسه شئ دون مقامه الأكبر، فيفتري أن له الربوبيَّة بوحدانيتها وصفاتها وأسمائها وأفعالها، بملكها وملكوتها، بِرَحْمَانِيَّتِهَا [وجبروتها]، بقدرتها القهارة، وعلمها المحيط الشامل، بما أبدعت من خلق، ومنحت من حياة.

[فلا][٣] فَلَكٌ إلا ومِنْ نور باطني   به مَلَكٌ يَهْدِي الهدى بمشيئتي(٤)

ولا قَطْرَ إلا حَلَّ من فَيْضِ ظاهري   به قطرةٌ عنها السحائبُ سَحَّتِ

---

(١) يصح أن يكون معناه أن الخطاب رفع بينه وبين غيره، لعدم وجود غير. ويصح أن يكون معناه أن «الفتحة» من تاء الخطاب في مثل «خلقت» بفتح التاء تحولت إلى ضمة وهي علامة رفع، فصارت «خلقت» بضم التاء لا فتحها أي صارت تاء المخاطب بفتح التاء عين تاء المتكلم.

[٢] البيت رقم (١٥٣) من التائية.

[٣] في المطبوع [ولا] وما أثبتناه من الديوان، والبيت والذي يليه رقم (٤٦٥، ٤٦٦) من التائية.

(٤) يقول تعالى لنبيه الأعظم ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦] فجعل ابن الفارض نفسه أعظم من محمد، وقرينًا مساويًا لله!!

ولولاي لم يُوجَد وجودٌ، ولم يكـن شُهُودٌ، ولم تُعْهَد عهودٌ بذمـة

فـلا حَيَّ إلا [عن][١] حيـاتي حياتهُ وطَوْعُ مُرادي كل نفس مريدة(٢)،[٣]

فبماذا يحكم المؤمن على زنديق يفتري أن ملكوتَ كلِّ شيء بيده، وأن الوجودَ كلَّه قطرةُ فيضٍ من جوده ووجوده، وأن الإرادة البشرية كلها طوع هواه.

وكُلُّ الجهات السِّتِّ نحوي تَوجَّهَتْ بما تَمَّ من نُسْكٍ وحَجٍّ وعمرة

لهـا صلـواتي بالمقـام ، أقيمُـهَا وأشهـد فيها أنهـا ليَ صَلَّت

هذه الصلوات يقيمها النسَّاك في قدس المحاريب، وهذه الضراعات يَتَبَتَّلُ بها القدِّيسون، وهذه الدعوات يَتَهَجَّد بها الْعُبَّاد تحت سَجَوات[٤] الليل، وهذه المناسكُ ينسكها الحجاج والمعتمرون. إنها لا تُرْفَع في الحقيقة إلى الله، وإنما تتوجَّه بها القلوبُ إلى ابن الفارض رجاء رحمته، وابتغاء رضاه!.

وَهؤلاء المُصَلُّون يُوَلُّونَ وجوهَهم شطر المسجد الحرام، إنهم يُوَلُّونها شطر هيكل ابن الفارض، وهذه النذور يحفد بها الملهوفون، إنها قرابين العبودية منهم، يبتغون بها وجهَ ابن الفارض.

والله - جل شأنه - يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] غير أن ابن الفارض يرفع في وجه الحق باطلَه، فيفتري أنه ما ثَمَّ إلا وجهه هو، وأن الكونَ كلَّه ما يُوَلِّي بجهاته الست وجهه إلا إليه!.

وذلك الرب الصوفي الْهَيْمَان في ملكوت ابن الفارض!، أيعيش عاطلاً بلا عمل؟، أيُخَالِفُ عن أمر ابن الفارض؟، كلا فقد أرغمه ابن الفارض على أن يَرْتَسِم خاشعَ الذل في المعابد يصلي لابن الفارض، ويرجو رحمته.

---

[١] في المطبوع [من] وما أثبتناه من الديوان، ص (١٦٢).

(٢) أيقول هذه مسلم؟ إنها لله وحده، فنسبها ابن الفارض إلى نفسه!!

[٣] البيتان رقم (٦٣٨، ٦٣٩).

[٤] سجا الشيء: سكن.

أرأيت إلى سلطان العاشقين: كيف يفتري في شعره الوثني كل هذه الخطايا المجوسية؟!

ويهفو ابن الفارض لاهث الأنفاث؛ ليفتري لك مرة أخرى، أنه هو الله.

كلانا مُصَلٍّ واحدٌ ساجدٌ إلى حقيقته، بالجَمْع(١) في كل سجدة

ولكن «كلانا» هذه دلالتها الحتمية على وجود اثنين أو تحقق وجودين يغاير أحدهما الآخر. لهذا كَرَّ ابن الفارض يعدو في لهفة مجنونة؛ ليستدرك على «كلانا» بما ينسخ ما تُوهِمُهُ، فقال:

وما كان لي صلَّى سوايَ، ولم تكن صلاتي لغيري في أدَا كُلِّ [ركعة][٢]

عبادة الأنوثة

ولست أدري لِمَ يُغْرَم الصوفية دائمًا بنعوت المرأة يحملونها على ربهم، فيزعمون أن ربهم يتجلى – غَزَلِيَّ الجمال – في صورة أنثى عاشقة ملهوفة تَتَقَتَّل بفتون أنوثتها الهيم لحيوان يراودها عن نفسها، إن هذا الإلحاحَ الجسدي في عبادة الأنوثة يدفعنا إلى محاولة اكْتِنَاه[٣] ما يَعْتَلِجُ[٤] به من شعور يتلظى بالنزوات الملتهبات والشهوات العرابيد؛ لتدرك علة ذلك التَّمَجُّسِ الصوفي الذي يؤَلِّه نار الجسد. أترى حين استبد بالصوفية عشقُ الأنثى، ولوَّعهم بالحرمان، أراقوا الْغَزَل في هوى المعشوقة، فلم تُنْد أنوثتُها منهم غليلاً، ولم تُبِح لحمَها للناب الملهوف، أتراهم حين احترقوا تَلَهُّفًا حتى إلى ظلي أنثى مبذولة، فلم ينالوا، صوَّر لهم ما يَؤُجُّ في غرائزهم من سعير أن الأنثى ليست – إذن – إلا ربا تعالت كبرياؤه، وتسامى عرشه؟

أم تراهم – والأنوثة تعاطيهم صَهْبَاءَ إثمها – أبوا إلا أن يترعوا الدِّنَّ كله،

(١) الجمع عند الصوفية هو «شهود الحق «أي الله» بلا خلق».

[٢] في المطبوع [سجدة] وما أثبتناه من الديوان؛ البيت رقم (١٥٤) من التائية.

[٣] كنه الأمر: حقيقته.

[٤] يعتلج: يضطرب.

فراحوا يُمِدُّونها في الغي، فزعموا لها أن الحقيقة الإلهية ليست إلا أنثى مشتهاة مشتهاة، وأن حقائق الوجود كله أنوثة تشرب الشهوات خمر جسدها المُعَتَّق؟! يمثل ابن عربي الطائفة الأولى، وستأتيك أنباؤه، أما ابن الفارض(١) فاسمع إليه يقول:

فـفي النشـأة الأولى تراءت لآدم	بمظْهَر حَوًّا قبل حُكْم [الأمومة][٢]
وتظهـر للعشـاق في كل مظهـر	من الَّلبْس في أشكال حُسْنٍ بديعة[٣]
ففي مرةٍ «لُبْنى» وأخرى «بثينة»	وآونةً تُدْعي «بِعَـــزَّةَ» عَـــزَّتِ

يزعم أن ربه ظهر لآدم في صورة حواء، و «لِقَيْسٍ» في صورة «لُبْنى» و«لجميل» في صورة «بثينة» و «لِكُثَيِّر» في صورة «عَزَّة». فما حواء [أم] البشر إلا الحقيقة الإلهية، وما أولئك العشاق سَكِرتْ على شفاههن خطايا القبل المحرمة، وتهاوت بهن اللهفة الجسدية الثائرة تحت شهوات العشاق، ما أولئك جميعًا سوي رب الصوفية تجسد في صور غَوَانٍ تطيش بهُدَاهُنَّ نَزْوَةٌ وَلَهَى، أو نَشْوَةٌ سَكْرى، أو رغبة تَتَلَظَّى في عين عاشق!!.

ويسرف ابن الفارض في توكيد أنوثة ربه، وتجليه أبدا في صورة جسد امرأة يَزِلُّ بها موعد الليل، فيقول:

(١) يصور لنا أحد أتباع ابن الفارض لونًا من ألوان مجون سلطان العاشقين فيقول: «دفع إلى دراهم، وقال: اشتر لنا بها شيئًا للأكل، فاشتريت ومشينا إلى الساحل، فنزلنا في مركب، حتى طلع البهنسا [مدينة بصعيد مصر الأدنى غربي النيل]، فطرق بابًا، فنزل شخص فقال: باسم الله، [فطلع] الشيخ، فطلعت معه، وإذا [أنا] بنسوة بأيديهن الدفوف والشبابات، وهم يغنون له، فرقص الشيخ إلى أن انتهى، وفرغ ونزلنا، وسافرنا حتى جئنا إلى مصر، فبقى في نفسي شيء، فلما كان في هذه الساعة جاءه الشخص الذي فتح له الباب، فقال له: يا سيدي فلانة ماتت – وذكر واحدة من أولئك الجواري – فقال: اطلبوا الدلال، وقال: اشتر لي جارية تغني بدلها، ثم أمسك أذني، [وقال]: لا تنكر على الفقراء!!» ص ٣١٩ جـ٤ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني طبع الهند ١٢٣٠ هـ. هذا هو ابن الفارض القديس يرقص ويغني والنسوة يرقصن معه ويضربن له الدفوف!! ومع هذا يحرم على تابعه أن ينتقده!! وهكذا كل الشيوخ.

[٢] في المطبوع [البنوة] وما أثبتناه من الديوان؛ البيت رقم (٢٤٧) من التائية.

[٣] البيتان رقم (٢٥١، ٢٥٢) من التائية.

ولَسْنَ سواها، لا، ولا كُنَّ غيرها   وما إنْ لها، في حسنها، من شريكة[١]

خشى ابن الفارض أن يَتَوَهَّم أحد في ربه أنه يغاير حقيقتَه، أو تتباين صفاته، وهو يتجلَّى مرة بعد مرة في صورة غانية، أو أن يَظُنَّ أن هؤلاء الغانيات «لبنى، بثينة، عزة» تغاير حقائقهن حقيقة ربه في شيء ما، خشى ابن الفارض ذلك، فاستدرك على الأوهام بما يحيلها يقيناً ثابتاً في أنوثة ربه، فقال: «ولسن سواها، لا، ولا كُنَّ غيرها» وهكذا صدق فيهم قول الله: ﴿إن يَدْعُونَ من دُونه إلاَّ إنَاثًا وَإن يَدْعُونَ إلاَّ شَيْطَانًا مَّريدًا (١١٧)﴾ [النساء: ١١٧] ماذا يحدث للشباب المسلم، ومنه لو أنه آمن بهذه الصوفية؟!.

فليفهم كل عاشق يطويه الليل على خاطئة أنه حين يقترف الخطيئة مع أنثاه، وتعربد في جسدها الرَّخْص أنيابُه وأظفاره، ليفهم كل عاشق أن أنثاه هذه التي يعرق أنوثتها ليست إلا رب الصوفية الأعظم!!.

ولْيُصَحِّحْ مؤرخو الأدب تاريخه، فابن الفارض يؤكد أن أولئك العشاق «قيس، جميل، كثير» وكل شعراء العشق لم يُريقوا خمور الغزل إلا للذات الإلهية متجسدة في صور عشيقاتهن القواتل!!.

أَوَعَيْت إذن علة إطلاق الصوفية على أربابهم أسماء نسوة(٢) جُلُّهن عواطل من الفضيلة، عوارٍ عن الشرف؟!.

وعلة عبادتهم لأجساد تلظَّى فيها الشيطان، وعربد بخطاياه؟! ذلك لأن كهان الصوفية أوحوا إليهم أن أربابهم تتجلى دائمًا في صور إناث تَجَرَّدْنَ لخطايا العشق، وآثام الليل في حان الغرام!!.

ومعذرة إلى من يقرءون للهدى[٣] عما أثرته في نفوسهم من غثيان بذكر هذا القيء القذر من الكفر الصوفي، وعما يحسونه بنقل تلك الأبيات من حَرَجٍ تختنق فيه العاطفة، ويتقلَّى الضمير.

---

[١] البيت رقم (٢٥٣) من التائية.

(٢) أنصت إلى المنشدين اليوم في حلق الرقص الصوفي أو الذكر كما يزعمون تجدهم يرقصون الذاكرين على مناجاة «ليلى وسعاد» وغيرهما!!.

[٣] مجلة «الهدي النبوي»؛ إذ أصل الكتاب مقالات نشرت بها.



لمن كان سجود الملائكة؟

ولا يمل ابن الفارض من تكرار إفكه الوثني يزعم فيه أنه هو الله، فيضيف إليه أنه عين رسل الله أيضًا، وعين آدم الأب الأول للبشرية، وعين الملائكة الذين سجدوا لآدم.

وفيَّ شَهِدتُ الساجدين لِمَظْهَري(١) فَحَقَّقْتُ أني كنت آدمَ سَجْدتي[٢]

وإليك شرح القاشاني – وهو كاهن صوفي – لهذا البيت: «أي عاينت في نفس الملائكة الساجدين لمظهري، فعلمت حقيقةً أي كنتُ في سجدتي آدمَ تلك السجدة، وأن الملائكة يسجدون لي – والملائكةُ صفةٌ من صفاتي(٣) – فالساجد صفة مني تسجد لذاتي(٤)» أرأيت إلى شرح القاشاني؟ لقد نقلته لك بلفظه مثلاً لما يشرح به الصوفية أساطير دينهم؛ لتؤمن أني لم أمِلْ مع الهوى فيما شرحت لك به أبيات ابن الفارض، وأظنني ما بلغت مبلغ القاشاني في الشرح، فهو صوفي يدين بالتائية.

وحسبنا هذا من سلطان عشاق الصوفية!!

إله ابن عربي[٥]

أما هذا الطاغوت الأكبر، فقد افترى للصوفية ربًا عجيبًا يجمع بين النقيضين المُتَوتِّرَيْن في ذاته، وبين الضدين الحقيقيين في صفاته، فهو الوجود

(١) يعني به آدم عليه السلام، فهو في دينه تجسد للذات الإلهية التي هي ابن الفارض.

[٢] البيت رقم (٤٧٦).

(٣) فسر الملائكة بأنها صفات، ليتقي القول بالغيرية والتعدد، ولكيلا يعترض عليه بمثل هذا: مادمت تتحدث عن ساجدين وعن مسجود له فقد قلت بذوات كثيرة، وأغيار عديدة.. لايعترض عليه بمثل هذا لأنه يزعم أن الملائكة ليست ذوات. وإنما هي صفات للذات الإلهية والصفات عنده عين الذات، فلا تعدد، ولا غيرية!!.

(٤) ص ٨٩ جـ٢ «كشف الوجوه الغر» على هامش شرح الديوان طبع ١٣١٠ هـ.

[٥] هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي الأندلسي، الملقب: محي الدين المعروف بـ«ابن عربي» – تمييزًا له عن ابن العربي المالكي – ولد في مرسية من بلاد الأندلس سنة (٥٦٠ هـ). زنديق له كفر بواح، قال بكفره جم غفير من العلماء انظر بعضها في «جزء فيه عقيدة ابن عربي» للفاسي، تحقيق/ الحلبي. ط. ابن حزم.

الحق، وهو العـدم الصـرف، هو الخـلاق، وهو المخلوق، هو عين كل كـائن، وصفاته عين صفات كل موجود وكل معدوم، هو الحق الكريم والباطل اللئيم، هو الفكرة العبقرية، والخرافة الحمقاء، هو الخاطرة الـمُلْهَمَة، والوهم الذاهل، والخيال الحيران، والمستحيل الذي لا يتصور فيه العقل أبداً أن يخطر حتى مرة واحدة في بال الإمكان، والممكن الذي يرى فيه الفكر أجلى معاني الإمكان، والذي لا يتوهَّم فيه العقل وهم استحالة، هو المؤمن، وهو الكافر، هو الموحِّد الخالصُ التوحيد، وهو المشرك الأصم الوثنية، هو الجماد الغليظ، وهو الحيوان ذو المشاعر المرهفة، والحساسية المتوقدة، هو الملاك الساجد تحت العرش، وهو الشيطان الذي يصطرخ في سقر، هو الْقدِّيس الناسك يذوب قلبُه في دموع التسابيح، وهو العِرْبيد يضج الماخور[١] من بغي خطاياه، هو الراهبة التي تحيا على محبة الله وتقواه، وهو الغانية التي تحيا للجسد المبذول، وتعيش على ثمنه، هو النور يغمر الوجود بمباهجه، وهو الظلام مَوَّار الكهوف بالفزع والرهبة، تلك هي بعض ذاتيات رب ابن عربي، وبعض خصائص الإله الصوفي!!.

ولهذا يؤمن الطاغوت بأن اليهود عُبَّاد العجل ناجون، بل يؤمن بأنهم كانوا على علم بحقيقة الألوهية، لم ينعم موسى ولا هارون بلمحة من تجلياته، ولا ببارقة من انكشاف الأسرار الإلهية المغيبة له!! لأنهم ما قصروا العبادة على فكرة مجردة خاوية كموسى، وإنما عبدوا الرب متجليًا في صورة عجل، فأدركوا من حقيقة الأمر ما لم يدركه هارون، وهو أن الذات الإلهية لا تعبد إلا حين تتجلى في صور خَلْقِيَّة!!.

ويؤمن ابن عربي بقدسية عبدة الأصنام، ويمجد صدق إيمانهم وإخلاص توحيدهم، يؤمن بالصابئة عباداً يوحدون الله، ويخلصون له الدين، يؤمن بسمو إيمان الذين عبدوا ثلاثة آلهة غير أنه يعيب عليهم قصورهم عن إدراك

[١] «الماخور»: هو بيت الرِّيبة ومجمع أهل الفسق والفساد وبيوت الخمَّارين.

الحقيقة كاملة؛ إذ عبدوا الله في ثلاثة أقانيم، على حين كان الواجب أن يعبدوه في كل شيء، فليس الرب عنده هو تلك الأقانيم، فحسب، وإنما هو عين ما يُرى أو يُحَس، وعين ما لا يُرى، وما لا يُحَس، فأصحاب الثالوث عنده مخطئون؛ لأنهم عبدوا بعض مظاهر الرب، أو بعض تَعَيُّناته وكان واجبًا أن يعبدوه في الكل؛ لأنه هو ذلك الكل فيما ظهر منه، وفيما بطن!![1].

ربوبية كل شيء

واسمع إليه يؤكد لك أن كل شيء هو الله سبحانه: «سبحان من أظهر الأشياء، وهو عَيْنُها(٢)» «إن العارف من يرى الحَقَّ (الله) في كل شيء، بل يراه عين كل شيء(٣)» وكلمة «شيء» في دين الطاغوت تُطْلَق حتى على الصور الذهنية والوهمية وعلى العدميات، فوق إطلاقها على كل موجود له كيانه المادي المستقل المتقوم بذاتياته وخصائصه. فابن عربي كما ترى أصرح الدعاة إلى وحدة الوجود، بل هو كاهنها الأكبر!!.

الرب إنسان كبير

واسمع إليه يحكم على ربه بأنه يجب أن يوصف بما يوصف به الخلق، حتى بما فيهم من نقص وعجز وحمق وجهالة، ويُحَدُّ بما يُحَدُّ به كلُّ كائن

[١] اقرأ الفص (العيسوي) و (المحمدي) من فصوص الحكم لابن عربي. [قال في الفص العيسوي: اعلم أن من خصائص الأرواح أنها لا تطأ شيئًا إلا حيي ذلك الشيء وسرت الحياة فيه؛ ولهذا قبض السامري قبضة من أثر الرسول الذي هو جبريل وهو الروح، وكان السامري عالمًا بهذا الأمر فلما عرف أنه جبريل، عرف أن الحياة قد سرت فيما وطئ عليه فقبض قبضة من أثر الرسول بالضاد أو بالصاد أي بملء يده أو بأطراف أصابعه فنبذها في العجل فخار العجل، فذلك القدر من الحياة السارية في الأشياء يسمى لاهوتًا، والناسوت هو المحل القائم به ذلك الروح» «الفصوص» (٢٠٩، ١١٠).

وقال في الفص المحمدي: «(فص حكمة فردية في كلمة محمدية) وإنما كانت حكمته فردية لأنه أكمل موجود في هذا النوع الإنساني فلهذا بدئ الأمر به وختم فكان نبيًا وآدم بين الماء والطين، ثم كانت منشأته العنصرية خاتم النبيين، وأول الأفراد الثلاثة»، انظر: «الفصوص»، ص (٣٢٦، ٣٢٧)، شرح القاشاني].

(٢) ص ٦٠٤ جـ٢ «الفتوحات المكية» لابن عربي.

(٣) ص ٣٧٤ «فصوص» بشرح بالي، ص ٣٨٢ بشرح قاشاني، ص ١٩٢ جـ١ بتحقيق الدكتور عفيفي.

على حدة: «فما يُحَدُّ شيء إلا وهو حَدٌّ(١) الحق، فهو الساري في مُسَمَّى المخلوقات والمبدَعات [ولم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود. فهو عين الوجود، «فهو على كل شيء حفيظ» بذاته؛ «ولا يئوده» حفظ شيء. فحفظه تعالى للأشياء كلها حفظه لصورته أن يكون الشيء غير صورته. ولا يصح إلا هذا][٢]، فهو الشاهد من الشاهد، والمشهودُ من المشهود، فالعالم صورته، وهو روح العالم المدبر له، فهو الإنسان الكبير»(٣).

الرب هو صور العالم

واسمع إليه يؤكد لك أن ربه هو كل ما ترى من صور العالم: «هي ظاهر الحق؛ إذ هو الظاهر، وهو باطنها؛ إذ هو الباطن، وهو الأوَّل؛ إذ كان، ولا هي، وهو الآخر؛ إذ كان عينَها عند ظهورها(٤)» وتدبر تعريف ابن عربي لربه بقوله: «[فهو] عين ما ظهر، وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثَمَّ من يراه غيره(٥)، وما ثم من يبطن عنه، فهو ظاهر لنفسه، باطن عنه، وهو المسمَّى أبا سعيد الخراز(٦)، وغير ذلك من أسماء [المحدثات]» والعارف الحق بالله عند ابن عربي هو من يرى «سريان الحق (الله) في الصور الطبيعية والعنصرية، وما بقيت له صورة إلا ويرى عينَ الحق [عينها]».

صفات الرب صفات الخلق

ويحكم ابن عربي على ربه، ويصفه بالعجز الذليل، والنقص المشين،

---

(١) الحد هو أتم أنواع التعريف، فإذا عرفت الصنم مثلاً بحد ما، فهذا التعريف صادق على الرب الصوفي، لأنه هو ذلك الصنم نفسه.

[٢] هذه الزيادة سقطت من الأصل، أثبتناها من الفصوص، ص (١١١).

(٣) ص ١١١ «فصوص الحكم» ط الحلبي.

(٤) ص ١١٢ «فصوص» ط الحلبي.

(٥) يعني أنك إذا رأيت إنسانًا، أو حجرًا، فقد رأيت الرب الصوفي، بل الرائي والمرئي هما عين ذلك الرب.

(٦) هو أحمد بن عيسى ممن تكلم في الفناء الصوفي توفي سنة ٢٧٩ هـ

والسفه والحماقة، وبأنه مناط مذمة وتحقير ومهانة. فيقول: «ألا ترى الحقَّ يظهر بصفات المحدَثات، وأخبر بذلك عن نفسه، وبصفات النقص، وبصفات الذم؟! ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها – وكلها حَقٌّ له – كما هي صفات المحدَثات حق للحق(١)».

لقد خشي ابن عربي أن يتوهم فيه إنسان أنه يطلق صفات الخلق على الله سبحانه إطلاقًا مجازيًا، أو يطلق صفات الله على خلقه كذلك. خشي هذا، فمحا توهُّم المجاز عن الأولى بقوله: «كما هي صفات المحدثات حق للحق» فلا تتوهم مجازًا مًّا فيما يحكم به ابن عربي على ربه، أو فيما يصفه به من ذم ونقص وعجز. ومحاه عن الأخرى بقوله: «وكلها – أي صفات الله من ربوبية وإلهية وخالقية ورازقية، وسواها مما هو من صفات الله وحده – حق له»، أي للمخلوق، فالخلق يوصف بصفات الله على الحقيقة لا على المجاز!! ذاك دين ابن عربي.

رب الصوفية وجود وعدم

ورب الصوفية في دين ابن عربي يستغرق كل نسبة عدمية، أو وجودية «فالْعَلِيُّ لنفسه، هو الذي يكون له الكمال الذي يستغْرِق به جميعَ الأمور الوجودية، والنسب العدمية، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها وسواء كانت محمودةً عرفًا وعقلاً وشرعًا، أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا، وليس ذلك إلا لمسمَّى الله تعالى خاصة(٢)».

فأي رب هذا الذي يبعثه وجود، ويفنيه عدم؟ أي رب هذا الذي يكون مناط الذم من الشرع والعقل والعرف؟ لقد نعت ابن عربي ربه بكل مذمة، فلماذا لا يذمه الشرع والعقل والعرف؟!.

(١) ص ٨٠ «فصوص» راجع ما كتبته في «دعوة الحق» ص ٣٠ وما بعدها.
(٢) ص ٧٩ «فصوص».

كل شيء رب للصوفية

لقد كفرت الصابئة؛ لأنهم عبدوا الكواكب، وكفرت اليهود؛ لأنهم عبدوا العجل، وكفرت النصارى؛ لأنهم عبدوا ثلاثة أقانيم، وكفرت الجاهلية؛ لأنهم عبدوا أصنامًا أقاموها لمن مات من أوليائهم، لتكون مقصد الرجاء، ومطاف الآمال، كما كان أصحابها، وهم ناعمون بالحياة. فماذا تقول في الصوفية، أو بماذا تحكم عليها، وهي تدعو إلى عبادة كل شيء؟! ألا يقول الجيلي: «إن الحق تعالى من حيث ذاته، يقتضي ألا يظهر في شيء، إلا ويُعْبَد ذلك الشيء، وقد ظهر في ذرات الوجود[١]؟!» ويزيد ابن عربي الفرية جلاء بقوله: «والعارف المكمَّل من رأى كُلَّ معبود مَجْلى للحق يُعْبَد فيه، ولذلك سموه كلهم إلهًا، مع اسمه الخاص بحجر، أو شجر، أو حيوان، أو إنسان، أو كوكب، أو ملك»[٢].

فهل تراني جَنَحْت إلى غُلُوٍّ مَا حين قلت لك: إن الصوفية استمدت من كل كفر، ودانت بكل ما دان به الكافرون من قبل، فكانت هي وحدها تاريخ الوثنية كلها، وحمأتها منذ ابتدعها إبليس ليضل الكافرين؟!.

ألا ترى ابن عربي حَفِيٌّ القلب والشعور والعاطفة بعبادة الحجر والشجر «آلهة الجاهلية» وبعبادة الحيوان «آلهة الفرعونية واليهودية» وبعبادة الإنسان «إله النصرانية والشيعة» وبعبادة الكوكب والملك «آلهة الصابئة»[٣]؟!.

فالصوفية هي كل ذلك الكفر، ثم تحته وفوقه، وعن شماله ويمينه ومن

---

(١) ص ٨٣ جـ٢ الإنسان الكامل للجيلي.

(٢) ص ١٩٥ جـ١ فصوص، وقد عدد في هذا النص آلهة الذين كفروا من قبل، فعبدوا الحجر والشجر والحيوان والإنسان والكوكب والملك، يعني الصابئة واليهود والنصارى والذين أشركوا. وصوب عبادتهم، إذ كل ما عبدوه في دينه ليس إلا ربًا تجلى في صورة ذلك المعبود.

[٣] يوجد بالأصل [أي] وحذفناها لتناسب السياق.

خلفه ومن قُدَّامه كفرها الخاص بها!! وفيما ذكر ابن عربي ما يثبِّت اليقين في قلبك بما أقول.

التجسد في النساء :

وكما عبد ابن الفارض جسد الأنثى، عبده كذلك ابن عربي، بيد أن الأول عبد المرأة مستباحة العفة له، وعبدها الآخر مستعصية الشرف عن أهوائه.

وإليك نصًا واحدًا من فصوصه يكشف لك عن مدى إيغال ابن عربي في عبادة الأنثى «ولما أحبَّ الرجلُ المرأةَ، طلب الوصلة(١)، أي غاية الوصلة التي تكون في المحبة، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح(٢)، ولهذا تعم الشهوة أجزاءه كلها، ولذلك أُمِر بالاغتسال منه - فعمت الطهارة، كما عم الفناء فيها - عند حصول الشهوة، فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره، فطهَّره بالغسل(٣)؛ ليرجع بالنظر إليه فيمن فنى فيه، إذ لا يكون إلا ذلك، فإذا شاهد الرجل الحقَّ(٤) في المرأة، كان شهوداً في منفعل، وإذا شاهده في نفسه - من حيث ظهور المرأة عنه - شاهده في فاعل، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما تكوَّن عنه، كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل؛ لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة؛ فلهذا أحب ﷺ النساء؛ لكمال شهود الحق فيهن(٥)، إذ لا يُشاهَد

---

(١) يقصد بها ما يحدث بين الذكر والأنثى.

(٢) يقصد به ماله من معنى في أذهان العامة بدليل ما ذكره بعده، لا يريد الزواج بل شيئًا آخر.

(٣) يزعم أن الله لم يأمر بالغسل إلا ليتطهر العبد مما توهمه من أنه كان مع امرأة، على حين كان هو مع الربة الصوفية جسداً وخطيئة!!.

(٤) الحق في دين الصوفية هو الذات الإلهية في وجودها المطلق!!.

(٥) يزعم ابن عربي أن علة حب الرسول ﷺ للنساء هي اعتقاده أنهن الله في أجمل صور تعيناته وتجلياته، ورغبته في الالتذاذ الجسدي المتنوع بربه!!.

الحقُّ مُجَرَّدًا عن المواد أبدًا، [فإن الله بالذات غني عن العالمين. وإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعًا، ولم تكن الشهادة إلا في مادة]، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله، وأعظم الوصلة النكاح(١) ».

وتستطيع أن تلخص، وتستخلص من هذا النص وحده دين ابن عربي كله. إنه يعتقد أن رب الصوفية يتجلى أعظم تجل له في صورة أنثى يهصر[٢] جسدها المستسلم حيوانٌ ثائر الجسد. يعتقد أن العاشقين ينتهبان خطايا الليل، هما رب الصوفية!! ويلحف على العشاق، عربدت بهم خمرة الأجساد من دنان الإثم أن يدينوا بأنهم كانوا مع الرب الصوفي ليلاً وخطيئة وغريزة ولذة!!، فما استغرقوا في اللذة بأنثى، بل بالرب المتجسد الخطايا في أنوثة عصفت بها الرذيلة!! ثم ينحدر ابن عربي في سرعة مجنونة إلى أعمق الأغوار السحيقة من المادية، فيؤكد لنا: أن الرب الصوفي شيء مادي، وأنه لا يرى أبدًا إلا في مادة!! هذه هي روحانية الصوفية يا من عنها تذودون!! روحانية يفتري كاهنها الأكبر هذه الفرية الكبرى فيقول: « لا يشاهد الحق (الله) مجردًا عن المواد أبدًا » ويقول: « وهو من حيث الوجود عين الموجودات، فالمسمى مُحْدَثات هي العلية لذاتها، وليست إلا هو(٣) »:

وما ينبغي – احترامًا لعقلك يا سماحة الشيخ – أن أدلك على أساطير الزندقة في تلك النصوص الصوفية، فإنها تكاد تنشب مخالبها في العين لتراها!!

أترى تخزك الندامة على أنك شكوتنا، فنكأت[٤] لك الجراح، أم تراها تخزك لما ظلمت به مَنْ يود لك الخير، ويدعوك إليه، ولأنك في مكانك هذا تحمل أوزار الصوفية كلها على ظهرك؟!.

---

(١) ص ٢١٧ « فصوص » جـ١ ط الحلبي، ص ٤٣٧ ط استامبول بشرح القاشاني، ص ٤٢٠ بشرح بالي ط ١٣٠٩هـ.

[٢] **هصر الغصن**: أخذ برأسه فأماله إليه.

(٣) ص ٧٦ جـ١ « فصوص » لابن عربي ط الحلبي.

[٤] **« نكأ »** القَرْحَةَ، نكئًا: قشرها قبل أن تبرأ فنديت.

التجسد المسيحي. والتجسد الصوفي

وتلوذ بي عاطفة من إشفاق تحملني على ألاَّ أزيد جرحك انتكاسًا بذكر نصوص أخر، غير أنني أود تذكير الشيخ بأن المسيحية[١] حين سلبتها الصوفية رشدها وهداها، وقداسة الروحانية فيها، فرغبت بها عن التوحيد الخالص إلى الشرك؛ بعبادة ثلاثة آلهة!! إن المسيحية حين استعبدتها غواية الصوفية أبت أن تخبط وراءها في كل مهلكة، فلم تؤمن بتجسد الذات الإلهية في كل شيء وإنما اختارت جسداً طيبًا طاهراً، شرف الله صاحبه بالرسالة، وآمنت بأنه التجسد الأعظم لله!! ومع هذا لم تنل من الله إلا لعنة الأبد، وغضب الأبد، وسعير جهنم يصلونها، وبئس المصير.

أما شيخكم الأكبر، فقد هوى به الكفر، أو هوى هو بالكفر، إلى أبعد أعماق الهاوية الساحقة الماحقة، وانحدر به إلى كل منحدر، فآمن بتجسد ربه في أجساد تقيحت من الدنس، آمن بتجسد ربه في الجيف، وفي الأوثان، وعجل السامري، وفرعون موسى، ثم هَفَتت[٢] به غُلْمَتُهُ[٣] الآثمة، فكشفت عن دخيلة نفسه الآبقة تعبد ربًا تتلظى غرائزه، وتتسعر شهواته، وتشتهي مفاتنه حين يتجسد في أنثى طاحت بها نزواتها لقًى تحت رغبة كل عابر يراود خطيئة!!.

لماذا عبد ابن عربي المرأة؟

إن كبريتكم الأحمر هذا أحب امرأة ذات مرة، هي ابنة الشيخ مكين الدين. وأين؟ في مكة!!.

وهفا العاشق المُدلَّهُ يتلمس جسد المرأة، وسبيل أنيابه إليها، راح يتوسل إليها أن تتجرد له، وأن تبيح قدس عرضها لخطيئته، فأبت العذراء، يتلهب حياؤها كرامة أن يلغ في شرفها ذئب!!.

[١] التعبير الشرعي لهذه الطائفة «النصرانية» وليس «المسيحية»، فكذلك سماهم الله - عَزَّ وَجَلَّ - وسماهم رسوله ﷺ.

[٢] «هَفَتَت»: تساقطت.

[٣] «الغُلْمَة»: شدة الشهوة للجماع.

لقد أرادته للقلب الطاهر، وأرادها هو للجسد الثائر، أرادته للطهر والمعبد وأرادها هو للدنس والماخور، فتمنعت الفتاة عن نابه الطحون، فنظم فيها ديوانه « ترجمان الأشواق » قُرْبانًا من شهواته إلى جسدها الْفَوَّاح العطر والفتنة، لعلها تنحدر معه إلى الهاوية، فتهب له من جسدها مضغة، أو مِنْ دمها رَشْفَةً، فذادته الفتاةُ عن حَرَمَ مخدعها الْوَرديِّ، ولَجَّت في إبائها النبيل الكريم، وأبت إلا أن تكون عذراء متألقة العرض، روحانية العاطفة، مُمَنَّعَة العفة والشرف، ترى، هل أراب اليأسُ منها عشقَ ابن عربي؟ كلا، فقد استغرق نفسَه، ووجودَه، وملأ عَليه دنياه فتنة ولهفة وقلقًا عاصفًا، فلم يَعْرُه اليأس، ولا مَسَّ لهبَه خمودٌ، فعاد إلى ديوانه يشرحه بدين الصوفية، يؤكد لهذه الجميلة النافرة الأبيَّة أنها هي الرب متجسداً في صورة أنثى جميلة، وأنه ما أحَبَّها إلا لأنها أجمل تعيُّنات الحقيقة الإلهية، وأنه – إذ يَتَشَهَّاها – فإنما يتشهى فيها أنوثة ربه، وجسده الفائر!! فأبت المرأة إلا أن تكون أنثى شريفة، لا ربًّا صوفيًا يحتسي الآثام!! ومضى ابن عربي وراء الأسطورة موغلاً في التيه الموحش، والدغل الرهيب، مضى وراءها يمجدها، ويهتف بها حتى صارت الأسطورة حقيقة صوفية صريحة، منحها ابن عربي وجوداً حَيًّا صريحًا، وأمدَّها مثله الأحبار الزنادقة معه ومن بعده وهكذا تغزل الصوفية في « ليلى وبثينة وسعاد »[١]!!

---

[١] قال ابن عربي يحكي قصة تاليف هذا الديوان :

« وكان لهذا الشيخ – وهو الشيخ مكين الدين أبي شجاع زاهر بن رستم الأصبهاني قرأ عليه ابن عربي الترمذي وهو في مكة – بنت عذراء، طفلة هيفاء، تفيد النواظر، وتسر المحاضر، وتحير المناظر تسمى بالنظام »، وظل يمدح فيها نحو عشرين سطراً، ومماقاله :

« فقلدناها من نظمنا في هذا الكتاب – يعني الديوان – أحسن القلايد، بلسان نسيب رائق، وعبارات الغزل الرائق، ولم أبلغ بذلك بعض ما تجده النفس، ويثيره الأنس، من كريم ودِّها، وقديم عهدها ... » .

« فكل اسم أذكره في هذا الجزء فعنها أكنى، وكل دار أندبها فدارها أعني، ولم أزل فيما نظمته في هذا الجزء عن الإيماء إلى الواردات الإلهية، والتنزلات الروحانية، والمناسبات العلوية، جريًا على طريقتنا المثلى » .

يعني طريقته الشيطانية في أنه تصور الإله في صورة تلك المرأة. انظر: (ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق) ص ١٧٤، ١٧٥، تحقيق د. محمد علم الدين الشقيري .

وتسائلهم، فيزمون[١] الشفاه تهكما من حماقة جهلك!! ويرمقونك بالنظر الشَّزْر، وكأنما يقولون لك: مسكين!! مازال يجهل أن ربنا أنثى جميلة!! ضليل!! لم يهتد إلى أن الغانية اللعوب الْهَلُوك هي الأفق الأعظم لتجليات الربوبية والإلهية، وإلى أن جسدها الْمَنْهُومَ الجائع إلى الآثام جسدُ ربنا الأعظم!! وأنها هي هو جسداً فاتنًا، ورذيلة سوداء!!.

فقر الإله الصوفي إلى الخلق

الله سبحانه يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] غير أن الصوفية تؤمن بإله هو الفقير إلى الخلق، فقير إليهم في وجوده فقير إليهم في علمه، فقير إليهم في بقائه، فقير إليهم في طعامه وشرابه، وفقير إليهم في كل شيء يهب له الظهور بعد الخفاء، والوجود بعد العدم، ويحول بينه، وبين الفناء.

يقول ابن عربي: «فوجودنا وجوده، ونحن مفتقرون إليه من حيث وجودنا، وهو مفتقر إلينا من حيث ظهوره لنفسه» ويقول: «فأنت غذاؤه بالأحكام(٢)، وهو غذاؤك بالوجود، فتعيَّن عليه ما تعيَّن عليك، والأمر منه إليك، ومنك إليه، غير أنك تُسمَّى: مكلَّفا، وما كلفك إلا بما قلت له: كلفني بحالك، وبما أنت عليه – ولا يُسَمَّى مكلَّفا: [اسم مفعول].

فيحمدني، وأحمده ويعبدني وأعبده(٣)»

ذلك هو رب الصوفية الذي افتراه لها ابن عربي، وبه يدين أقطابها، وله يسجدون!!

---

[١] «زمّ» بأنفه: تكبَّر.

(٢) أي أسماؤك أسماؤه، وصفاتك صفاته، وأفعالك أفعاله، فلولاك ما سمي ولا وصف، ولا حكم عليه بحكم لأنك عينه وذاته.

(٣) ص ٨٣ جـ١ «فصوص» ط الحلبي.

إله الجيلي[١]

وهذا الكاهن الوثني الأكبر يدين بدين صنميه ابن الفارض وابن عربي، غير أن اللون الفاضح الصارخ في زندقته هو اعتقاده أن الله ما هو إلا إنسان كامل[٢]، وأن الإنسان الكامل ما هو إلا الرب الأكبر الجامع بين الحق والخلق في وحدة[٣]، ولقد سبقه بهذا الإلحاد ابن عربي، ولكن الجيلي كان حَفِيًّا به أكثر، مديراً حول محوره زندقته، ولقد رأى الجيلي ألاَّ يمن بهذه المرتبة على أحد قبله، فمضى يؤكد القول أن إنسانيته هي أفق الربوبية والألوهية الأسمي.

ادعاء الجيلي الربوبية العظمى

« لي الملك في الدارين، لم أر فيهما سواي، فأرجو فضلَه، أو فأخشاه
وقد حُزْتُ أنواعَ الكمال، وإنني جمالُ جلالِ الكل، ما أنا إلا هو »

هذا قول الجيلي، والله يقول: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٩] ولكن الجيلي يفتري أن له وحده ملك الدنيا والآخرة وأنه ليس للوجود رب سواه، ولا ليوم الدين ملك غيره، وأنه الغني بذاته، فلا تنفح قلبه رغبةٌ في نعمة من أحد؛ لأنه الوهَّاب للنعم، ولا تلفح

---

(١) هو عبد الكريم بن إبراهيم الجيلاني أو الجيلي توفي نحو سنة ٨٣٠ هـ.

(٢) يقول الكمشخانلي « الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى عين الله وعين العالم » ص ١١١ « جامع الأصول في الأولياء ».

[٣] قال الجيلي: « ويظهر الحق فيها – أي في فلك الألوهية الذي يحيط بالضدين كالوجود والعدم – بصورة الخلق مثل قوله: « رأيت ربي في صورة شاب أمرد » – حديث موضوع – ويظهر الحق فيها بصورة الخلق مثل قوله: « خلق آدم على صورته ». « الإنسان الكامل » ص ٤٣. والحديث « خلق آدم على صورته » رواه البخاري (٥٨٧٣) ومسلم (٢٦١٢، ٢٨٤١)، أما تفسيره الصحيح قال عنه الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: « واختلف إلى ماذا يعود الضمير (الهاء في صورته)؟ فقيل: إلى آدم أي خلقه على صورته التي استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات، دفعاً لتوهم من يظن أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى، أو ابتدأ خلقه كما وجد لم ينتقل في النشأة كما ينتقل ولده من حالة إلى حالة. وقيل للرد على الدهرية أنه لم يكن إنسان من نطفة ولا تكون نطفة إنسان من إنسان ولا أول لذلك، فبين أنه خلق من أول الأول على هذه الصورة » اهـ. انظر بقية هذه الأقوال في « الفتح » (١١ / ٦) شرح حديث رقم (٦٢٢٧)، أما الحديث الأول « رأيت ربي في صورة شاب أمرد » فموضوع كذب وزور.

نفسه رهبةٌ من سلطان؛ لأنه ملك الكل ومالكهم!! ولم يكتف الجيلي بهذا، بل مضى يعدِّد أنواع الخلق، وصور الوجود المادي والحسي والروحي والمعنوي؛ ليزعم بعدها أنه هو عينها ذاتًا ووجودًا، فلا يتوهم واهم أن شيئًا ما في الوجود يغاير الجيلي، أو يخرج عن حقيقة ذاته، فقال:

« فمهما ترى من معدن ونباته — وحَيْوانه معْ إنسه وسجاياهُ
ومهما ترى من أبحر وقفاره — ومن شجر، أو شاهق طال أعلاه
ومهما ترى من صورة معنوية — ومن مَشْهَدٍ للعين طاب مُحَيَّاه
ومهما ترى من هيئة مَلَكيَّةٍ — ومن منظرٍ إبليسُ قد كان معناه
ومهما ترى من شهوة بشرية — لطَبْعٍ، وإيثار لحَقٍ تعاطاه
ومهما ترى من عرشه ومحيطه — وكرسيه، أو رَفْرَفٍ عَزَّ مَجْلاه
فإنِّيَ ذاك الكلُّ، والكل مَشْهَدي — أنا المُتَجَلِّي في حقيقته، لا هُو
وإنِيَ رب للأنام وسيد — جميع الورى إسم، وذاتي مُسَمَّاه(١) »

أرأيت إلى الجيلي بأية وثنية ينعق؟ وبأية مجوسية يدين؟ أرأيت إليه في قوله: « أنا المتجلي في حقيقته لا هو؟ » يا للجيلي!! يحكم على الوجود الحق بالعدم الصرف!!

أرأيت إليه في زعمه أنه « رب للأنام وسيد »؟!

أرأيت إليه — وقد جُنَّت شهوة الزندقة فيه — يفتري أن الشهوات إحدى مُقَوِّمات الوجود الإلهي، وأنها في دنسها عين وجوده؟! وأن إبليس في غَيِّه وتمرده هو عين الرب الأعظم؟! وأن كل اسم في الوجود هو اسم الله سبحانه، لأنه عين كل مسمى، وأن كل صفة لكائن ما، هي لله صفة، لأنه عين الموصوف بها؟ فعلام يدل كل هذا، أو أثارة واحدة منه؟

---

(١) ص ٢٢ وما بعدها جـ ١ « الإنسان الكامل » للجيلي ط ١٢٩٣ هـ. [قد اختصر المؤلف أبياتًا لا داعي لذكرها].

أسأل الله يا سماحة الشيخ أن يشرق في قلبك شعاع من هدي الله، لتبصر على نوره هذا الكيد الدنيء للإسلام، تؤجج أحقاده الصوفية، وتؤرِّث أضغانه في خبث خاتل، ودهاءٍ يفتنك بالبسمات العِذاب، يترقب الفرصة للطعنة النجلاء[١].

وإن تعجب، فعجب تقديس الصوفية للجيلي، وتبرئة ساحته مما يحكم به الحق والعدل عليه!! إنها محاولة الرياء الجبان انهتك ستره، فيلوذ بالبراءة حتى من نفسه، لتسنح له الفرصة مرة أخرى، فيجهز على الضحية.

إن تلك الزندقة الجيلية يتوارثها صوفي عن صوفي، فحق عليهم قول الله ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٣]. كيف يجعله الصوفية قطباً عرجت روحه إلى الحق تستلهمه الوحي، وهو القائل؟!:

«لي المُلكُ والملكُوت نَسْجي وصنعتي لي الغيبُ، والجبْرُوت منِّى منشاه[٢]»

رب الصوفية نقيضان وضدان

دانت الصوفية كما رأيت برب هو عين كل شيء، وعين كل ما يطيف بالذهن من صور، ومن الأشياء ضدان[٣]، ومن الصور نقيضان، ورغم هذا لم يحجم الصوفية عن وصف ربهم بأنه يجمع في ذاته بين الشيء وضده، وبين الصفة ونقيضها، يقول الجيلي: «اعلم أن الله – تعالى – لما خلق النفس المحمدية من ذاته – وذات الحق جامعة للضدين – خلق الملائكة العالمين من حيث صفات الجمال والنور والهدي من نفس محمد، وخلق إبليس وأتباعه من

[١] النجلاء: واسعة شق العين.

(٢) ص ٢٣ جـ ١ «الإنسان الكامل».

[٣] كل هذا الذي جرهم إليه إيمانهم بعقيدة وحدة الوجود وأنه ليس في الكون إلا الله، ولأن في الكون أشياء كثيرة تتضاد فيما بينها كالليل والنهار، قالوا بأن الله – أو فلك الألوهية كما يسمونه – يحيط بالضدين كالوجود والعدم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

حيث صفات الظلمة [والضلال] من نفس محمد ﷺ(١)» ويقول: «[و] اعلم أن الوجود والعدم متقابلان وفَلك الألوهية محيط بهما؛ لأن الألوهية [محيط] تجمع الضدين من القديم والحديث، والحق والخلق والوجود والعدم، فيظهر فيها الواجب مستحيلاً بعد ظهوره واجبا، ويظهر فيها المستحيل واجبا بعد ظهوره فيها مستحيلا، ويظهر الحق فيها بصورة الخلق(٢)، ويظهر الخلق بصورة الحق(٣)» «الألوهية في نفسها تقتضي شمول النقيضين و [جميع] الضدين»(٤).

«تجمعت الأضدادُ في واحدِ البها وفيه تلاشت فَهْو عنهن ساطع(٥)»

هذا رب عجيب لم يبتدعه غير خيال الصوفية المخبول. رب موجود معدوم واجب مستحيل، قديم حديث، ينعم بالحياة، ويهلكه الموت، فهو حي ميت في آن معًا!! هذا هو رب الصوفية الذي اختلقه الجيلي، وبه تدين الصوفية، وإيَّاه يعبدون!!.

إله الغزالي(٦)

ولعل مما يقلق دهشتك، ويثير ثائرتك أن يُقْرَن بأولئك هذا الذي افترى له الصوفية أضخم لقب في التاريخ، وهو «حجة الإسلام» ليفتكوا بهذا اللقب الخادع بما بقي من ومضات النور الشاحبة في قلوب المسلمين، فاسمع إلى كاهن الصوفية – لا حجة الإسلام – يتحدث عن التوحيد ومراتبه: «للتوحيد

(١) ص ٤١ جـ ٢ المصدر السابق. وتأمل زعمه أن إبليس خلق من نفس محمد!! لقد رمانا الصوفية بالكفر، لأنا دعوناهم إلى الصلاة على رسول الله بما شرعه الله. فماذا يقولون في الجيلي؟

(٢) الحق والخلق وجهان أو وصفان للذات الإلهية فالأول باعتبار باطنها، والآخر باعتبار ظاهرها.

(٣) ص ٢٧ جـ١ المصدر السابق.

(٤) ص ٦٩ جـ ١ نفس المصدر.

(٥) ص ٣٣ جـ١ المصدر السابق.

(٦) محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي مات سنة ٥٠٥ هـ.

أربع مراتب . . . والثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه، كما صدق به عموم المسلمين، وهو اعتقاد العوام!! (١) . والثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق، وهو مقام المقربين، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة، ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار(٢) . والرابعة : ألاَّ يرى في الوجود إلا واحداً وهي مشاهدة الصِّدِّيقين، وتسميه الصوفية : الفناء في التوحيد ، لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً، فلا يرى نفسه أيضًا ، وإذا لم ير نفسه؛ لكونه مستغرقًا بالتوحيد ، كان فانيًا عن نفسه في توحيده(٣)، بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق» .

ثم يحدثنا الغزالي عن مقامات الموحدين في كل مرتبة، فيصف صاحب المرتبة الرابعة من التوحيد بقوله : « والرابع موحِّد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد ، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير، بل من حيث إنه واحد ، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد . . . .[٤] إن قلتَ : كيف يُتَصَوَّر ألاَّ يشاهد إلا واحداً، وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة، وهي كثيرة؟ فكيف يكون الكثير واحداً؟ فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات(٥)، وأسرار

---

(١) تدبر وصفه لعموم المسلمين بأنهم عوام في الاعتقاد!!

(٢) في هذه المرتبة يقرر وحدة الفاعل، بدليل ما سيقرره بعد، وهو أنه لا يشاهد إلا فاعلاً واحداً، فيلزمه نسبة فعل المجرم إلى ذلك الفاعل الواحد .

(٣) قرر فيما سبق وحدة الفاعل ولكنه لم ينف وجود غيره، أما في هذه، فيقرر وحدة الموجود أي وحدة الوجود، يقرر أن الذوات على كثرتها هي في الحقيقة ذات واحدة .

[٤] هذه النقط ليس من وضع المؤلف، وإنما من وضعنا، ذلك لأن بين الفقرتين كلام كثير لم يذكره المؤلف — رحمه الله — .

(٥) يكل المعرفة بأسمى مراتب التوحيد إلى علوم المكاشفات، فما تلك العلوم؟ إنها قطعًا شئ آخر غير الكتاب والسنة، إنها أساطير الصوفية التي استمدوها من « أذواقهم ومواجيدهم » ثم سجلوها في كتبهم، فكأن القرآن وسنة الرسول ليس فيهما ما يصل بالقلب إلى قدس الحق من التوحيد الخالص، فتدبر تجد الغزالي يهدف إلى صرف المسلمين عن هدي ربهم إلى خرافات الصوفية وضلالاتهم .

هذا العلم لا يجوز أن تُسَطّر في كتاب(١) ، فقد قال العارفون : إفشاء سر الربوبية كفر(٢) »ثم يضرب لنا مثلا عن شهوة الوحدة في الكثرة بقوله : « كما أن الإنسان كثير إن الْتَفَت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه، وهو باعتبار آخر ومشاهدة آخرى واحد .. فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة، فهو باعتبار من الاعتبارات واحد، وباعتبارات أخر سواه كثير [وبعضها أشد كثرة من بعض] ومثاله الإنسان، وإن كان لا يطابق الغرض، ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحداً، ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه، وتؤمن إيمان تصديق(٣)، وإلى هذا أشار الْحُسيْن بن منصور الحلاج(٤) حيث رأى الخواص يدور في الأسفار فقال : **فيماذا أنت؟ فقال : أدور في الأسفار؛ لأصحح حالتي في التوكل، [وقد كان من المتوكلين] فقال الحسين : قد أفنيت عمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد؟! فكأن الخوّاص(٥) كان في تصحيح المقام الثالث، فطالبه بالمقام الرابع(٦)** » .

(١)اقرأ بعد هذا قول الله تعالى ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾واهم شيء هو توحيد الله في ربوبيته وإلهيته، ولكن الغزالي يزعم أن حقيقة التوحيد الحق لا يجوز أن تسطر في كتاب، وهذا معناه أنها ليست في كتاب الله، وأنه لا يعرفها أحد إلا الصوفية أرباب الكشف!!

(٢)هذا معناه أنه هو وأمثاله من الصوفية يعرفون أسرار الربوبية، غير أنهم يضنون بها على الكتب، وأن المسلمين جميعًا لا يعرفون حقيقة التوحيد!! ومعناه مرة أخرى: أن كتاب الله ليس فيه الحق من التوحيد!!

(٣)بهذا الهراء يستدل الغزالي على الوحدة بين الخلق والخالق، ويحتم علينا الإيمان به!! كنا نحب أن يأتينا بآية من كتاب الله، أو أثارة من فكر صحيح وبرهان عقلي، بيد أنه لجأ إلى الخيال السقيم يشبه الوحدة بين الله وعباده بالوحدة بين الإنسان وأعضائه!!

(٤)صلب سنة ٣٠٩ هـ لثبوت زندقته.

(٥)إبراهيم بن إسماعيل أبو إسحاق الخواص مات سنة ٢٩١ هـ.

(٦)كل النصوص التي ذكرتها من كتاب «الإحياء» للغزالي جـ٤ من ص ٢١٢ وما بعدها ط دار الكتب العربية . وعجيب أن يمجد الغزالي الحلاج، وهو يعلم أنه قائل هذه الأبيات :

سبحان من أظهر ناسوتُه ... سرَّ سَنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرًا ... في صورة الآكل والشارب

أرأيت إلى من صَنَّمَتْه الصوفية باللقب الفخم الضخم؛ لتفتن به المسلمين عن هدي الله؟! أرأيت إلى الغزالي يدين بوحدة الوجود، أو الشهود؟! سَمِّها بما شئت، فعند الكفر تلتقي الأسطورتان، لا تقل: إن وحدة الوجود أنشودة من البداية ووحدة الشهود أغرودة عند النهاية، فكلتاهما بدعة صوفية بَيْد أنها غايرت بين الاسمين، وخالفت بين اللونين، ولكن البصر البصير لا يخدعه اسم الشهد سمي به السم الناقع!!

كلتاهما زعاف[١] الرقطاء[٢]، غير أن واحدة منهما في كأس من زجاج، والأخرى، في كأس من ذهب!!

ولقد فضح الغزالي سره حين تمثل في إعجاب بتوحيد الحلاج، وهذا وحده كاف في إدانة الغزالي بالحلاَّجية، ولقد علمت ما هي!!

رأي في الغزالي

ولقد فطن إلى حقيقة دين الغزالي المستشرق نيكلسون، وإلى أنه النافث لجرثومة الصوفية، فقال: «إن الغزالي أوسع المجال لبعض صوفية وحدة الوجود أمثال ابن عربي وغير هؤلاء من طوائف الصوفية الذين كانوا إخواناً في ذلك

=

حتى لقد عاينه خلقُهُ ... كلحظة الحاجب بالحاجب

* * *

مُزِجَتْ رُوحُك في رُوحي كما ... تُمزَجُ الخمرَةُ بالماء الزلالْ

فإذا مسَّك شيءٌ مسني ... فإذا أنت أنا في كلِّ حالْ

«الطواسين» للحلاج ص ١٣٠، ١٣٢. عجيب أن يمجد الغزالي صوفياً يزعم أن الله آكل شارب، يحب الحياة ويخاف الموت، ويمحقه العدم ويقتله الحزن، وتزل به الشهوات، لأنه عين خلقه!! ألم يجد الغزالي من المؤمنين من يتمثل به في بلوغ أسمى مراتب التوحيد؟ ألم يعطفه توحيد أبي بكر وعمر، فينصرف عنهما إلى تمجيد زندقة الحلاج؟!.

[١] «**الزعاف**»: يقال (سم زعاف): سريع القتل، وموت (زعاف): سريع.

[٢] «**الرقطاء**»: ضرب من الحيات.

الدين الحر بكل ما لكلمة الدين الحر من معنى[١]» ولقد كنا نحب أن يفطن إلى ذلك بعض من يمجدون الغزالي، كما فطن إليه ذلك المستشرق المسيحي[٢]!! ويقول جولدزيهر: «وابن عربي الذي أشرنا من قبل إلى تأثره بالغزالي يخضع تفسيره الذي نحا فيه منحى التأويل إخضاعًا تامًا لوجهة النظر التي أخذ بها الغزالي![٣]» ويقول: «خلص الغزالي الصوفية من عزلتها التي ألفاها عليها، وأنقذها من انفصالها عن الديانة الرسمية، وجعل منها عنصرًا مألوفًا في الحياة الدينية، وفي الإسلام، ورغب في الاستعانة بالآراء والتعاليم المتعلقة بالتصوف، لكي ينفث في المظاهر الدينية الجامدة «كذا!!» .. قوة روحية[٤][٥]» ويقول: «إن الغزالي رفع من شأن الآراء الصوفية، وجعلها من العوامل الفعالة في الحياة الدينية في الإسلام[٦]» وهكذا لم يعمل الغزالي للإسلام بل للصوفية، وبعد أن كان المسلمون على حذر من سمها، وفي انفصال تام عنها حملهم بسحر بيانه على أن يعتنقوا أساطيرها، ويقول كارل بكر: «ولقد سادت روح «الغنوص» فرق صدر الإسلام كلها، ثم سادت التصوف الذي كان يعد في البدء بدعة خارجة عن الدين، ولكنه أصبح بفضل الغزالي خالياً من السم معترفًا به من أهل السنة[٧]» هذا هو خطر الغزالي!! صور التصوف للمسلمين رحيقًا خاليًا من السم، فترشفوه، ففتك بهم.

---

(١) ص ١٠٤ «في التصوف الإسلامي» ترجمة الدكتور عفيفي.

(٢) سبقه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه، فكشف كشفًا صريحًا مؤيدًا بالنصوص القاطعة عن صوفية الغزالي وإن كان لم يستشهد بتلك النصوص التي نقلتها من الإحياء فيما قرأت لشيخ الإسلام.

(٣) ص ٢٥٩ «مذاهب التفسير» لجولد زيهر.

(٤) ص ١٥٩ «العقيدة والشريعة» لجولد زيهر.

[٥] كان الأولى الاستشهاد بأقوال علماء مسلمين، لاسيما وقد تكلم في الغزالي كثيرون كابن العربي المالكي تلميذه وشيخ الإسلام والذهبي وغيرهم، ولا شك في علو كعب شيخ الإسلام وفضله وعلمه، فضلاً عن أنه مسلم، وهو الأصل الذي يعتمد في الجرح والتعديل، وأدرى بالإسلام من هؤلاء، أما جولدزيهر اليهودي المتعصب، فهو يتكلم من وجهة نظره حيث ظنَّ – ويظن كثيرون مثله – أن عقيدة الصوفية تعني القوة الروحية؟ وبدونها تصبح تعاليم الإسلام جامدة انظر «المدخل» ص (٣٥).

(٦) ص ١٦١ «نفس المصدر».

(٧) ص ١٠ «التراث اليوناني» ترجمة الدكتور بدوي.

رأي في خطر وحدة الوجود

يقول «نيكلسون»: «**إن الإسلام يفقد كل معناه، ويصبح اسمًا على غير مسمى، لو أن عقيدة التوحيد المعبَّر عنها بـ«لا إله إلا الله» أصبح المراد بها: لا موجود على الحقيقة إلا الله. وواضح أن الاعتراف بوحدة الوجود في صورتها المجردة قضاء تام على كل معالم الدين المنزل، ومَحْوٌ لهذه المعالم مَحْوًا كاملا**» حقيقة ساطعة، يقررها مسيحي[١]، ويكفر بها شيوخ كبار يزعمون أنهم أحبار الدين وأئمته!! وهل المقام الرابع للتوحيد في دين الغزالي إلا مقام القائلين «لا موجود إلا الله»؟ بل إنها لتسبيحة الصوفية في العشايا والأبكار!! وإني لعلى بينة من أني بهذا الحق الذي أشهد به، أثير ثائرة الكبار من الشيوخ، فكتاب «الإحياء» قرآنهم الأول، وبما يهرف الغزالي فيه، يؤولون كتاب الله، ويحرفون آياته، وفي وجه الحق من هدي الله يرفعون ضلالة الأساطير من «الإحياء» وخرافة الأوهام من «المشكاة»!!.

ولكني أصرخ بالحق في وجوه الثائرين: رُوَيْدَكم!! فما نُؤَلِّه من دون الله أحدًا، وما نتخذ كتابًا يهدينا غير كتابه، ولا قدوة غير رسوله ﷺ، ولا نسجد لصنم، ولا ننعق بطاغوت، وإن يكن هو الغزالي، أو كتبه(٢)!!

دندنة الغزالي بوحدة الوجود

يقول: «العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة، اتفقوا على أنهم لم يَرَوْا

---

[١] لا يجوز اطلاق اسم «موجود» على الله لوجهين: الأول: أن أسماء الله توقيفية تتلقى من الكتاب والسنة واسم (موجود) ليس فيهما. الآخر: أن اسم (موجود) اسم مفعول من أوجد الشيء فالشيء (موجود) وهذا يستحيل على الله – تعالى –، فالله واجدُ للأشياء. وأما تعبير علماء الإسلام في تفسير (لا إله إلا الله) وهو (لا معبود بحق إلا الله) أما هذا النصراني فلا يحسن الظن به ولا بأمثاله وهم لا يفقهون شيئًا في ديننا، فتنبه!

(٢) يحاول السبكي في كتابه طبقات الشافعية تبرئة ساحة الغزالي بزعمه أنه اشتغل في أخريات أيامه بالكتاب والسنة، ونحن نسأل الله أن يكون ذلك حقًا، ولكن لابد من تحذير المسلمين جميعًا من تراث الغزالي، فكل ماله من كتب في أيديهم تراث صوفي، ولم يترك لنا في أخريات أيامه كتابًا يدل على أنه اشتغل بالكتاب والسنة.

في الوجود إلا الواحد الحق، لكن منهم من كان له هذه الحالة عرفاناً علميًا[١] ومنهم من صار له [حالاً ذوقيًا][٢]، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، واستغرقوا بالْفَرْدَانيَّة المحضة [واستوفيت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضًا]، [فلم يكن] عندهم إلا الله، فسكروا سكرًا، [دفع] دونه سلطان عقولهم، فقال [أحدهم] : أنا الحق[٣]!. وقال الآخر: سبحاني!. ما أعظم شأني[٤]! وقال [آخر]: ما في الجبة إلا الله[٥] وكلام العشاق في حال السكر، يُطوى، ولا يُحكى[٦]!، فلما خف عنهم سكرهم، وردوا إلى سلطان العقل [الذي هو ميزان الله في أرضه]، عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد، بل [شبه] الاتحاد، مثل قول العاشق في حال فرط [عشقه]:

أنا من أهوى، ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا[٧]

« وتسمى هذه الحالة بالإضافة إلى المستغرق فيها بلسان المجاز : اتحادًا، وبلسان الحقيقة توحيداً. ووراء هذه الحقائق أسرار [أيضا] [يطول] الخوض فيها[٨] » توحيد مَنْ؟؟ أتوحيد الرسول ﷺ، أم توحيد البررة الأخيار من أصحابه؟ أجيبوا يا ضحايا الغزالي وسدنة الأصنام من كتبه؟

---

(١) أي وصل إليها عن طريق الدليل والبرهان.

(٢) أي وصل إليها عن طريق الكشف والإلهام.

(٣) قائلها طيفور البسطامي.

(٤) قائلها طيفور البسطامي.

(٥) قائلها الحلاج.

(٦) يصف الغزالي هذه المجوسية الصوفية بأنها هتفات أرواح سكرت بعشق الله، ولم يجد الغزالي ما ينقد به هذه الصوفية - إن عددته نقداً - سوى قوله: وكلام العشاق يطوى ولا يحكى!! ولكن ما حكم الله يا غزالي؟ لا يجيب!!، ولكنه حكم من قبل بان ذلك أسمى مراتب التوحيد!!

(٧) البيت للحلاج وانظر ص ٣٤ طواسين، والبيت الذي بعده.

فإذا أبصرتني، أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا

والغزالي يعرف أن ذلك للحلاج غير أنه يتستر على شيطان وحيه، والحلاج حلولي يؤمن بثنائية الحقيقة الإلهية، فيزعم أن الإله: له وجهان، أو طبيعتان هما: اللاهوت والناسوت، وقد حل الأول في الآخر. فروح الإنسان هي لاهوت الحقيقة الإلهية، وبدنه ناسوته. فإذا كان الغزالي قد رفض القول بالاتحاد، ودان بما يشبهه، فقد آمن بما هو أخبث منه، وهو الحلول. بدليل استشهاده بالبيت الذي عبر به الحلاج عن حلوليته!!.

(٨) ص ١٢٢ « مشكاة الأنوار » للغزالي ط ١٩٣٤م.

زمزمات بالوحدة

وأصغ إلى زمزمات الغزالي بأسطورة الوحدة: «الكل، [بل هو الكل]، بل هو لا هُويَّة(١) لغيره إلا بالمجاز، فإذن لا نور إلا [نوره]، وسائر الأنوار أنوارٌ من [الذي يليه لا من ذاته]، فَوَجْهُ كلٍّ [ذي وجه] ومُوَلٍّ شطره ﴿ أينما تُوَلُّوا، فَثَمَّ وجه الله ﴾ [البقرة: ١١٥]، فإذن لا إله إلا هو، فإن الإله عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة، و [التأله]، أعني وجوه القلوب، فإنها الأنوار، بل كما لا إله إلا هو، فلا هو إلا هو، [لإن] «هو»: عبارة عما إليه [إشارة]، وكيفما كان، [ولا] إشارة [إليه](٢)، بل كلما أشرت [إليه] فهو بالحقيقة [إشارة] إليه» يفتري أن كل هوية في الوجود، هي عين هوية الله سبحانه، أي حقيقته!، ولذا لا يمكن أن تقع إشارةٌ ما إلا عليه!، فإن أشرت إلي صنم، أو ميت، فكلتا إشارتيك واقعة على رب الغزالي، ولم لا؟ وماهية الصنم أو حقيقته هي عين ماهية الرب الغزالي.

تلك هي الأسطورة التي ابتدعها الغزالي، ووصى بها كهنة الصوفية من بعده!! وإليك هينمة الموبذان بخرافة الوحدة مرة أخرى: «لا إله إلا الله» توحيد العوام! «ولا هو إلا هو» توحيد الخْوَاص(٣)! [لأن هذا أتم] وأخص وأشمل وأحق وأدق وأدخل بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة،

---

(١) الهوية عند الصوفية هي: الحقيقة الباطنة للذات الإلهية، أو هي الذات قبل التعين في مادة، يزعم بهذا أن كل ما تحقق من إثبات الوجود، فباطنها هوية الله!!.

(٢) ص ١٢٤ «مشكاة الأنوار» للغزالي. وتلك هي الطامة الغزالية؛ إذ يزعم أنك مهما أشرت إلى شيء ما، فإشارتك في الحقيقة واقعة على الله؛ لأنه عين ذلك الشيء المشار إليه!!

(٣) يزعم أن الإيمان بما توجبه كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» هو توحيد العوام!! لأنه يثبت لله وحده الربوبية والإلهية، وينفيهما عن غيره. ويثبت بالتالي وجود خلاق وخلق، وفي هذا، أي في إثبات وجودين، أو موجودين يغاير أحدهما الآخر ثنائية تناقض صرافة الوحدة، وهذا شرك عند الصوفية وكاهنهم. ولذا يبهت «لا إله إلا الله» بأنها توحيد العوام. يبهتها بذلك، وهي توحيد الرسل جميعًا!! أما توحيد الخواص عنده، فكلمته «لا هو إلا هو» لأنها تثبت وجودًا واحدًا، وتنفي الغيرية والكثرة والتعدد، تثبت موجودًا واحدًا تنوعت مظاهره، فسميت خلقًا، وتنفي المغايرة بين من نسميهم الخلق وبين من نسميه الخلاق!! وتثبت أن وجود الأول عين وجود الثاني، فكما أنه لا وجود إلا وجوده، فكذلك لا ذات إلا ذاته، أما تلك الكثرة الوهمية في الذوات، فيؤمن بها عمى القلوب!! هذا دين الغزالي.

ومنتهى معراج الخلائق مملكةُ الفردانية، فليس وراء ذلك [مرقى]! **إذ [الترقي] لا يُتَصَوَّر إلا بكثرة، فإنه نوع إضافة يستدعي ما منه الارتقاء، وما إليه الارتقاء، وإذا ارتفعت الكثرة، حققت الوحدة، وبطلت الإضافة، وطاحت الإشارة، فلم يبق علو**، [**وسفل**(١)، **ونازل، ومرتفع**]، فاستحال التَّرقِّي، واستحال العروج، فليس وراء الأعلى عُلُوٌّ ولا مع الوحدة كثرة، ولا مع انتفاء الكثرة عروج، [فإن كان من تغير حال]، فالنزول إلى [سماء] الدنيا، أعني [بالإشراف] من علو إلى أسفل، لأن الأعلى - [له أسفل وليس له أعلى]، وهو من العلم الذي هو [كهيئة] المكنون الذي لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به، لم ينكره إلا أهل الْغِرَّة بالله »(٢).

ثم يتابع الغزالي الحديث عن الله، فيقول: « له نزول إلى [السماء] الدنيا [فإن] ذلك هو نزوله إلى استعمال الحواس، [أو] تحريك الأعضاء، وإليه الإشارة بقوله: « صرت سمعه [الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به] »(٣).

---

(١) استعمل نفس هذا التعبير العطار الصوفي في « تذكرة الأولياء » جـ٢ ص ٢١٦.

(٢) ص ١٢٥ « المصدر السابق »، وأقول: إن الله سبحانه أخبر أنه استوى على عرشه، وأن الملائكة تعرج إليه، وأن العمل الصالح يرفعه إليه ولكن الغزالي أبى إلا أن يرفع في وجه الحق وفي حرمه أصنامه هو، فزعم استحالة العروج، ونفاه نفيًا باتًا، لكيلا يتناقض مع ما يدين به من الوحدة المحضة، فالقول بعروج أحد إلى الله إثبات للتعدد أو للكثرة أو للغيرية، إذ يستلزم وجود من منه العروج ووجود من إليه العروج، وهذه ثنائية تنقض أو تناقض الوحدة التي يؤمن بها الغزالي، وحدة الوجود، فإذا قيل بعروج ما، فالقول به مجازي محض، إذ العروج، هو من الذات الإلهية نفسها بنفسها إلى نفسها، فالذي منه العروج عين من إليه العروج، وإذا ما قيل: نازل أو صاعد، فالنازل هو الصاعد إذ هما ذات واحدة، والنزول عين الصعود، إذ هما وصفان متحدان في الحقيقة؛ مختلفان بالاعتبار، توصف بهما ذات واحدة في حال واحدة في آن واحد هي الذات الإلهية. فالملائكة الذين يعرجون إلى الله ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] هم عين الذات الإلهية في أسماء أخر لها. والعمل الصالح الذي يرفعه الله إليه، هو عين الذات الإلهية في وصف آخر لها، وإلا قلت بالكثرة والتعدد، وبأن الله غير الخلق!! هذا دين الغزالي فتدبره، وثمت يلقاك ابن عربي بما تعرفه منه، ولكن باسم جديد، وزي ساحر، ولقب كبير خادع.

[٣] قال شيخ الإسلام: « هذا الحديث يحتج به أهل الوحدة وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة: منها: أنه قال: « من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة » فأثبت نفسه ووليه ومعادي وليه، وهؤلاء ثلاثة، ثم قال: « وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه » فأثبت عبدًا يتقرب إليه بالفرائض ثم بالنوافل، وأنه لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه، فإذا أحبه، كان العبد يسمع به، ويبصر به، ويبطش به، ويمشي به. =

[فإذا كان هو سمعه وبصره ولسانه] فهو السامع والباصر والناطق إذن لا غيره(١) » والجملة الأخيرة وحدها صريحة في الكشف عن إيمان الغزالي بالوحدة بين الحق والخلق؛ إذ يقرر أن كل سامع وباصر وناطق هو الله! وما إخال مسلمًا يلمح إيماضَةً من الحق في تلك الأوهام، ولا شعاعة من التوحيد في تلك الأمشاج[٢] الغزالية، وإنما يحس بيَحْمُوم[٣] الوحدة الصوفية، يطغى بسواده هنا، وهناك، ويخنق الأنفاس حتى تحتضر! ولقد شعر الغزالي بما في مفترياته من شطط متجانف[٤] لإثم، فخاف على باطله أن يقذف عليه بالحق أهله، فوصف المنكرين لأساطيره بأنهم: أهل غرة! وَمَنْ أهل الغرة؟ إنهم الذين يدينون دين الحق من القرآن، ويكفرون بأساطير الغزالي! ليكن يا كاهن الصوفية! فما أنت الذي نعرف منه فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة – كما سميت كتابًا لك – وإنما نعرف ذلك من كتاب الله الذي يدينك، ويحكم عليك بما يصعق عابديك وكهان دينك(٥)!

= وهؤلاء هو عندهم قبل أن يتقرب بالنوافل، وبعده هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات فهو بطنه وفخذه، لا يخصون ذلك بالأعضاء الأربعة المذكورة في الحديث، فالحديث مخصوص بحال مقيد، وهم يقولون بالإطلاق والتعميم، فأين هذا من هذا؟! » اهـ. (مجموع الفتاوى (٢ / ٢١٥) .، والحديث « صرت سمعه ... » رواه البخاري (٦١٣٧) وليس فيه « ولسانه الذي ينطق به »، وروى هذه الزيادة الطبراني في الكبير (٧٨٣٣)

(١) ص ١٢٥ « المصدر السابق » .

[٢] **«الأمشاج»**، جمع مشيج: وهو كل شيئين مختلطين، وتطلق أيضًا على الأوساخ التي تجتمع في السُّرَّة .

[٣] **«اليحموم»**: الشيء شديد الحرارة .

[٤] **«تجانف»** الإثم: مال إليه، أو مال عن الحق .

(٥) لا تعجب حين ترى الغزالي يجنح في دهاء إلى السلفية في بعض ما كتب، فللغزالي وجوه عدة كان يرائي بها صنوف الناس في عصره، فهو أشعري؛ لأن نظام الملك صاحب المدرسة النظامية أراده على ذلك، وهو عدو للفلسفة، لأن الجماهير على تلك العداوة، وهو متكلم، ولكنه يتراءى بعداوته للكلاميين اتقاء غضب الحنابلة، أما هو في كتبه « المضنون بها على غير أهلها » فصوفي إشراقي من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، وفي كتبه الأخرى تجده أشعريًا تارة، وسلفيًا مشوبًا بأشعرية تارة أخرى. وهكذا كان يلقي كل فريق بالوجه الذي يعرف أنهم يحبونه، لا يهمه أكان وجه حق، أم وجه باطل!!

أصنام صغيرة

إله ابن عامر البصري (١)

ولكيلا ترتاب في أن ما ذكرته لك هو دين الصوفية جميعًا من سلفهم إلى خلفهم ومعاصريهم، أذكر لك دين بعض أصنامهم الصغيرة، فاسمع إلى ابن عامر في تائيته التي عارض بها تائية ابن الفارض، وزنًا وقافية، ولطخها بنفس الزندقة الفارضية!

تجلّى لي المحبوب من كل وجهة … فشاهدتُه في كل معنى وصورةِ
وخاطبني مني بكشف سرائرٍ … تعالت عن الأغيار (٢) لطفًا، وجَلّتِ
فقال: أتدري من أنا؟ قلت: أنت يا … منادي أنا؛ إذ كنتَ أنت حقيقتي [٣]

بهذا بدأ ابن عامر قصيدته، فكان صريح الزندقة فيها!

نظرت، فلم أُبْصِرْ سوى مَحْضِ وحدةٍ … بغير شريكٍ، قد تغطَّت بكثرة
تكثَّرت الأشياءُ، والكُلُّ واحد … صفاتٌ وذات ضُمِّنا في هُويَّةِ [٤]

ويظل الصوفي يهوي حتى يبلغ القرار السحيق من وحدة الوجود.

فأنت أنا! لا، بل: أنا أنت (٥). وحدة … مُنَزَّهة عن كل غير وشركةِ [٦]

إله الصدر القونوي (٧)

يقول في كتابه «مراتب الوجود»: «فالإنسان هو الحق، وهو الذات، وهو

---

(١) عامر بن عامر أبو الفضل عز الدين توفي غالبًا في أواخر القرن الثامن الهجري.
(٢) قول المسلم: تعالى الله عن شريك، أما قول الصوفي: تعالى الله عن الأغيار أي ما ثم غير له، إذ هو عين كل شيء!!.
[٣] الأبيات (١ – ٣) من التائية.
[٤] الأبيات (٥٠ – ٥١) من التائية.
(٥) يقول لربه: أنا أنت وأنت أنا، وإبليس في عتو جحوده وكفره قال لربه: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحجر: ٣٦] فلم يكفر اللعين كفر الصوفية، إذ أقر بربوبية الله. أما هم، فيبهتون ربوبية الله بأنها عبودية شائنة.
(٦) «تائية ابن عامر» بتحقيق الشيخ المغربي ط دمشق سنة ١٩٤٨م، والأبيات رقم (٥٠ – ٥١) من التائية.
(٧) محمد بن إسحاق توفي سنة ٦٧٣ هـ.

الصفات، وهو العرش، وهو الكرسي، وهو اللوح، وهو القلم، وهو الملك، وهو الجن، وهو السموات وكواكبها، وهو الأرضون وما فيها، وهو العالم الدنياوي، وهو العالم الأخراوي، وهو الوجود، وما حواه، وهو الحق(١)، وهو الخلق، وهو القديم، وهو الحادث»(٢) وإخال أني أنتقص من فكرك، إن حاولت أنا أن أدلك على خطايا الوثنية في بذاء القونوي.

إله النابلسي(٣)

يقول معقبًا على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] يقول: «أخبر تعالى أن نبيه محمدًا ﷺ هو الله تعالى وتقدس وبيعته بيعة الله، ويده التي مدت للبيعة هي يد الله» ويفسر قول الله لموسى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ [طه: ١٣] بقوله: «بأن تكون أنا، وأكون أنا أنت، ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ إليك مني، وهذا نظير حديث الإنسان الغافل لنفسه، يحدثها وتحدثه» ويفسر قوله سبحانه لموسى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] بقوله: «أي ذاتي فأظهر بك، وتغيب أنت، وتظهر أنت، وأغيب أنا، وما هما اثنان، بل عين واحدة»(٤) وما أملس من بهتان مُسِفٍّ[٥] في فجور الزور، وقحة الكذب؛ كبهتان النابلسي يزعم أن الصوفية تعتد بالكتاب والسنة في إيمانهم بوحدة الوجود؛ إذ يقول «إن عمدتنا وعدتنا هو التمسُّك بالقرآن العظيم وسنة [نبي الله] الكريم في معرفتنا ربنا وإطلاق ما أطلقه على نفسه في كلامه القديم، وما أطلقه عليه نبيه البر الرحيم»(٦) لم يقنع بالكفر السفيه

---

(١) أذكرك بأن الصوفية يعنون بالحق الله سبحانه، أو هو الحقيقة الإلهية قبل تجليها في صور خلقية.

(٢) من كتاب «مراتب الوجود» مخطوط بالظاهرية بدمشق رقم ٥٨٩٥ عام «نقلاً عن الإنسان الكامل ص ١١٥ للدكتور بدوي».

(٣) عبد الغني بن إسماعيل النابلسي توفي سنة ١١٤٣ هـ.

(٤) عن رسالة اسمها «حكم شطح الولي» للنابلسي مخطوطة بالظاهرية بدمشق رقم ٤٠٠٨ نقلاً عن كتاب «شطحات الصوفية» ص ١٥٣ للدكتور بدوي.

[٥] «سفَّ» فلان: طلب الدنيء من الأمور.

(٦) نفس المصدر ويمثل هذا الرياء يخدع الصوفية المسلمين عن دينهم، إذ يلونون الباطل بلون من الحق، ليمكروا به، وحق ما يقول جولدزيهر: «كان التصوف خصوصاً هو الذي عني بتصوير كثير من الأفكار الأفلاطونية المحدثة والغنوصية في صورة إسلامية، فعن دوائر التصوف صدر الكثير من الأحاديث الموضوعة التي قصد بها إلى تبرير قواعد التصوف» ويقول: «كل تيار فكري في مجرى التاريخ الإسلامي زاول =

وحده، فأضاف إليه بهتانًا دنيئًا؛ إذ يزعم أن كتاب الله هو عدته في التمسك بوحدة الوجود، ويقيني أنك لو قرأت الفقرة الأخيرة، وأنت غافل عن عقيدة النابلسي، لأيقنت أنه مؤمن فاض بنور الحق قلبه، وهكذا كل صوفي يلبس لكل حال لبوسها، ويعطيك جانبًا منه يرضيك، حتى إذا سكنت إليه ختلك، فقتلك!

بل هكذا كل نحلة تثير على كتاب الله حرب أضغانها، فهي لا تستعلن بتكذيب الله في وحيه، وإنما تزعم – لتفتن الناس عن دينهم الحق – أنها تقدسه ولكنها – وهي مقنعة الأهداف بريائها الخاتل – تضع لألفاظ القرآن معانٍ ما أنزل الله بها من سلطان، وليست لها صلة ما بألفاظها، اللهم إلا حين تزعم أن الكفر معناه الإيمان، وأن الباطل هو روح الحق! ولهذا تجد تكذيبها لله شر وأخبث أنواع التكذيب، وما **البهائية** في تَخَنُّث كفرها أو **القاديانية** في مكر دعوتها إلا دليل صدق على ما أقول، فكلتاهما تفتري أنها تؤمن بكتاب الله ورسوله! وكلتاهما عدو ألد الخصام لله، ولرسله، ولكتبه.

إله ابن بشيش(١)

للوِرْد الذي افتراه ابن بشيش سحرُ الأمل، استَهلَّ بعد يأس في مشاعر الصوفية، ورقة البشائر تأسو الدموع وجراح الأحزان، إذ يرونه – على اختلاف طرائقهم – وحيا ينفح قداسة وربَّانيَّة، وصلاة يخشع بها سُجَّدُ الملائك، وتسابيح ترتلها الحور في خمائل الفردوس!

وإليك هذا الورد الذي يضرع به الصوفية في معابد الأصنام كلما قَبَّل السَّحَرُ جبينَ الليل! «اللهم صل على مَنْ منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق» همسات غير خافتة بأسطورة الحقيقة المحمدية الصوفية، بَيْدَ أن هذه الهمسات تعلو رويدًا رويدًا حتى تحول صريخًا وفحيحًا[٢] في قوله: «ولا شيء إلا وهو به منوط؛ إذ لولا الواسطة، لذهب كما قيل الموسوط،

= الاتجاه إلى تصحيح نفسه على النص سندًا له على موافقته للإسلام ومطابقته لما جاء به الرسول، وبهذا وحده كان يستطيع أن يدعى لنفسه مقامًا وسط هذا النظام الديني وأن يحتفظ بهذا المقام» انظر ص ٢١٨ «التراث اليوناني» لبدوي وص ٣ «مذاهب التفسير» لجولد زيهر.

(١) عبد السلام بن بشيش أو مشيش من كبار شيوخ الشاذلية [صحب أبا الحسن الشاذلي].

[٢] «الفحيح»: صوت الأفاعي من فيها.

اللهم إنه سرُّك الجامع الدالُّ عليك، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك» ثم تُجَنّ لهفتُه، فيهرول مجنون الخطى إلى هتك الستر عن معتقده، فيضرع إلى الله بهذه الصوفية الملحدة «وزُجَّ بي في **بحار الأحدية**(١) **وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة**، حتى لا أرى، ولا أسمع، ولا أجد، ولا أحس إلا بها».

أرأيت إلى الصوفية تحت غلائل السَّحَر الْوَرْديَّة، والليل ساجي السكون لا تسمع فيه سوى رفيف[٢] أجنحة الرُّؤى، وهمسات الأحلام، والكون في فيض الجمال الغامر، والبهاء الساحر يثير في القلب المؤمن أزكي مشاعر الإيمان والحب للخلاق البديع، فيسجد لله في عبودية خالصة، في هذه الجلوات الروحية، وفي تلك المجالي حيث يتألق نور الجمال، ويهمس الليل بنجوى الوداع في سمع الفجر يضرع الصوفية إلى الله أن ينشلهم من أوحال التوحيد؟؟!

إله الدمرداش(٣)

يقول:

لقد كنتُ دهرًا قبل أن يُكْشَفَ الْغَطَا
إخـالُك أني ذاكـر لك شـاكـر
فلما أضاء الليل أصبحتُ شاهداً
بأنك مـذكـور وأنك ذاكـر(٤)

حتى هذه الزعنفة التائهة تزعم أن الغطاء كُشِفَ عنها فرأت أنها هي الله!!

واسمع إليها تقول:

---

(١) الأحدية «هي مجلى الذات ليس للأسماء، ولا للصفات، ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية، وليس لتجلي الأحدية في الأكوان مظهر أتم منك إذا استغرقت في ذاتك، ونسيت اعتباراتك، وهو أول تنزلات الذات من ظلمة العماء إلى نور المجالي، وهذه الأحدية في لسان العموم هي [عين] الكثرة المتنوعة» هذه هي الأحدية عند الصوفية انظر ص ٣٠ جـ١ «**الإنسان الكامل للجيلي**».

[٢] «**الرفيف**»: صوت النبات عندما يهتزُّ خضرةً وتلألؤا.

(٣) هو محمد الدمرداش المحمدي توفي سنة ٩٢٩ هـ.

(٤) ص ١٦ «القول الفريد للدمرداش» ط ١٣٤٨ هـ.

هو الواحد الموجود في الكل وحده
سوى أنه في الوهم سُمَّىَ بالسُّوى(١)

والكل هنا تعم الشيئية المطلقة[٢] في عمومها وشمولها، فما ثم إذن عنده من شيء يدركه الحس، أو يتخيله الوهم، أو تطيش به الغريزة إلا وهو عين الله ذاتًا وصفة!! غير أن الوهم هو الذي حال بين العقول وبين إدراك هذه الحقيقة، فظنت أن هذه الكائنات المَحَسَّة، وتلك الصور الذهنية شيء آخر غير الله! ولذا يقول: «فلا وجود سوى الله، والغير وهم وخيال(٣)».

إله ابن عجيبة(٤)

وهذا الذي تجرَّع الفاطمية الخبيثة ينقل في شرحه لحكم ابن عطاء الله هذه الأبيات:

أَرَبٌّ، وَعَبْدٌ، وَنَفْيُ ضِدٍّ؟ قلت له: ليس ذاك عندي
فقال: ما عندكم؟، فقلنا وجودُ فَقْدٍ، وفَقْدُ وَجْدِ
توحيد حَقٍّ بتَرْكِ حَقٍّ ولَيس حَقٌّ سِوايَ وَحْدي

ويشرحها بقوله: «و[معنى كلام الشاعر] الإنكار على من أثبت الفرق، بأن جعل للعبودية محلا مستقلا منفصلا عن أسرار معاني الربوبية، قائمًا بنفسه، ولا شك أن العبودية تضاد أوصاف الربوبية على هذا الفرق، وأنت تقول في توحيد الحق: لا ضد له، فقد نقضت كلامك؛ ولذلك قال: ونفي ضد؟! فالواو بمعنى: مع، وهو داخل في الإنكار، أي: أيوجد رب. وعبد [مستقل]، مع نفي الضد للربوبية، والعبودية تُضَادُّ أوصافَ الربوبية؟! والحق أن الحق تعالى تجلى بمظاهر الجمع في قوالب الفرق، [و] **ظهر بعظمة الربوبية**

(١) ص ١٤ «المصدر السابق».
[٢] أي تعم كل شيء على الإطلاق.
(٣) ص ١٤ «المصدر السابق».
(٤) أحمد بن عجيبة الإدريسي الفاسي نسبة إلى فاس بالمغرب توفي في منتصف القرن الثالث عشر الهجري.

في إظهار قوالب العبودية، فلا شيء، معه(١)» يريد الفاطمي الخبيث أن يقول: نحن نؤمن بأن الربوبية لا ضد لها، فإذا آمنا بوجود عبودية تغاير الربوبية في الذات والصفات، فقد تناقضنا ونقضنا ما قلناه، فالذي ينبغي الإيمان به هو الوحدة المطلقة، هو أن العبدَ عينُ الرب حتى لا نناقض قولنا: إن الرب لا ضدَّ له!!(٢).

وحسبك هذا من ذلك العِلْج[٣] الفاطمي!.

إله حسن رضوان (٤)

يقول في منظومته الكبرى «روض القلوب»:

فليس في الوجود شيء يشهد ... سواه، فالأشيا به تُوَحَّد
والكثرة الموجودة الموهومهْ ... في ذاتها بوحدة معدومهْ
والحقُّ في الأشيا جميعًا ظاهرُ ... وسرُّه قامت به المظاهرُ
وكل ذرَّةٍ من الذرات ... تُنْبي بأن الكلَّ عين الذات
فوحدة الوجود لا تفارقُ ... شيئًا، ولكن يستفاد الفارق[٥]
فبالحدوث والفناءِ يوصفُ ... إذن، ولا يضر إذ يُعَرَّفُ(٦)

ثم يبشر سالك الطريق الصوفي بقوله:

ولا يزال نوره يزيدُ ... حتى لديه يكمل التوحيدُ
وسر وحدة الوجود ينكشْف ... لعينه، ومنه ذوقًا يرتشفْ
فَتَضْمَحِلُّ الكثرة المشهودهْ ... له بنور الوحدة المقصودهْ
فلا يرى بعينه المُوَحِّدهْ ... في الكون شيئًا غير ذات واحدهْ(٧)

(١) ص ٢٠٩ وما بعدهاإيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة.
(٢) يقول جولد زيهر: «عمد الصوفية إلى إقحام آرائهم في القرآن والحديث بطريق التأويل، وهكذا ورثوا الإسلام تركة فيلون» ص ١٤٠ العقيدة والشريعة.
[٣] العِلج: الواحد من كفار الأعاجم. (٤) توفي سنة ١٣١٠ هـ أي منذ نيف وستين عامًا!!.
[٥] ما بين هذا البيت والذي ذكره المؤلف عشرة أبيات تبتدئ بقول المدعو حسن رضوان:
فللوجود الحق يثبت القدم ... ويستحيل ضده ثم العدم
(٦) ص ٢٦٩ «روض القلوب المستطاب» ط ١٣٢٢ هـ. (٧) ص ١١٥ «المصدر السابق».

من بواكير الزندقة

وأصخ[١] يا سماحة الشيخ إلى فحيح الزندقة ينفث سمها الأول طيفور البسطامي أبو يزيد[٢]: « خرجت من الله إلى الله، حتى صاح مني فيَّ: يا من أنا أنت(٣)، وإليه « سبحاني ما أعظم شأني »!(٤).

أرأيت إلى الأصنام الصغيرة. تدين بدين أمها الكبيرة؟!.

تأليه الحيوان النجس

هأنذا شرقت وغربت، وياسرت، ويامنت مع الصوفية أحبارًا وكهانًا، قدامى ومحدثين، ونقلت عن سلفهم، وسجلٌ ماضيهم وحاضرهم، نقلت ما يدينون به في أمانةٍ لم يَجْنَحْ بها عن قُدْسِها غِلٌّ ولا حقد ولا غضب، نقلت هذا كله؛ ليؤمن مَنْ لا يزال على فكره وقلبه غشاوةٌ من سحر الصوفية، أن الصوفية - قديمًا وحديثًا في النصرانية، وفي اليهودية، وفي دين مَنْ خدعوك بأنهم مسلمون - تؤمن بأن هذا الكون كله، حتى جيفَه ورِمَمَه وخنازيره، وكلابَه ما هو إلا حقيقةُ الرب الأعظم « هوية وإنية »؛ ولذا ينقل محمد بهاء الدين عن زعيم صوفي قوله:

وما الكلب والخنزير إلا إلاهنَا   وما الله إلا راهبٌ في كنيسة(٥)

وناقل هذا صوفي يتمثل بهذا البيت الصوفي في روعة الحب الخاشع، ليكشف لك عن روحانية الجمال الصوفي!.

هذه هي الصوفية في كتابها، فماذا ترى؟ تؤمن بأن الله هو عين خلقه، وبأن الماخور عربدت فيه الأبالسة، عين المسجد تَبَتَّلَتْ فيه الرسل!، وأن الوثنية

[١] «صخ»: يصخُّه: صاح بهم صيحة تصمُّ الآذان.

[٢] هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، توفي سنة (٢٦١ هـ)، نقل عنه كلام كثير فيه زندقة. انظر «السير» (١٠ / ٤٨١).

(٣) ص ١٦٠ جـ ١ « تذكرة الأولياء ».

(٤) نفس «المصدر السابق» ونفس الصفحة.

(٥) « النفحات القدسية شرح الصلوات الإدريسية » ط ١٣١٤ هـ.

السامرية عين التوحيد الحق، وأن الحج إلى مَبْكى اليهود، أو «كَرْمل»(١) البهائية عين الحج إلى بيت الله، وما والله رميتُ الصوفية بفرية، بل بما يدينون به، ويدعون إليه، ويحبون أن يُعْرَفُوا به، فما رأي سماحة الشيخ الكبير؟(٢).

نور من القرآن

وإشفاقًا على الصوفية أن يجدوا مشقةً في إبصار الحق المتلألئ، أذكرهم بهدي الله من كتابه الحق؛ ليعرف حقيقة النور مَنْ يخبط في تيه الظلام، ويدرك الحق من دَوَّخه الباطل، وينعم بالتوحيد من شقى بالشرك، ولعل الصوفي الضليل يتخذ من التذكير بآيات الله مَنْجَاةً له، فيجعلها حَكَمًا يصدع بالحق والعدالة في شأن الصوفية.

يقول رب العالمين: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم: ٩٣ – ٩٥] ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [يونس: ٣–٤].

يقول سبحانه: إنه خالق السموات والأرض، فتقول الصوفية: لا، بل هو عين السموات والأرض، وما فيهن من دابة! ويقول سبحانه: إنه يدبر الأمر،

(١) حيث ثوت رمة الهالك ميرزا حسين علي الملقب ببهاء الله!!

(١) قبل رأي الشيخ ننقل آراء بعض المستشرقين فيما جاء به الإسلام من التوحيد، فهذا غستاف لوبون يقول – وهو يتحدث عن وحدة الوجود –: «إن الإسلام يختلف عن النصرانية، ولاسيما في التوحيد المطلق الذي هو أصل أساسي، فالإله الواحد الذي دعا إليه الإسلام مهيمن على كل شيء، ولا تحف به الملائكة القديسون وغيرهم، وللإسلام وحده كل الفخار، بأنه أول دين أدخل التوحيد المحض، والإسلام وإدراكه سهل خال مما نراه في الأديان الأخرى، ويأباه الذوق السليم من المتناقضات والغوامض، ولا شيء أكثر وضوحا، وأقل غموضا من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد، وبمساواة جميع الناس أمام الله» ص ١٥٨ «حضارة العرب» ترجمة عادل زعيتر، ويقول سيديو: «من شأن مبدأ التوحيد الجليل الذي انتشر بين قوم وثنيين أن يضرم الحمية في النفس المتحمسة العالية، ويسود هذا المبدأ القرآن وإليه يعود إبداعه، ويبدو هذا التوحيد المحض جازما تجاه علم اللاهوت الذي تورطت فيه الفرق النصرانية، بعد أن زاد عددها بفعل البدع» ص ٨٨ «تاريخ العرب العام» لسيديو ترجمة زعيتر ثم يقول في ص ٨٩ من الكتاب: «ومحمد إذ كان رسول الخالق بلغ أن الله لا ولد له، وإن إله الكون واحد، وأن الله مصدر كل قوة، وأن إلى الله مرد من لم يجيبوا دعوته، ويود محمد أن يجتذب الناس إلى عبادة خالق كل شيء بغير واسطة».

فتصرخ الصوفية: مَيْن[١] وبهتان، فنحن الذين يدبرون الأمر له! ويقول الله: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾، فاعبدوه، فيضج كل طاغوت صوفي: . لا: بل أنا الله لا إله إلا أنا! ويقول جل شأنه: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾، فتزعم الصوفية: إن معنى الرجوع هنا أن تعود الذات المتكثرة إلى وحدتها، فتعود حقًا، بعد أن كانت خلقًا!.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ(٢) أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ(٣) إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ(٤) ۝٣ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ(٥) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ(٦) لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦﴾ [الزمر: ٢-٦]

ويقول عز من قائل: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ(٧) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا(٨) وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ(٩) وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(١٠) ۝١١﴾ [الشورى: ١٠، ١١]

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ(١١) ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

---

[١] «المَيْن»: الكذب، وجمعه (ميون).

(٢) يقولون: أما نحن فنتخذهم معه!! وهل الشرك إلا هذا؟

(٣) يقولون: أما نحن فندعوهم!! وهل الدعاء إلا العبادة، أو مخ العبادة؟

(٤) وتزعم الصوفية أن الكاذب الكفار هو الرب الأكبر في صورة كاذب كفار.

(٥) وتزعم الصوفية أن ربها هو ذلك الخلق المتطور في ظلمات ثلاث «العماء، الأحدية، الواحدية».

(٦) ويزعم الجيلي أن له الملك في الدارين ويزعم معه كذلك الأحبار!!

(٧) وتقول الصوفية بل حكمه إلى كتب ابن عربي أو الغزالي أو ابن الفارض، ويقول غيرهم بل: إلى كتب المذاهب الأربعة.

(٨) وتزعم الصوفية أن الله هو الذي جعل نفسه أزواجًا، فبدا حقًا في صورة خلق، أو إلهًا في صورة عبد!!

(٩) وتقول الصوفية كما ذكرتك: بل هو عين كل شيء.

(١٠) وتقول الصوفية على لسان ابن عربي والغزالي وغيرهما: بل هو عين كل سميع، وعين كل بصير.

(١١) وتقول الصوفية: بل كل شيء هو له كفو إذ كل شيء في الوجود هو الذات الإلهية.

فأين أين من هذا التوحيد المشرق بالحق الأعظم، تلك الأساطير المجوسية التي ينعق[١] بها ابن عربي، وينعب[٢] ابن الفارض، وينبح الجيلي، وتعوي[٣] الصوفية؟!.

واهًا لشيخ الصوفية الكبير، أيَغَار على الصوفية من مسلم يدعوهم إلى الإنابة إلى الله، ولا يغار على المسلمين مما تجنيه الصوفية عليهم، حتى لتكاد تزْهقُ ما بقي فيهم من أَرْمَاق شاحبة واهنة؟!.

أيغار على تلك الأساطير، فيشكو إلى النيابة مسلمًا، يحذر المسلمين من التَّرَدِّي فيها؛ ثم لا يغار على الإسلام تكيد له كهنة الصوفية، وتألو – وعلى نابها الأزرق تَتَلَمَّظُ الجرائم – أنها مِثَاليَّةُ الطهر والحب ومعين[٤] الروحانية في الإسلام؟!.

جبن النفاق

ولقد ناقشت أحد أتباعكم «الْغَلابة»، فاعترف بالفصوص، وأنها حق جليل، وبالطبقات، وأنها سِجِلٌّ كرامات مقدسة، فجئت بالمسكين صوب المذياع وكنت أحاضر في مكان كريم، يصخب عليه «الدراويش» في عيد وثني يحتفل فيه الصوفية بمولد الْوَثن الزينبي – وبرأ الله زينب رضي الله عنها من بهتان الصوفية – ورجوت الدرويش الثائر أن يتلو على الحشود من كرامات الصوفية المسجلة في طبقات الشعراني، فما إن قرأ كرامة سيده «علي وحيش»، ورأى الجريمة الباغية، حتى ضرب الأرض بالكتاب صارخًا مُرْتاعًا: هذا مدسوس!(٥).

---

[١] «نعق» في الفتنة نعقًا: رفع فيها صوته.

[٢] عوى الكلب عُواءً: صاح.

[٣] «نعب» الغراب نعيبًا: صاح وصوَّت.

[٤] المعين: الماء الجاري.

(٥) يقص الشعراني في طبقاته كرامات سيده علي وحيش معقبًا على ذكر كل كرامة بقوله: رضي الله عنه: «كان الشيخ [وحيش] رضي الله عنه يقيم عندنا في خان بنات الخطا!! وكان كل من خرج – أي بعد اقتراف الجريمة الباغية» يقول له: قف، حتى أشفع فيك [عند الله]، قبل أن تخرج، فيشفع فيه!!» «وكان إذا رأي شيخ بلد، أو غيره، ينزله من على الحمارة، ويقول له: أمسك لي رأسها حتى أفعل فيها، فإن أبى شيخ البلد تسمر في الأرض لا يستطيع يمشي خطوة، وإن سمح حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه» ص١٣٥ جـ ٢ «الطبقات» ط صبيح. جريمة فسق منكرة تروى بألفاظ فاسقة وأسلوب فاسق. وإذا أبى صاحب الدابة إلا صيانة عرضها من وحيش عطبه وحيش!! ومع هذا يقول الشعراني عن وحيش: «رضي الله عنه»!!

فقلت للمسكين المفجوع في معبوده! : حنانيك، وهل يمكن أن يكفر الصوفية بهذا الكتاب؟!، أو يعترفون بأنه مدسوس؟! فأجاب الدرويش — والحقد في عينيه جمرات تتوهج، وفي بدنه رِعْدَةٌ غَضْبى — : إن من يدين بهذا فهو كافر! ومن لا يعترف بأنه مدسوس، فهو كافر! ثم فر مذعور الرياء! وهكذا يا سماحة الشيخ، كلما خشي صوفي افتضاح معبود له، قال: مدسوس! حتى إذا خلا إلى شيطانه، قال: ينفذ الشيخ ما اطلع عليه من قدر الله المغيَّب! فعمله طاعة، لا معصية!.

وليس هذا شأن الصغار منكم، بل هو أيضاً شأن أحباركم الكبار، فقد زعم لي مثل ذلك الزعم شيخ التيجانية في مصر حين صدمته ببهتان ابن عربي أمام دراويشه، وأمام أناس يحرص على أن يوقروه، ويعظموه!.

ولقد قلت لذلك الصوفي الصغير، كما قلته من بعد لشيخه الكبير: سل الصوفية، وشيخهم الأكبر، أن يكفروا بتلك الكتب، فإن فعلوا، كان الخير الذي تظمأ النفس إلى معينه، وكفى الله المؤمنين القتال!.

فهل تستطيع يا سماحة الشيخ أن تصنع باسم الله شيئًا، كهذا؟ أيمكن أن تصدر بيانًا تعترف فيه بالحق غير هياب، ولا وجل، فتقول — مثلا — فيه: «لما في الفصوص والطبقات و، ...... و ...من مخالفة صريحة لدين الحق، فإنا نأمر أتباعنا، أن يكفروا بتلك الكتب؟!».

أم يمكن — مثلا آخر — أن نقول: «إن كتاب الفصوص، أو الطبقات، أو ... أو ... مدسوس على من نسب إليه، لأن فيه، وفيما هو مثله كفراً!»؟ ليتك يا سماحة الشيخ تقدمها إلى الله صالحة!.

إيمان الصوفية بكتبهم

إن الصوفية هنا، وهناك، وفي كل مكان يتربصون فيه بالإسلام، يؤمنون بكتبهم إيمانًا عنيداً طاغيًا يأسر منهم في قبضته القاهرة عواطف القلوب،

ومشاعر النفوس وسبحات الخواطر، وتأملات الفكر، ويدينون بكل حرف فيها يرمز إلى أسطورة، وبكل كلمة تُفْشي خرافة. فما تناوَحَت[١] إحساساتهم بالحب إلا لها، وما فتك بالقلوب أُخْطُبوطهم إلا بها، وما قتلت عناكبهم ذباب النفوس إلا بلعابها السام!.

بيد أنهم حين يلقون المؤمنين، يقولون رياء ومخادعة: مدسوس!.

حتى إذا خلوا إلى شياطينهم، قالوا: نفتن المؤمنين!.

وإلا، فإني أُدَوِّي بصَيْحَة الحق، تتحدَّى الصوفية وطواغيتها أن يجرؤ واحد منهم على القول: إن تلك الكتب مدسوسة!.

أو يستنكر ما تطفح به من كفر، وليأتنا بأثارة من علم، أو ظن تدل على أنها دعيّةُ النسب إلى من افتروها!.

نعم أدوِّي بصيحة الحق: إن تلك الكتب ليست بمدسوسة، ويشهد بذلك التاريخ الحق، وتواتر النقل الصحيح، ولكن هَبُوها كذلك، فما ينفعكم، وأنت بها تدينون، وتؤمنون إيمان عابد الخمر [بالدَّنِّ] والكأس والعربدة!.

مدسوسة! إنها التُّرْسُ الأخير، يلوذ به من يَنْأَدُّ منكم تحت صدمة الحق الصاعقة! وشهادة زور تُفْتَري؛ لينجو بها المجرم من عقاب جريمته!.

زعمهم أن كتبهم أسرار ورموز

وآخرون من أسارى الصوفية يزعمون أن تلك الكتب أسرار ورموز، لا يفقهها إلا أولئك الذين أباح لهم الغيب الخفي مكنونه، وقدس أسراره، أو الذين هتك الله عنهم الحجاب الأعظم، فخروا تحت عرشه سجداً يسمعون وحيه، ويسجلونه(٢) رموزاً في شعرهم ونثرهم!.

---

[١] **ناحت الحمامة**: سجعت، وتناوحت الرياح: تجاوبت واشتد هبوبها.

(٢) أما الدكتور فيليب حتي، فيقول: «ودين محمد عملي صريح، وقلما يشير إلى هدف عال يصعب نواله، ويكاد أن يكون خلواً من العقد اللاهوتية، وليس فيه أثر للأسرار الرمزية المقدسة، أو مراتب الكهنوت، وما رتبته أصول الرسامة والتكريس والخلافة الرسولية» «كلها مناصب دينية في المسيحية» ص ١٧٨ جـ١ «تاريخ العرب العام».

من صفات القرآن يا هؤلاء أنه «بيان للناس» ومن الناس عالمون، وجاهلون ومنهم أميون وكاتبون قارئون، ولكن الله جعله بيانًا لهم جميعًا، ميسرًا للذكر؛ ليعبد كل امرىء ربه على بصيرة.

بيد أني سأنحدر إلى فرية أولئك، فأزعم أن كتب الصوفية رموز مُقَنَّعة بالخفاء، وأسرار ملثَّمة بسحر الغيب!!

ولكني أسألك، كيف يُعْبد الله برمز مقنع بالإبهام، وسر مستغرق في الغموض يحمل من الكفر وجهًا ظاهرًا؟!

أيحق لامرىءٍ أن يعبد ربَّه بشيء أطبق عليه الجهل به، وبغير ما شرعه الله في كتابه، وأوحاه إلى رسوله؟!

وأسألك – ولا تغضب إذا ألحقت في تساؤلي –: أتفقهون يا كهنة الصوفية دلائل تلك الرموز، أم لا تفقهونها؟ فإن تكن الأولى، فأبينوا لأتباعكم؛ لتطمئن قلوبهم بالمعرفة، ولنزداد في نقدكم إنصافًا، وإن تكن الأخرى، فإنها دين الببغاء تردد ما لا تعي.

أما مع الحق، فأقول: لقد قرأت لابن عربي، ولابن الفارض، وغيرهما جُلَّ ما كتبوا، وما شرح به تلاميذُهم تلك الكتب، فلم أجد في كل ما قرأت رمزا مَسْتُوراً، ولا سِرًّا خفيًا، بل دلائل صريحة تكشف في جلاء صريح عن حقيقة معتقد الصوفية!!

ترى أي رمز في قول ابن عربي: «العارف من يرى الله في كل شيء، بل يراه عين كل شيء»؟! إن ابن عربي خشي أن يتوهَّم أتباعُه حتى «الظَرْفيَّة» المجازية في كلمة «في»[١] أو الحلولية الحلاجية، وفيها ثُنَائيَّة تناقض الوحدة، خشي ابن عربي ذلك، فأطاح الوهم بيقينه الجازم؛ ليؤمن الصوفية بوحدة

[١] يقصد المؤلف بأن ابن عربي بقوله «بل يراه عين كل شيء» قد دفع كل احتمال لتأويل هذا الكلام أو حمله على وجهٍ حسن، فقد جزم بالكفر، نعوذ بالله من الضلال.

الوجود إيمانًا لا تنال منه شائبةٌ، ليؤمنوا بأن الله هو عين كل شيء، وأن كل شيء هو الله، ومن الأشياء الْقَيْحُ[١] الْمُنْتِن، والْعِرْض الذبيح، والجريمة يشخب[٢] منها الدم البريء!! أفي ذلك رمز؟ أم بيان صريح وقح الجرأة، سفيه الزندقة؟!

إن الحق بَيِّنٌ يا سماحة الشيخ، فاهتف به لله، وانصره لله، وإلا فالجزاء شديد بين يدي الله ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦].



[١] «القيح»: المدّة التي لا يخالطها دم؛ من (قاح) القُرح (قيح تقييحًا).

[٢] «يشخب»: (الشخْب) جريان اللبن في الإناء وقت الحلب، (تشخب) دمًا؛ أي تتفجر دمًا.

الفصل الثالث
دين الصوفية في الرسول

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين»[١] هذا قول سيد الخلق، خاتم النبيين محمد ﷺ، ولقد بلوتَ مما ذكَّرتك به دينَ الصوفية، فهل لمحتَ فيه حتى لمحةً حَيْرى من حَقٍّ حائر، أو نفحة وَلْهَى[٢] من خَيْر شَرُود[٣]؟! هل لمحت منه بارقة خابية من حب لله، أو لرسوله ﷺ[٤]؟ يقينُك، ويقين كل من يبتلى الصوفية يجزم بأنها ترفع فوق الكتاب المنزَّل أيَّةَ خرافة يهرف بها درويش مَأْفُونٌ[٥] مَمْرور[٦].

أطوار الوجود الصوفية

تدين الصوفية بأن الوجود الإلهي له أطوار، أو مراتب، أو تَنَزُّلات، أو تَعَيُّنات أو نسب، أو إضافات، فكلها ذات مدلول خرافي واحد!!

وأولى تلك المراتب «الْعَمَاء» والوجود الإلهي في هذا الطور لا يوصف بوصف، ولا يُسَمَّى باسم، ولا يُعَرَّف بحَدٍّ ولا برسم، أو كما يقول الكمشخانلي: «اعلم أن حقيقة الذات الإلهية من حيث هي هي، امتدادها — أعني مدة بقائها — غير مضبوط لأنها من حيث هي كذلك **لا وصف لها، ولا رسم، فهي العماء، إذ لا يمكن** معرفتها بوجه من الوجوه، ما لم تتعيَّن بصفة،

---

[١] رواه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤) وابن ماجه (٦٧) من حديث أنس.

[٢] «ولْهى»: من (وَلِه، وَلَهًا) و (الوَلَهَ): ذهاب العقل والتحير من شدة الوَجْد.

[٣] «شرود»: (شردَ البعير؛ أي نفر فهو شارد وشَرُود.

(٤) ما أروع تلك الكلمة التي قهر بها الحق حمدون القصار الصوفي، فدمغ بها الصوفية حين سئل: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ فقال: «لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفس، وطلب الدنيا وقبول الخلق» هذا قول زعيم صوفي في القرن الثالث الهجري فما بالك بما بعده؟ انظر ص (١٢٥) «طبقات الصوفية» للسلمي.

[٥] (أفِنَ) فلان: نقص عقله، فهو مافون، وأفين.

[٦] (ممرور): أي ذاق مرارة هذا المعتقد.

وأول هذه التعيُّنات علمُها بذاتها، فهذه الصفةُ تَنَزُّلٌ لها من الحضرة الإلهية الذاتية التي لا نَعْتَ لها إلى الحضرة الْوَاحِديَّة التي هي حضرة الأسماء والصفات، وتُسَمَّى: الحضرة الإلهية(١)[٢]» نقلت لك النص بتمامه، ليستيقن قلبك بأننا ننصف الصوفية، فلا نَسِمُهم[٣] إلا بما يحبون أن يُعْرَفوا به. وقد يسمى الرب الصوفي في تلك المرتبة بالوجود المُطْلَق، بيد أن النابلسي في غُلُوٍّ التجريد الذي ينتهي به إلى العدم المطلق، ينزه الوجود في تلك المرتبة حتى عن الإطلاق، لأن وَصْفَهُ بالمطلق قَيْدٌ، أو صفة له، [فيستلزم][٤] أن يكون المطلق مقيدا، والمقَيَّد مطلقًا(٤)، فيتوتَّر التناقض بين وصفيه، ويستلزم أن تكون له صفة، وهو مجرَّد كل التجريد في ذلك الطور عن الاسم والصفة!!

ولقد أراد هذا «العماء، أو الوجود المطلَق» أن يتعيَّن في صورة؛ لِيُعْرَفَ وليعرف نفسه(٥)!! فتعَيَّنَ في صورة «الحقيقة المحمدية»، فكانت هي التعيُّن الأول للذات الإلهية، أو الْفَتْقَ بعد الرَّتْقِ[٦]، أو مِعْبَرَ الوجود من الإطلاق إلى التقييد، أو من العماء إلى الأحدية ثم الواحدية!!

---

(١) ص ٩٣ جامع الأصول للكمشخانلي.

[٢] يقول الجيلي:

إن العماء هو المحل الأول ... فلك الشموس الحسن فيه أفَّل
هو نفس نفس الله كان له بها ... كون ولم يخرج فلا يتبدل

«الإنسان الكامل» (١/ ٥٠)

فالجيلي أيضًا يقول إن أول مراتب الوجود الإلهي «العماء»، وغيره كثير من فلاسفة الصوفية.

[٣] «**نسمهم**»: نصفهم.

(٤) رغم هذا، فهو واقع في التناقض، لأن الوصف بالسلب، أي عدم الإطلاق، قيد أيضًا للوجود، كالوصف بالإيجاب!!.

(٥) هذه علة وضع الحديث الصوفي «كنت كنزًا مخفيًا، فأردت أن أعرف، فخلقت الخلق، في عرفوني» ويفسر الصوفية «في» بكلمة «محمد» لأنها تساويها في العدد في حساب الجمل!!

[٦] «**الفتق**»، و «**الرتق**» مصطلحان من مصطلحات الصوفية؛ فـ«الرتق» ضد «الفتق»، وعند الصوفية إجماد مادة الوحدانية التي يسمونها العنصر الأعظم المطلق الذي كان «مرتوقًا» قبل خلق السماء والأرض، ومفتوقًا بعد تعينهما بالخلق، أما «الفتق» فهو من «فتق» الشيء: شقه، وعند الصوفية: ما يقابل الرتق من تفصيل المادة المطلقة بصورها النوعية. انظر «الموسوعة الصوفية» ص (٧٦٣، ٨٩٧).

الحقيقة المحمدية

يعرفها الصوفية بقولهم: «هي الذاتُ مع التعيُّن الأول، ولها الأسماء الحسنى وهي اسم الله الأعظم»[١] فمحمد الصوفية ليس بشرًا، ولا رسولاً، وإنما هو الذات الإلهية في أسمى مراتبها!!

ويقول الدمرداشي: «حقيقة الحقائق هي المرتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها، وهي المسمَّاة بحضرة الجمع، وبأحدية الجمع، وبها تتم الدائرة، وهي أول مرتبة تعيَّنت في غيب الذات، وهي الحقيقة المحمدية[٢]» ويقول الكمشخانلي: «صُوَرُ الحق هو محمد؛ لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية»[٣]، فمحمد عندهم هو الاسم الأعظم، فما الاسم الأعظم؟ إنه «الجامع لجميع الأسماء، أو هو اسم الذات الإلهية من حيث هي هي أي المطلقة»[٤]!!

ومحمد هو الأحدية! فما هي؟ إنها «مجلي الذات الإلهية، ليس للأسماء، ولا للصفات، ولا لشيء من مُؤَثِّراتها فيه ظهور، فهي اسم لِصَرافةَ الذات المُجَرَّدة عن الاعتبارات الحَقِّيَّة[٥] وَالخَلْقِيَّة»[٦].

ومحمد هو الواحدية، فما هي عندهم؟ إنها «عبارة عن مَجْلَي ظهور الذات فيها صفة، والصفة فيها ذات[٧]» والفرق بين الأحدية والواحدية: «أن

---

[١] انظر تحت المادة جامع الأصول في الأولياء للكمشخانلي والتعريفات للجرجاني [قال الجيلي: «اعلم أن الله خلق الصورة المحمدية من نور اسمه البديع القادر، ونظر إليه باسمه المنان» «الإنسان الكامل» (٢ / ٤٧). وقال القاشاني: «إنه ﷺ أول التعينات الذي تعين به الذات الأحدية قبل كل تعين فظهر به من التعينات الغير المتناهية» الفصوص شرح القاشاني ص ٣٢٦.

(٢) ص ٧ «رسالة في معرفة الحقائق» لمحمد الدمرداش.

(٣) ص ١٠٧ «جامع الأصول» للكمشخانلي.

(٤) ص ٩٢ «المصدر السابق».

(٥) أي لا توصف بأنها حق، أو خلق في تلك المرتبة.

(٦، ٧) عن جامع الأصول تحت مادتي الأحدية والواحدية وعن «الإنسان الكاملي» للجيلي جـ١ ص ٣٠.

الأحدية[١] لا يظهر فيها شيء من الأسماء والصفات، [وذلك عبارة عن محض الذات الصرف في شأن الذاتي] [و] الواحدية [تظهر] فيها الأسماء والصفات(٢)» وبهذا يتجلى لك أن الصوفية تعتقد في محمد أنه هو الله – سبحانه – ذاتًا وصفة، وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنه هو الوجود المطلق والوجود المقيَّد، أنه كان ولا شيء قبله، أو معه، ثم تعيَّن في صور مادية سُمِّيَ في واحدة منها بجماد، وفي أخرى بحيوان، وهكذا حتى اندرج تحت اسمه كل مسمًّى، وصدقت ماهِيَّتُه على كل ماهيَّة!

من هدى الله

ذاك هو محمد الصوفية، أما محمد خاتم النبيين ﷺ، فقد جلا لنا ربُّه وخالقه، ومن اصطفاه رحمة للعالمين، جلا لنا حقيقته في قوله الحكم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

ترى هل يصدق على كل بشري أنه هو ذات الله، واسمه الأعظم؟ إن الدين الصوفي يستلزم هذه الزندقة، بل يستلزم إطلاق تلك الصفات والأسماء على فرعون وأبي جهل – وغيرهما من طواغيت الكفر – فيصف كُلًّا منهم بأنه: هو الوجود الإلهي في تعينه الأول؛ إذ كلهم بشر!.

ونحن نؤمن – كما هدى القرآن والسنة – بأن أول خلق الله هو القلم أو العرش[٣] فمتى خلقت أسطورة الحقيقة المحمدية الصوفية؟! ونعلم بالتواتر

---

[١] قال الجيلي في «الأحدية»: «وليس لتجلي الأحدية في الأكوان مظهرًا أتم منك إذا استغرقت في ذاتك ونسيت اعتباراتك، وأخذت بك فيك عن ظواهرك، فكنت أنت في أنت من غير أن ينسب إليك شيء مما تستحقه من الأوصاف الحقية». انظر: «الإنسان الكامل» (١ / ٤٢).

(٢) عن جامع الأصول تحت مادتي الأحدية والواحدية، وعن الإنسان الكامل (١ / ٣٠).

[٣] عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أول ما خلق الله تعالي القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب، وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» رواه أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥، ٢٣١٩) وغيرهما، قال ابن أبي العز الحنفي:

«واختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات، أو العرش؟ علي قولين، ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمذاني، أصحهما: أن العرش قبل القلم، لما ثبت في «الصحيح» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله: «قدَّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء» فهذا صريحٌ أن التقدير وقع بعده خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، الحديث عبادة هذا» اهـ. «شرح الطحاوية» (٢ / ٣٤٥).

القطعي أن عبد الله بن عبد المطلب تزوج بآمنة بنت وهب، وأنهما أنجبا طفلاً سمي محمداً، وأنه نشأ نشأة الخير والطهر والشرف والكرامة، وضيء الطفولة، نقي الصِّبا، طهور الشباب؛ فلم يشب نقاءَ صباه ريبةٌ، ولم تهف بقدس شبابه نَزْغةٌ[١] هوى، ولا نَزْعة صَبْوَة، فكانت دنياه كلها معبداً يطيب أصائله[٢] وعشاياه وأسحاره بذكر الله وحده.

ونعلم أنه جَدَّ في الحياة راعي غنم، ثم تاجراً، فكان في حاليه المثل الأعلى في الجدِّ القوي الصالح، والأمانة التي تعتصم بالتقوى، والحكمة الحكيمة في كل ما يُصَرِّف به شئون دنياه، والرعاية التي تقدس الحق والواجب لكل ما حُمِّل من أمانة، وأنه كان في كل أطوار حياته الكاملَ في الأدب والخلق، وحكمة العقل وسمو العاطفة، ونباغة الفكر، وقوة الإرادة ومضاء العزيمة، وجلال الشرف، وعزة الكرامة، ونبل المروءة، وكرم الإيثار والنجدة، وسماحة النفس، فلم يغمر قلبَه إلا حب الله، ولم تنزع به الإرادة إلا إلى الخير، ولا العاطفة إلا إلى السمو، ولا الفكر إلا فيما ينال به رضاء الله، جواداً مِسْمَاحاً[٣] في سخائه وبِرِّه، محسناً كل الإحسان في كل ما أنعم الله به عليه، فلم يغضب إلا للحق، ولم يجبن إلا عن الذنب، ولم يطمع إلا فيما هو عند الله، ثم اصطفاه ربه خاتماً للنبيين، فجاهد في الله حق جهاده، وبلغ كل ما نُزِّل إليه من ربه، وشهد الله له بذلك، ثم قبضه الله إليه بعد أن صارت كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فصلوات الله وسلامه عليه.

هذا قبس نستهدي به من حياة محمد ﷺ، فقل لي عن الحقيقة المحمدية، تلك الأسطورة الصوفية الموغلة في تيه القدم والعدم: من أبوها؟ من أمها؟ ومِمَّ خلقت؟ ولِمَنْ أُرْسِلَت؟.

---

[١] «نَزْغة»: هو اسم هيئة من (نَزَغَ) الشيطان؛ أي وسوس.

[٢] «أصائله»: جمع (أصيل)؛ وهو الوقت بعد العصر حين تصفر الشمس لمغربها، وقال في (مختار الصحاح): (الأصيل): الوقت بعد العصر إلى المغرب وجمعه (أُصُل) و (آصَال) و (أصائل) كأنه جمع أَصيلَة. اهـ. انظر مادة (أَصَل).

[٣] صيغة مبالغة (مفعال) من السماحة.

شأن محمد

وتزعم الصوفية أن شأن محمد هو شأن الله!! اسمع إلى صوفي يقول: « شأنُ محمد في جميع تصرفاته شأن الله، فما في الوجود إلا محمد » ويقول: « لا يُدْري لحقيقته غاية، ولا يُعْلَم لها نهاية، فهو من الغيب الذي نؤمن به » ويقول: « ولما كانت بشريته ﷺ نوراً محضاً، كانت فضلاته مقدسة طاهرة، ولم يكن لجسمه الشريف ظل كالأجسام الكثيفة، وهذا النور المحمدي، هو المَعْنِيُّ بروح الله المنفوخ في آدم، فروح الله نور محمد »(١).

المهاجر من مكة

يقول ابن عربي: « اللهم أَفِضْ صِلةَ صلواتك وسلامة تسليماتك على أول التَّعَيُّنات المفاضة من العماء الربَّاني(٢)، وآخر التَّنَزُّلات المضافة إلى النوع الإنساني، المهاجر من مكة - كان اللهَ(٣)، ولم يكن معه شيء ثان - إلى المدينة، وهو الآن على ما عليه كان، مُحْصِي عوالم الحضرات الخمس(٤) في وجوده، سر الْهُوِيَّة في كل شيء سارية، الجامع بين العبودية والربوبية الشامل للإمكانية والوجوبية(٥) » أرأيت إلى قطب الصوفية الأكبر في غَيِّ إلحاده الأكبر، يفتري أن محمداً هو الله، وتأمل دهاء مكره، فيما يعبر به عن كفره، في قوله: « المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثان إلى المدينة » إنك حين تقرأ تلك الجملة دون تدبر ستظن أن فيها خللا، وأن جملة « كان الله، ولم يكن معه شيء ثان » لا صلة لها بما قبلها، ولا بما بعدها، وأعترف أني

(١) هذه النصوص عن كتاب « النفحات الأقدسية » للبيطار ص ٩، ١١، ١٣.
(٢) العماء عند الصوفية « هو الحضرة الأحدية، وهذه تتعين بالتعين الأول لأنها محل الكثرة وظهور الحقائق والنسب الأسمائية » « جامع الأصول » مادة العين.
(٣) نصب لفظ الجلالة باعتباره خبراً لكان، فيكون معنى الجملة « المهاجر من مكة كان هو الله ».
(٤) يجعلها القاشاني ثلاثاً فقط « الفردية وهي حالة وجود الذات الإلهية في عين الجمع حيث كانت، ولم يكن معها شيء ثان، الثانية حضرة الوترية وهي حال بقائها بعد فناء كل شيء في مقام الجمع، الثالثة حضرة المعية وهي حالة وجودها مع كل شيء في عالم التفرقة، والأولى ما وردت الصفات منها، والثانية ما صدرت إليها، والثالثة ما وردت إليها ثم صدرت عنها » كشف الوجوه الغر ص ١٣٣.
(٤) ص ٢ « مجموعة الأحزاب » ط استامبول سنة ١٢٩٨هـ.

خُدعْتُ، فظننتُ أن هذه الجملة مقحمة، وحرتُ في إدراك هدف ابن عربي من وضع تلك الجملة التي تبين عن حق كريم بين باطل عربيد وآخر لئيم! بيد أني عدت إلى النص أتلوه، وفي فكري دين ابن عربي، وثَمَّتَ[١] بدا ليَ هدفُه في وضح وجلاء، وتبين لي أن الجملة ليست مقحمة، وإنما هي لُحمةُ دينه وَسَداه[٢]، فَلْنَعُد إلى الجملة نرتبها كما تحتم قواعد اللغة الصحيحة «المهاجر من مكة إلى المدينة كان اللهَ، ولم يكن معه شيء ثان» مازدنا شيئًا على قوله، ولا نقصنا منه، وكل ما فعلناه هو وضع قوله: «إلى المدينة» موضعه، بعد أن نأى به ابن عربي عنه؛ ليمكر به، ويلتوي على القراء فهمه! بهذا يبدو لك جَليًّا أن ابن عربي يفتري أن المهاجر من مكة إلى المدينة لم يكن هو محمداً رسول الله، وإنما كان هو الله متجلياً في صورةٍ اسمُه فيها «محمد».

ولا ريب في أنك تعرف أن صاحب الرسول في الهجرة كان أبا بكر غير أن ابن عربي يقول: «ولم يكن معه شيء ثان» يعني أن أبا بكر هو الآخر لم يكن إلا الله متعينًا في صورة اسمه فيها: «أبو بكر»!.

ومات محمد ﷺ، ومات من بعده أبو بكر! فَأَيٌّ إله هذا الذي يتجرع غصة الموت مرتين؟ بل ما ذلك الإله الذي يموت ويحيا في كل لحظة آلاف المرات؟!.

لقد دانت الصوفية بأن الرب الأكبر هو عين خلقه! وفي كل لحظة يعبر بها الوجود تفنى حياة، وتنبثق حياة، فياللصوفية! يعبدون ربًا يموت آلاف المرات، ويولد آلاف المرات في آنٍ واحد!.

ومحمد الصوفية له مظهران، أو اعتباران، فهو عبد أو خلق باعتبار ظاهره،

---

[١] «ثمَّت» وثَمَّ: اسم إشارة للمكان.

[٢] «اللحمة» من الثوب: خيوط النسيج العرضية يلحم بها السدى، و«السدى» من الثوب: خلاف اللحمة، وهو يمدّ طولاً في النسيج والواحدة «سداة».

وهو رب أو حَقٌّ باعتبار باطنه، ولهذا يصفه ابن عربي – باعتبار ظاهره – بأن له العبودية ويصفه – باعتبار باطنه – بأنه له الربوبية! يصفه بأن له الإمكانية باعتبار ناسوته، وبأن له الوجوبية، باعتبار لاهوته[١]!.

والنابلسي في شرحه لصلاة ابن بشيش يقول: «ما صلى على محمد إلا محمد، لأن صلاة العبيد عليه، صدرت منهم بأمره من صورة اسمه»(٢).

كرة من الحق على الباطل

أما محمد خاتم النبيين، ﷺ، فيهدينا الله إلى حقيقته بقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، في قوله سبحانه ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ حجة من الحق تزهق الباطل الصوفي كله.

وأما اعتقاد المسلمين في نبيهم الحق، فهو أنه ﷺ «بشر مثلنا يوحى إليه» فالقرآن – وهو كلام الله وهداه ورحمته – يفرض عليهم الإيمان بذلك، فلا مناص[٣] من الإخبات[٤] له بالقلب والفكر والشعور، ويزيدنا القرآن هدى؛ إذ يقرر أن بشرية الرسول الأعظم مثل بشريتنا، في أسلوب من القول مشرق الإعجاز في بلاغة البيان وفصاحته، في أسلوب يفرض على الفكر الإيمان بمعناه البيِّن دون أن يشتبه معناه الحق حتى على الأمي الجاهل، وذلك في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

كلام هو الحق والحكمة والهدى في أسلوب جَلِيٍّ جليٍّ محكَمٍ محكمٍ، لا يأذن حتى لخاطرة واهية من ظنٍ أن تقتحم عليك قُدْسَ يقينك، أو أن تحوم خُفْيَةً حوله أو تفسد عليك شيئًا ما من فهمك لمعنى الآية، ومن تدبر ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لرأى أشعة الهدي الإلهي الأعظم تغمر حوله الوجود كله، وتهديك

[١] أي يصفه بإمكانية الوجود باعتبار إنسيته وبشريته، ووجوب وجوده باعتبار إلهيته.
(٢) ص ٥٥٧ «مجموع الأحزاب» ط استامبول.
[٣] «لا مناص»: لا مفر.
[٤] «الإخبات»: الخشوع.

إلى الحق الذي يجب أن تؤمن به . ألا تراها تجعل بشريتنا هي المقياس الذي به نَقيس بشرية رسول الله الكريم ﷺ [١]، حتى لا يفتننا حب هذه البشرية الطهور، فنظنها خلقًا آخر، أو نوعًا من البشرية يغاير في حقيقته بشريتنا، فلا ندرك كنهها، ولا شيئًا من خصائصها؛ لأنها لم تتحقق إلا في فرد واحد؟ لقد كان يكفي في الدلالة على المعنى أن يقال: «قل: أنا بشر» أو «أنتم بشر مثلي» ولكنه سبحانه – وهو الحكيم العليم الخبير – شاء أن يعرفنا بشرية محمد ﷺ بما نعرفه نحن من خصائص هذه البشرية التي فطرنا عليها، وبما نبتليه من قِيَمها وَمُقَوِّمَاتها، وبما نعالج من غرائزها وعواطفها(١)، وبما نعلمه – عن الله – من حقيقة بدئها. وغاية منتهاها، وبما تتجاوب به مع رُوَّاد الوجود من حب أو كراهية. ولذا طعم ﷺ، وشرب، وتزوج، ونَجَل[٢] خير البنين، وذاق الشبع والجوع والمرض، ومست قلبه الأحزان، وذرفت عيناه الدموع، وجاشت[٣] نفسُه برحمة البكاء، وغير ذلك مما قضاه الله على البشرية من أقدار في هذه الحياة، ثم جاءه ﷺ مَلَكُ الموت الذي وُكّلَ بنا.

غير أن بشريته ﷺ آمنت حق الإيمان بما هداها الله إليه، وأنعم عليها به، فأدت حق الله كاملاً من الحق والشكر، وحلّقت فوق قمة السمو الإنساني الأعظم، فكانت وحدها هي النجم الأرفع الأسمى، وتَأَلَّقَتْ بعبَوديتها الخالصة فوق أعلى أفق للتوحيد الخالص، فمازلّت بها عاطفة لإثم، ولا هفت بها غريزة إلى ذنب؛ لأنه ﷺ اتخذ الله وحده ربًّا له، وجعل رضاه غايته والدعوة إليه هدف كفاحه وجهاده، والغاية العظمى لدنياه، والفلك الأعظم الذي تدور فيه حياته.

ثم تدبر ما حكم الله به على المشركين الذين قالوا: ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] إنه جل شأنه حكم عليهم بأنهم ضلوا

---

(١) غرائز البشرية الصالحة وعواطفها نفس غرائز البشرية الطالحة وعواطفها في الفطرة والفرق أن صاحب الأولى وجهها وجهة الخير، ووجها الآخر وجهة الشر.

[٢] «نجل»: أي وَلَدَ، ومنه (النَجْل) وهو الوَلَدْ.

[٣] «جاشت»: فاضت.

فلا يستطيعون سبيلا! لتعلم أن هذا الذي استنكره المشركون ليس إلا قدر الله العدل الحكيم الذي قضاه على البشرية، وقسطًا من أقساطها في الوجود، وأنه لا يمس مقام النبوة بأثارة من ضِعَة[١]، إذ النبي – قبل كل شيء – بشر، والبشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق!.

وتدبر ما وصف الله به رسله جميعًا ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠] تدبر هذه الآيات؛ لترد بها فرية الوثنية التي تزعم أن محمداً ﷺ نجم الحياة الأبدية الخالدة في الدنيا، وأن فضلاته كانت مقدسة طاهرة وإِشْعَاعًا من أضواء الرَّبَّانِيَّة!.

لماذا – إذن – كان يتوضأ ﷺ، ويتيمم، ويغتسل؟.

وتدبر خطاب الله لنبيه ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠] ذُكِرَ موتنا عقب ذكر موته؛ لنهتدي إلى أن الموت الذي قُضِيَ علينا هو عين الموت الذي قُضِيَ على نبيه ﷺ! ورغم هذا – على ما فيه من وَضَحٍ وجلاء – وجد من يزعم أن موت محمد معناه الحياة السرمدية، وُجِدَ من يضع للفظ نقيض معناه، أو يضع للفظ إسفاف الشهوة من هواه!.

يقول الصوفية: «إنه ﷺ يحضر كل مجلس، أو مكان أراد بجسده وروحه، وأنه يتصرف، ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته، لم يتبدل منه شيء»(٢).

وتدبر تلك الآيات التي يعاتب الله فيها سبحانه نبيه: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٣، ٧٤، ٧٥].

[١] «ضعة»: دناءة.
(٢) ص ٢١٩ جـ ١ كتاب «رماح حزب الرحيم» لعمر بن سعيد الفوني ط ١٣٤٥ هـ.

وعيدٌ جليل الكبرياء، أحَديُّ القهر والجبروت، أفتدرك منه وعيدَ رَبّ لمثله، أو لنفسه، أم وعيد قادر قهار متعال له ملكوت السموات والأرض لأشرف عباده، وخاتم رسله؟! أفلو كان محمد ربًّا يشرك الله في ربوبيته وإلهيته - كزعم الصوفية - أكان يبتليه الله بمثل ذلك الوعيد الذي يغمر النفس خشيةً ورهبةً، ويقهر عبوديتها قهر الرضى والحب على أن تُخْبِتَ لله وحده، وعلى ألاَّ تتعدى حدوده قَيْد لحظة، أو خاطرة؟!.

وهل أشد على نفس المؤمن من أن يتوعده الله بفقدان النصير، وبعذاب يتجرعه ضعف الحياة، وضعف الممات؟!.

أفي قضايا العقل - ودينكم يؤمن بربوبية محمد - أن يتوعَّد الربُّ نفسه، وينذرها بعذاب الحياة والموت تصلاه ضعفين، وبالوحدة الصَّمَّاء تقتل في النفس الشعور بالحياة؟!.

أشرف صفات الرسول في أشرف مقاماته

والله سبحانه يصف رسوله بأشرف الصفات - وهي العبودية - في أشرف مقاماته، وأخلدها ذكرا، وأجلها أثراً وغاية ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] يصفه ربه بالعبودية الصرفة الخالصة وحدها في تلك الليلة التي استشرف فيها قمَّة السُّمُوِّ الأعظم، وتألَّقت أمجادُه الخوالد الذكريات. آهٍ لو قيل: «أسرى بمحمد» فحسب، إذَنْ لراح الصوفية يثيرون ما يفتنون به من شبهات لا تجد من اللفظ النورَ القوى الذي يبددها، إذَنْ لآلَوْا أن محمداً لم يكن بشراً، ولا عبداً، وإنما كان روحًا إلهيًا سُخِّرت لقدرته الآفاق، وعُبِّدت لقهره مُتُونُ القضاء، فجاءت كلمة «عبده» في الآية حجة الحقِّ المتلألئة التي تبيد الظنون، وتبدد كل شبهة تختلس الفتنة للعقول بأوهامها. جاءت برهانًا رَبَّانيًا - لا ينقض أبداً - على أن محمداً ﷺ، ما كان إلا بشراً يُوحَى إليه، حتى في تلك الليلة التي وقف فيها دون عرش ربه الأعظم، يقبس من نور الله وهداه، فما بالك به في كل أصائل عمره وعشاياه؟!.

ويصفه سبحانه بالعبودية في مقام الدعوة إليه ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) ﴾ [الجن: ١٩] وتدبر إضافة « عبد » إلى « الله » ليغمر يقينُ الحق قلبك، فلا يشتبه عليك الفرق الجليل العظيم الكبير بين عبودية محمد وربوبية ربه وألوهيته، ولا تفتنك مجوسية الصوفية تبهت[١] الحق بزعمها أن محمداً هو الله!!.

ويصفه سبحانه بالعبودية في مقام هو الْفَيْصَل الحق الأكبر بين كون محمد دعيًا، وكونه نبيًا، ذلك هو مقام التحدِّي بالمعجزة العظمى، معجزة القرآن ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣].

والرسول نفسه يضع لنا على الطريق صُوًى[٢] ومنارات؛ حتى لا تحيد عنه، فنهلك، ويرشدنا إلى الحق، حتى لا تزيغ بنا غلواء الشاعرية في الحب، فيقول ﷺ: « لا تطروني، كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله » ويدوِّي صوته الأخاذ الرائع بصيحة الحق، يعظ بها ذلك الصحابي الذي جرفه غلو الحب، فقال لنبيه: « أنت سيدنا! » فصاح به؛ ليصمت، ثم أرسلها تعبر الأجيال والأحقاب والدهور عظةً شافية هادية « إنما السيد الله تبارك وتعالى(٣) » فما إن تهامست تحت قبة الفلَك الأصداءُ الراعشة الخافتة الواهنة المذعورة من قَوْلة الصحابي، حتي تجاوبَ الوجودُ كله بِدَوِيِّ الصيحة الهادية من الرسول، تحول بين الأخرى وبين أن تطمئنّ في سمع، أو تهز وتراً من قلب، وما زالت قلوب المؤمنين تتجاوب بعظة محمد العظيم في حب وإجلال، فصلى الله عليه وسلم.

وفي الصلاة – وهي شعيرة الحب العابد – علمنا الرسول عن أمر ربه أن نشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، ولكن الصوفية تأبى إلا أن تدين بأن ذلك الحق باطل وخطيئة، فتكذب الله ورسوله، وتقول: لا بل محمد هو الرب الأعظم!

---

[١] «تبهت»: تفتري.

[٢] «الصُّوى»: الأعلام من الحجارة الواحدة.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٦٣٥٠ ، ١٦٣٥٩) والبخاري في الأدب المفرد (٢١١)، وأبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في الكبرى (١٠٠٧٤، ١٠٠٧٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٠٠).

وفي حديث الشفاعة يقص علينا الرسول ﷺ أن عيسى عليه السلام - وقد ناشده الخلق أن يستأذن ربَّه في أن يشفع لهم عيسى عنده - يقول: «اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» ولكن الصوفية تأبى إلا اتهام عيسى بالحقد على محمد، وجحود فضله، فتقول: لا، بل هو رب نعبده، ونضرع إليه أن يهب لنا ما يملكه الله وحده، فيهتف الصوفية حتى يصكوا سمع الصخر - إن كان له سمع -: «الشفاعةَ يا محمد»!

تدبر ما ذكرتك به من آيات الله؛ لتؤمن أن محمداً ﷺ، لم يبلغ ما بلغ من عظمة وكمال وسمو إلا بإخلاص الدين لله وحده، وأنه كان بشراً يوحى إليه، لا الله، ولا شريكه، كما تفتري الصوفية!

آراء المستشرقين(١)

ومما يلوع النفس بالحسرة، والقلب بالأسى أن يدرك المستشرقون - على عدواتهم للإسلام - هذا الحق، ويظل الصوفية - ومنهم أحبار كبار يختالون أنهم أئمة الإسلام - مصرين في جحود أصم على عدواة ذلك الحق. يقول نيكلسون: «إذا بحثنا في شخصية محمد، في ضوء ما ورد عنه في القرآن من آيات، وما أثر عنه من الحديث في الصدر الأول، وجدنا الفرق شاسعاً بين الصورة التي صُوِّر بها في ذلك العهد، وبين الصورة التي صَوَّر بها الصوفية أولياءهم، أو تلك الصورة التي صور بها الشيعة إمامهم المعصوم، وظهر من المقارنة أن صورة شخصية الرسول لا تَفْضُل عند الموازنة صورة الولي الصوفي، أو صورة الإمام الشيعي، إن لم تكن دونهما، ذلك أن الولي الصوفي والإمام المعصوم؛ قد وصفا بجميع الصفات الإلهية، بينما وصف الرسول في القرآن بأنه بشر فيه كل ما للبشر من صفات، وأنه ينزل عليه الوحي من ربه بين آنٍ وآخر ولكنه لا يتلقاه مباشرة عن الله، بل بواسطة المَلَك، وأنه لم ير الله قط، أو يطلع

(١) لا أذكر رأي هؤلاء احتجاجاً به، وإنما هو لبيان أن هذا الحقّ، قد أدركه هؤلاء المستشرقون على عدواتهم، فقرروه، على حين يعاديه الصوفية ويكفرون به.

على أسراره، وأنه لا يتنبأ بالغيب ، ولا يفعل المعجزات، أو خوارق العادات، بل هو عبد من عباد الله ورسول من رسله »(١)، [٢].

ثم يتحدث الرجل عن محمد عند الصوفية، فيقول: « فمحمد إذن ليس المصدر الذي يستمد منه جميع الأنبياء والأولياء علمهم بالله، فحسب، بل هو الحقيقة الإلهية السارية في الوجود بأسره ، كما أنه العلة الأولى في خلق كل ما هو مخلوق، والعقل الكلي الذي يصل ما بين الوجود المطلق « الله » وبين عالم الطبيعة، وليس العالم إلا صورة الحقيقة المحمدية، كما أن الحقيقة المحمدية ليست إلا صورة الله » (٣).

ويقول جولد زيهر: « إن صورة النبي كما صورتها السنة، قد أصابها التعديل والتحوير، لكي تتلاءم مع تقديس الأولياء، حتى نجم عن ذلك أن العقائد الشعبية، وضعت صورة للنبي تتعارض تمامًا مع البيانات البشرية التي صَوَّر بها القرآنُ والسنة مؤسسَ الإسلام الأول » (٤)[٥].

ويقول هنيرش بكر: « من الثابت أن الغنوص قد أثر في إيجاد هذه الصورة التي صورتها العصور الوسطي الإسلامية المتأخرة لمحمد، وكان سببًا في إيجاد

---

(١) ص ١٥٨ في « التصوف الإسلامي » ترجمة الدكتور عفيفي.

[٢] بل إن الرسول يفعل المعجزات، وتجري عليه خوارق العادات، وقد يطلعه الله على بعض الغيب، قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ ، وإن لم تكن هذه من مؤهلات النبي، فبمَ يعرف الناس أنه نبي؟!، فلابد من معجزة ظاهرة أمامهم، ولكن كل هذا بإذن الله – تعالى – كما قال تعالى مخاطبًا عيسى – عليه السلام – وهو يمنُّ عليه بما حباه من معجزات: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠) ﴾ ، وبهذا تبيّن لك عوار النصراني حيث حصر معجزات النبي ﷺ في الوحي فقط، فتنبه!.

(٣) ص ١٦٠ « المصدر السابق ». (٤) ص ٢٣٤ « العقيدة والشريعة » لجولد زيهر.

[٥] بل الإسلام دين الله الذي لا يُقبل – عند الله – دين سواه، وقد أرسل الله عَزَّ وَجَلَّ به جميع أنبيائه ورسله عليهم وعلى نبيهم الصلاة والسلام – من لدن آدم إلى محمد ﷺ، وليس له مؤسس من البشر إنما الدين لله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) ﴾ ، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾ .
وعليه فلا ينبغي تمرير هذا الوصف من ذلك اليهودي الحاقد لخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، فتنبه!

ما يشبه عبادة محمد، وهذه العبادة، وتلك الصورة مخالفتان لما كان عليه الإسلام الأول كل المخالفة، أما أولياء الله في الإسلام، ففي مقابل الأرواح القدسية في الهلينية «هم الكائنات الروحية الوسيطة بين الذات الإلهية وبين المادة عند الغنوصية» حتى أن محمداً – وهو نموذجهم الأعلى – ينتهي بأن يصبح هو العقل الموجود منذ الأزل، وأن يكون الرحيم المُخَلِّص القدير، وعن طريق هذا المذهب، انقلبت فكرة الوحي التي كانت موجودة في الإسلام الأول إلى ضدها»(١).

ويقول فيليب حتى: «والعقيدة الثانية في باب الإيمان هي أن محمداً رسول الله، وخاتم النبيين، وفي علم الإلهيات القرآني ليس محمد إلا بشراً لم يتم الله على يده من العجائب غير إعجاز القرآن، إلا أن التقاليد والأساطير التي اصطنعتها العامة[٢]، من بعد، نسجت حول هامة الرسول هالة من النور الإلهي (٣)» وهكذا يدرك يهود ومسيحيون[٤] حقائق من الإسلام يتعامى عنها أحبار الصوفية، لقد تجرد أولئك المستشرقون قليلاً من التجرد، ولكنهم فهموا كثيراً من الفهم الصائب، فوصفوا الحق ببعض صفاته، ولولا أنك على

---

(١) ص ١٢ «التراث اليوناني» ترجمة الدكتور بدوي.

[٢] هذا خطأ بيِّن؛ نعم، إن أعظم معجزة حباها الله – عزَّ وَجَلَّ – لنبيه محمد ﷺ القرآن الكريم، ولكن قد أوتي النبي ﷺ معجزات غيرها كثير؛ كمعجزة الإسراء والمعراج وفيضان الماء بين أصابعه يوم الحديبية حتى سقى وروى جيشًا كاملاً، وتكثير الطعام يوم الخندق حتى أطعم بصاع من شعير وجدي صغير جيشا كاملاً، وحنين الجذع إليه ونطقه على مسمع ومرأى كثير من الصحابة عند اتخاذه ﷺ منبرًا من خشب، وانشقاق القمر له ﷺ حين طلبت قريش منه ذلك، غيرها كثير مما هو مبثوث في كتب السنة والسيرة.
أما إغفال هذا المستشرق لهذه المعجزات بجانب القرآن الكريم، فهذا يرجع لسببين: أحدهما: جهله بهذه المعجزات أو ببعضها وهذا متأكد. وآخرها: أنه أغفلها كيداً للإسلام وانتقاصًا من مقام الرسول الكريم ﷺ ويدل على ذلك قوله: «إلا أن التقاليد والأساطير التي اصطنعتها العامة ...» وهذا فيه غمزٌ للصحابة الكرام ﷺ الذين نقلوا هذه الأحاديث، ومثل هذا المستشرق لا يُحَسن به الظن، فتنبه.

(٣) ص ١٧٧ جـ ١ «تاريخ العرب العام» لفيليب حتى.

[٤] التسمية الواردة في الكتاب والسنة «نصارى» قال تعالى: ﴿ومن الَّذين قَالُوا إنَّا نصارىٰ﴾ [المائدة: ١٤] وقال عز وجل: ﴿وَقَالَتِ النَّصارىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلىٰ شيءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]، ومن هنا يتبين أنه لا يصح تسميتهم بالمسيحيين كذلك فإن المسيحيين الذين اتبعوا المسيح عليه السلام وهؤلاء ما اتبعوه، إنما كفروا به.

بينة من عقائدهم الأسطورية الباطلة، لظننتهم في قولهم هذا مسلمين يتهجدون في المحاريب في نور من القرآن!.

أو يرضيك أن يصدع بذلك الحق، قوم لم تلن قلوبهم لدين الحق، وأن يسجد الصوفية للباطل، يعبدون خرافاته، ويمجدون أساطيره، ويزعمون أنهم أئمة الدين وأعلامه؟!.

لقد تزعمت يا سماحة الشيخ هذه الجماعة التي دَوَّخها الباطل، فَهَلاَّ ذَكَّرتهم بهدى الله، وجاهدتهم؛ لتحملهم عليه، فيؤمنوا به، وتخبت له قلوبهم؟!

كل شيء من نور محمد

بهذا يدين الصوفية، وفيه يتغزلون، ولقد عبر الدباغ[١] عن هذه الأسطورة إذ يقول: «اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأرضين وجنات وحجب، وما فوقها، وما تحتها إذا جمعت كلها، وجدت بعضا من نور النبي، وأن مجموع نوره، لو وضع على العرش، لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش، لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها، ووضع ذلك النور العظيم عليها، لتهافتت، وتساقطت»(٢).

ويقول تيجاني: «لما خُلِق النور المحمدي، جمع في هذا النور المحمدي جميع أرواح الأنبياء والأولياء جميعًا جمعًا أَحَدِيًّا، قبل التفصيل في الوجود العيني، وذلك في مرتبة العقل الأول»(٣).

ويقول الحلواني في قصيدته «المستجيرة» يخاطب رسول الله:

أنشاك نوراً ساطعًا قبل الورى ... فرداً لفرد، والبرية في العدم
ثم استمد جميع مخلوقاته ... من نورك السامي، فياعظم الكرم

[١] هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري القيرواني، المولود سنة ٦٠٥ هـ والمتوفي سنة ٦٩٩ هـ، والمعروف بـ«ابن الدباغ»، انظر: «الموسوعة الصوفية»، ص (٢٠٢).
(٢) ص ٨٤ جـ ٢ «الإبريز».
(٣) ص ١٤ جـ «الرماح» لعمر بن سعيد.

فلذا إليك الخلق تفــزع كلـهم في هذه الدنيــا، وفي اليــوم الأهم
وإذا دهتــهم كــربة فــرجــتــهــا حتى سوى العقــلاء في ذاك انتظم
جُدْ لي، فإن خزائن الرحمن في يدك اليمين وأنت أكرم من قسم(١)[٢]

والله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ﴾ [المؤمنون: ١٢، ١٣]، ومحمد ﷺ إنسان. وإلا فليأتوا له بصفة أخرى! والرسول نفسه ﷺ يقول: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»(٣).

تحدث الرسول ﷺ عن النور، وعمن خلق منه، فلم يذكر عن نفسه أنه خلق من نور، كما ذكر عن الملائكة، وتحدث عن آدم الأب الأول للبشرية، وعن خلقه، وأنه خلق مما ذكر الله في القرآن، يعني من طين لازب، ومحمد ﷺ ابن آدم!، فلمن تنتسب الحقيقة المحمدية الصوفية؟!.

وفي كتاب الله آية واحدة تدك وحدها كل ما يوفض[٤] إليه الصوفية من نصب[٥] أقاموها لهذه الأسطورة، تلك هي قوله سبحانه لنبيه ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] وكلمة شيء أوسع كلمة في العربية دلالة على العموم والشمول، حتى أطلقها بعضهم على الموجود والمعدوم، بل يعمم ابن عربي دلالتها، حتى يجعلها تتناول الصور الذهنية! وفوق هذا جاءت كلمة «شيء» نكرة في سياق النفي فزاد عمومها وشمولها.

(١) ص ١٤ وما بعدها من رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني.
[٢] ومن قبله قال شرف الدين البوصيري في بردته المشهورة:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلّى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرّتها ومن علومك علم اللوح والقلم

انظر البردة، ص ٢٤

(٣) مسلم وأحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها.
[٤] «أوفض»: أسرع.
[٥] «النُصُب»: ما نُصب وعُبد من دون الله.

وتدبر قوله سبحانه: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٩) ﴾ [الأحقاف: ٩].

فهل يدين الصوفية في الرسل جميعًا بما يدينون به في محمد ﷺ، إذ ليس هو «بِدْعًا من الرسل»؟!.

وتدبر قوله سبحانه لنبيه: ﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) ﴾ [الجن: ٢١، ٢٢].

هذا هو هَدْي القرآن، فقارن بينه، وبين ما افترته الصوفية من إفك حول النور المحمدي الذي خلق منه كل شيء! وثَمَّتَ توقن أنه ليس في الإمكان – حتى في النادر المعجز منه – إيجادُ نسبٍ ما بين هدى الله إليه وبه من الحق، وبين ما ضل به الصوفية، وأضلّوا خلقًا كثيراً.

تدبر قول الله تجد الهدى في إشراقه، والحق في جلاله والحكمة في نورها الإلهي، وتأمل إفك الصوفية، تجده قيئًا من الكفر المتقيّح!!.

أكان محمد يعرف القرآن قبل نزوله؟

مما تأفكه الصوفية أن جبريل عجب حين رأى محمداً يتلو القرآن قبل أن يُعَلِّمه إيَّاه!! فسأل جبريلُ، فأجابه النبي: ارفع الستر مَرَّةً حين يُلْقي إليك الوحيُ، ففعل جبريل، فرأي محمداً هو الذي يوحي إليه، فصاح مُسَبِّحًا: منك، وإليك يا محمد؟!!.

ومازال يهذي[١] بهذه الأسطورة في الرحاب الفساح من الأزهر رجل لاعمل له سوى إثارة الحرب مُؤَرِّثة[٢] الأحقاد على الكتاب والسنة!!

ويتناقل هذه الأسطورة صوفي عن صوفي في كل حمأة وثنية، أو حانة صوفية. ولم لا؟ وقد فَحَّ بهذه الفرية أفعوان[٣] الصوفية الأكبر ابن عربي؛ إذ يقول مفسراً قول الله سبحانه ﴿ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾

[١] «هَذَىٰ» فلان: تكلم بغير معقول.
[٢] «مؤرِّثة»: هي من «أرَّث» النار؛ أي أوقدها.
[٣] «الأفعوان»: ذكر الأفاعي، وجمعه (أفاعٍ).

[طه : ١١٤] : « اعلم أن رسول الله ﷺ أُعْطِيَ القرآن مُجْمَلاً قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور، فقيل له : [و] لا تعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل، فتلقيه على الأمة مُجْمَلاً، فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله »(١).

رد هذه الفرية

وبطلان هذه الفرية بَدَهِيٌّ يحكم به مَنْ في قلبه بارقة من إيمان، بيد أن غشاوة الصوفية على بصائر مُعْتَنِقيها حالت بينها وبين إدراك الحقيقة الإيمانية الأولى، وهي أن رب الوجود هو الله وحده لا شريك له، فَلم لا تحول بينها وبين إدراك بطلان تلك الفرية؟! لهذا نذكرك بهَدْي الله سبحانه : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ ۝ ﴾ [النجم : ٥ -٧] . آيات بينات تهديك إلى أن الذي علم رسولَ الله القرآن هو جبريل، وإلى أنه ﷺ : لم يكن على علم بشيء ما منه قبل أن يَنْزل جبريل به عليه .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ۝ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ۝ ﴾ [الفرقان : ٣٢، ٣٣] .

ويقول ابن عربي أنه نزل عليه جملة واحدة، فقوله قول الكافرين!! ومن قوله سبحانه ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ ﴾ [سورة القدر : ١]، نؤمن بأن محمداً ﷺ لم يعلم بآية ما من كتاب ربه إلا في ليلة القدر، فمتى علم الرسول القرآن مجملا؟ أقبل ليلة القدر[٢]، أم بعدها؟ ومن عَلَّمه إياه مجملا؟ أجبريل، أم غيره؟ ائتوني بأثارة من علم، إن كنتم صادقين. ويهب الله للحق برهانًا تنجاب[٣] به كلُّ ريبة : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ ﴾ [الشورى : ٥٢] أيفهم الصوفية، أم هي اللجاجة[٤] في

---

(١) ص ٦ « الكبريت الأحمر » للشعراني على هامش اليواقيت والجواهر ط ١٣٠٧ هـ.

[٢] [قال ابن كثير : « قال ابن عباس وغيره : أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ »، انظر تفسير ابن كثير (٨ / ٢٥٣) والقرطبي (٢٠ / ١٣٠)] .

[٣] « تنجاب » : تنقطع .

[٤] « اللجاجة » : التمادي .

العناد؟ ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٦) ﴾ [يونس: ١٥، ١٦].

وفرية الصوفية تناقض هذه الحجة الإلهية على صدق محمد ﷺ .

أولاً يذكر الصوفية أن رسول الله حين فجأه الوحيُ، كان يقول – وجبريل يغطه: «ما أنا بقارىء»؟!

وأنه عاد إلى زوجه الطيبة الطهور في خوف وقلق، وأن هذه المؤمنة العظيمة قالت له قَوْلَتَها التي طَيَّبها الإيمانُ بروحانيته «والله لا يخزيك الله أبدًا»[١].

أفكان يحدث هذا، أو بعضه، لو أنه ﷺ، كان على بينة من القرآن، قبل نزوله عليه؟ لِمَ قال: ما أنا بقارىء؟ يكررها ثلاثًا؟ لِمَ عاد خائفًا حتى زَمَّلُوه ودَثَّروه؟ لِمَ بَثَّ ذات نفسه إلى زوجه خديجة، ولِمَ ذهب معها إلى ورقة ابن نوفل؟! كل هذا حدث منه ﷺ حتى بعد نزول الوحي عليه!! أهذه دلائل علم سابق بالقرآن، ويقين جازم به قبل نزول جبريل عليه به في ليلة القدر؟، أم دلائل مشاعر نفس مؤمنة تقية، فجأها من الله – سبحانه –، ما لم تكن تدريه من قبل؟!

واهًا للصوفية!! تبصر نور الشمس يتوهج، فتقول يا للظلام الدامس[٢]!! كبعض الطير يعشيه النهار[٣]!!

ولقد كان أعداء الرسول يسألونه مُحْرِجين مُتَعَنِّتين، يبتغون تكذيبه،

---

[١] حديث «بدء الوحي» مشهورٌ معروف؛ وهو في البخاري (٣، ٣٣٩٢، ٤٩٥٣، ٤٩٥٦، ٤٩٥٧، ٦٩٨٢)، وفي مسلم (١٦٠، ١٦١).

[٢] «دَمَسَ» الظلام: اشتدّ.

[٣] «العشا»: هو عدم البصر بالليل والبصر بالنهار.

والتجديف[١] عليه، فلم يكن يجيبهم بشيء - لأنه لا يعرف الجواب - عما سألوه عنه، إلا بعد أن ينزل جبريل عليه به؛ سألوه عن الروح، وعن فتية الكهف، وعن ذي القرنين، فقال ﷺ: غداً أجيبكم!! وأنساه حرصه النبيل على إقامة الحجة عليهم وهدايتهم، فلم يقل: إن شاء الله، ففتر عنه الوحي حتى حَزَبه الأمرُ، وبلغت به الشدة مبلغها، ولم لا؟ وعدُوُّه مُتَرَبِّصٌ به، حريص على تكذيبه، وعلى أن يثير الشبهات حول رسالته، ورغم هذا يفتر عنه الوحي!! ثم مَنَّ الله عليه به، فعلم عن الله جواب ما سألوه عنه فقال الرسول ﷺ لجبريل: «لقد رِثْتَ عليَّ، حتى ظن المشركون كل ظن» فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾(٢) [مريم: ٦٤] أفكان يحدث هذا، لو أن رسول الله ﷺ، كان على بينة من القرآن قبل نزوله؟ لماذا لم يجب مَنْ سألوه؟ لأنه لم يكن يعرف الجواب، ولكن ابن عربي يكفر بكل تلك الدلائل، ويفتري أسطورته، فَتَؤُجُّ[٣] في الصوفية كالنار في الهشيم، وتنتشر كالوباء الفتَّاك، وتظل ديناً يكتبه الشعراني ويهرف به حمقى الصوفية!!

وعذرنا في إطالة الرد على هذه الفرية أنها دين قوم يحسبون على الإسلام، ومن أئمته، ومازال عَدُوُّ ربه «فلان» ينعب بها حتى اليوم في رحاب الأزهر، يضج بها نعيبُه، والمؤذن يقول: الله أكبر!!

---

[١] «التجديف»: التجليب والتشنيع.

(٢) قال المؤلف: انظر تفسير ابن كثير في هذه الآية، قال المعلّق: «عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبرائيل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» قال: فنزلت ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية، رواه البخاري، وقال مجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك ومقاتل والكلبي: احتبس جبريل عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيبهم، ورجا أن يأتيه جبريل بجواب ما سألوا عنه؛ قال عكرمة: فأبطأ عليه أربعين يوماً، وقال مجاهد: اثنتى عشرة ليلة، وقيل غير ذلك، فقال النبي ﷺ: «أبطأت عليّ حتى ساء ظني واشتقت إليك»، فقال جبريل - عليه السلام -: إني كنت أشوق، ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت، وإذا حُبست احتبست فنزلت الآية: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾، انظر تفسير القرطبي (١١ / ١٣٤)، وابن كثير (٥ / ١٥٣).

[٣] «أجَّج» النار: ألهبها، و«أجَّج» بينهم الشر: أوقده وأثاره.

تعالوا إلى كلمة سواء

فما رأي صاحب السماحة في تلك الوثنيات؟ لا يذكي في نفسك الحسرة، وفي أعماق قلبك السعير، أن ترى الصوفية تبهت الحقَّ بما لم يَبْهَتْهُ به إلحادٌ من قبل، وتجحد به جحوداً، ليس كعناده عناد، ولا كبغيه بَغْيٌ. لا تدعْ رُعْبَ القلق يعصف بك، فيقلب على السهد[١] جنبيك بحثًا عن كيد تكيد لنا به، بل ﴿ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٦١].

نحب أن نحتكم إلى الكتاب والسنة. لا تقولوا: قال فلان، فما أذكركم إلا بقول الله. اذكروا ابن عباس حبر هذه الأمة، وهو يقول لمن جادله بقول نسبه إلى العمرين: «يوشك أن ينزل الله عليكم ناراً من السماء، فتحرقكم أ أقول لكم: قال الله. وتقولون لي: قال أبو بكر، وقال عمر؟» فاحذروا أن يقع بكم ما أشفق عنه ابن عباس على مجادليه، واختر يا سماحة الشيخ للمحاجَّة أي مكان تشاء، ولن أقول لك قبلها: أنا المصيب، وإنما أقول لك ما علمه الله لنبيه – وهو الذي ملأ الله قلبه باليقين الثابت والهدى والحق – ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سبإ: ٢٤].

أما أن تشكو منا إلى النيابة – ولها احترامها – فهو فرار جبان من صدمة الحق، وعجز ذليل في الدفاع عن الرأي، ولا نرتضي – رغم ما صنعت بنا – أن تَمَسَّك ريبةٌ من تلك النقائص، وأنت العالم الكبير الذي تولى من قبل الخطير الكبير من مناصب الأزهر!.



[١] «السهد»: الأرق.

الفصل الرابع
وحدة الأديان

آمنت الصوفية بأن الله – سبحانه – هو عين خلقه، هذه الأسطورة – أسطورة وحدة الوجود – استلزمت عند الصوفية الإيمان بوحدة الأديان سواء منها ما نسجته عناكب الأوهام، وافترته أساطير الخيال، وفارت به الشهوات، أو ما أوحاه الله إلى رسله، ولهذا آمن الصوفية سلفهم وخلفهم بأن الإيمان والتوحيد عين الكفر والشرك، وبأن الإسلام على هداه وقدسه، عين الدين المجوسي في ضلاله ورجسه.

دين ابن عربي

وكعهدك بي أذكرك بما اختلقوه من إفك حول تلك الأسطورة؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا مَنْ حَيَّ عن بينة.

يقول ابن عربي:

عقد الخلائق في الإله عقائدا ... وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه(١)

ويقول:

لقد كنتُ قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صارَ قَلْبي قابلاً كلَّ صورةٍ ... فَمَرْعىً لِغزْلانٍ، ودير لرهبان
وبيتٌ لأوثانٍ، وكعبةُ طائفٍ ... وألواحُ توراةٍ، ومصحف قرآن
أدينُ بدين الحبِّ أنَّى تَوَجَّهَتْ ... ركائبُه، فالدين ديني وإيماني(٢)

ويحذر ابن عربي أتباعه أن يؤمنوا بدين خاص، ويكفروا بما سواه،

(١) انظر: «شرح الفصوص» لعبد الرحمن جامي شرح الفص الهودي.
(٢) ص ٣٩ «ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق» لابن عربي.

فيقول: «فإياك أن تتقيَّد بعقد مخصوص، وتكفر [ما] سواه، فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه، فكن في نفسك «هَيُولي[١]» لصور المعتقَدات كلها، فإن [الإله - تبارك وتعالى -] أوسع وأعظم من أن يحصره عَقْد دون عَقْد، فالكلُّ مُصيبٌ، وكل مُصيبٍ مأجورٌ، وكل مأجورٍ سعيدٌ، وكل سعيدٍ مَرْضِيٌّ عنه»[٢].

وهذا الدين الأسطوري يستلزم حتما نفي عذاب الآخرة، فَرَبُّ الصوفية في دينهم كل مشرك وكل موحِّد، ويستحيل أن يعذب الرب نفسه، ولهذا يقول ابن عربي:

فلم يبق إلا صادق الوعد وحدَه ... وما لوَعيد الحقِّ[٣] عينٌ تُعاينُ
وإن دخلوا دارَ الشقاء، فإنهم ... على لَذَّةٍ فيها نعيمٌ مُبَاين
نعيمُ جنان الْخُلد [والأمر] واحد ... وبينهما عند التَّجَلِّي تبايُن
يُسَمَّى عَذابا من عذوبة طعمه ... وذاك له كالقشر، والقشرُ صائن[٤]

وهكذا يوغل ابن عربي إيغالاً سحيقاً في الْغُلُوِّ العجيب من التناقض، ويكدح شيطانيته؛ لتبتدع من البدع ما يقضي به على بقية الخير اليتيمة من إيمان المسلمين! لقد آمن بأن الرب عين العبد، وأن الإيمان صِنْوُ[٥] الكفر حقيقة وغاية، فما الذي يمنعه من الإيمان بأن الوعد عين الوعيد؟ وأن نعيم الجنة وكوثرها عين عذاب السعير وغسلينها؟ لم يمنعه شيء، فصرح كما ترى به! فأي قضاء على الدين والأخلاق، أشد طغياناً من ذلك، إذا كان العمل الصالح يستوي والعملَ الخبيث، وإذا كانت الفضيلة عينُ الرذيلة، وإذا كان الخيرُ قرينَ

(١) «الهيولي» لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح الفلسفي هي «ما به الشيء بالقوة، أو جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال»، وقد استعملها ابن عربي هنا بمعنى القابل، أي الذي تنطبع فيه صور المعتقدات كلها، وينفعل بها، وتصدر عنه أفعاله طبقاً لمعتقداته المتنوعة.

(٢) ص ١٩١ وما بعدها فصوص الحكم بشرح بالي ط ١٣٠٩ هـ.

(٣) يعني بالوعد النعيم في الآخرة، ويعني بالوعيد عذاب الآخرة. يريد من هذا نفي العذاب مطلقاً في الآخرة حتى للمشركين.

(٤) ص ٩٤ فصوص جـ ١ بتحقيق الدكتور عفيفي.

[٥] «الصنو»: النظير والمثيل.

الشر، وما مصير الإنسانية لو أنها آمنت بهذه الصوفية؟!

الحكم بنجاة فرعون

ولهذا يحكم ابن عربي بنجاة فرعون موسى، يقول معقبًا على قوله تعالى ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ [القصص: ٩]: «فبه قرَّت عينُها بالكمال الذي حصل لها، وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق، فقبضه طاهرًا مطهرًا، ليس فيه شيء من الخبث(١)» ويقول عن فرعون أيضًا: «فنجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه، ونجَّى بدنه، [كما قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩٢] لأنه لو غاب بصورته ربما قال قومه احتجب، فظهر بالصورة المعهودة ميتًا ليعلم أنه هو] فقد عمته النجاة حسًّا ومعنى»(٢)[٣].

واقرأ بقية ما افتراه في «الفص الموسوي» من كتابه الفصوص، ففيه يفضل فرعون على موسى!.

دين الجيلي

الجيلي يؤمن بوحدة الوجود، كما بينت لك، وأنقل لك هنا نصًا يدينه، ويكشف عن معتقده هذا، وهو إيمانه بأن الله عين خلقه.

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة ... وأنت بها الماء الذي هو [نابع]
وما الثلج في [تحقيقنا] غير مائه ... وغَيْران في حكم دعته الشرائع(٤)

(١) ص ٢٠١ «المصدر السابق».

(٢) ص ٢١٢ «المصدر السابق».

[٣] قال ابن عربي بعد هذا الكلام: «ومن حقت عليه العذاب الأخروي لا يؤمن ولو جاءته كل آية حتى يروا العذاب الأليم: أي يذوقوا العذاب الأخروي، فخرج فرعون من هذا الصنف، هذا هو الظاهر الذي ورد به نص القرآن، ثم إنا نقول بعد ذلك - والأمر فيه إلى الله - لما استقر في نفوس عامة الخلق من شقائه، وما لهم نص في ذلك يسندون الشقاء إليه» «الفصوص» ص (٢٢٣) شرح قاشاني.

(٤) تامل سخريته بالشرائع، لا لشيء سوى أنها تحكم بالمغايرة بين الخلق والخالق في الذات والصفات. والجيلي يشبه الوحدة بين الله وخلقه بالوحدة بين الثلج والماء، فكلاهما عين الآخر، فالثلج ماء متجمد، والماء ثلج ذائب، فالمغايرة بينهما في الاسم، لا في الحقيقة، كذلك الله وخلقه، إذ المغايرة بينهما في الاسم فقط، كالمغايرة بين الماء في حال تجمده، وبينه في حال ذوبانه.

ولكن بذَوْبِ الثلج يُرْفَع حكمُـه ويوضع حكـمُ الماء، والأمـــر واقع
تَجَمَّعَت الأضدادُ في واحد البها وفيه تلاشت، وهْوَ عنهن ساطع(١)

ولإيمان الجيلي بوحدة الوجود، آمن بوحدة الأديان.

وأسلمتُ نفسي حيث أسلمني الهوى ومـالِيَ عن حُكْمِ الحـبـيبِ تَنَازُعُ
فَطَوْرًا تراني في المساجد راكعًا **وإنيَ طوراً في الكنائس راتعُ**[٢]
إذا كنتُ في حكم الشريعة عاصيا فـإنيَ في علم الحقيقة طائع(٣)

ويقول مفسرًا لا إله إلا الله: «[يعني] الإلهية المعبودة ليست إلا أنا، فأنا الظاهر في تلك الأوثان، والأفلاك والطبائع، وفي كل ما يعبده أهلُ كل ملة ونِحْلة، فما تلك الآلهة كلها إلا أنا؛ ولهذا أثبت لهم لفظ الآلهة، وتسميته لهم [بهذا] اللفظ من جهة ما هم عليه في الحقيقة تسمية حقيقية لا مجازية ... [إنما] أراد [الحق] أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة، وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك إلا هو، فقال: «لا إله إلا أنا»، أي ما ثَمَّ، [ما] يُطلَق عليه اسم الإله إلا وهو أنا .. «لا إله إلا أنا؛ أي ما ثَمَّ إلا أنا، وكل ما أطلقوا عليه اسم الإله، فهو أنا»(٤).

هذه الوثنية الطاغية الجامدة تُبشِّر بها الصوفية على أنها التوحيد الخالص، ورَفيفُ الروحانية من قُدُس السماء!

إبليس عند الجيلي

وعجب يدهش منه العجب، أن ترى الصوفية حَفِيَّة دائمًا بتقديس عدو

(١) ص ٢٣ جـ١ «الإنسان الكامل للجيلي» ط ١٢٩٣هـ.
[٢] بين هذا البيت والبيت الذي يليه عشرة أبيات كما في «الإيقاظ»، فالبيت الذي يليه هو:
أراني كالآلات وهو محرِّكي
أنـا قلـمٌ والإقتـدار أصابـعُ
(٣) ص ١٤٣ جـ١ «إيقاظ الهمم في شرح الحكم» لابن عجيبة ط ١٢٣١ هـ.
(٤) ص ٦٩ جـ١ «الإنسان الكامل» للجيلي، وتراه يصوب عبادة الأصنام، وعبادة الأفلاك، وعبادة الطبيعة، لأن هذه الأشياء التي عبدت ليست إلا ذات الله متعينة في تلك الصور، ومسماة بتلك الأسماء!!.

الله، كفرعون، وإبليس، ثم تزعم للناس أن أقطابها أحبَّاءُ الله وأوِدَّاؤه، وأنهم مشارق ألوهية وربوبية، وأن لهم القدرة الخلاقة القهارة التي تُسَخِّر الوجود كله لقبضتها الظلوم! لقد مَجَّد ابنُ عربي فرعونَ، حتى فضله على موسى كليم الله، وها هو الجيلي يمجد إبليس العدو الأول لله وللبشرية!

يقص الله علينا إباء إبليس عن السجود لآدم، وقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] فيقول الجيلي: «وهذا الجواب يدل على أنَّ إبليس من أعلم الخلق بآداب الحضرة، وأعرفهم بالسؤال، وما يقتضيه من الجواب» واقرأ بقية خطاياه في كتابه «الإنسان الكامل»؛ لتراه في إعجابه الرائع بإبليس، وتقديسه له، وحكمه بأنه في الفردوس يوم القيامة، يقول الجيلي ص ٤٢ جـ٢ من الإنسان الكامل «[فلا] يُلْعَن إبليس أي لا [يطرده] عن الحضرة الإلهية إلا قبل يوم الدين؛ لأجل ما يقتضيه أصله، وهي الموانع الطبيعية التي تمنع الروح عن التحقق بالحقائق الإلهية، وأما بعد ذلك فإن الطبائع تكون لها من جملة الكمالات، فلا لعنة، بل قرب محض، فحينئذ يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهي.. قيل إن إبليس لما لعن هاج وهام لشدة الفرح حتى ملأ العالم بنفسه، فقيل له: أتصنع هكذا، وقد طردت من الحضرة؟ فقال: هي خلعة أفردني الحبيب بها لا يلبسها مَلَكٌ مقرب ولا نبي مرسل» هذا نص الجيلي بلفظه!

دين ابن الفارض

يقول في تائيته الكبرى:

فبي مجلسُ الأذكارِ سَمْعُ مُطالعٍ ... ولي حانَةُ الخمار عينُ طليعة

وما عَقَدَ الزُّنّار (١) حُكْماً سوى يدي ... وإن حُلَّ بالإقرار بي، فَهْي حَلَّتِ

وإن نار بالتنزيل محرابُ مسجدٍ ... فما بار بالإنجيل هيكلُ بَيْعَه (٢)

وأسفارُ توراةِ الكليم لقومهِ ... يناجي بها الأحبارُ في كل ليلة

(١) ما يشده النصارى على أوساطهم.

(٢) معبد النصارى.

وإن خرَّ للأحجار(١) في البُدِّ عاكفٌ فلا [وَجْهَ للإنكار][٢] بالعصبية

وما زاغت الأبصار من كل ملَّةٍ [لا] راغت الأفكارُ من كلِّ نحلة

وما احتار مَنْ للشمس عن غرَّةٍ صَبا(٣) وإشراقُها من نور إسفار غُرَّتي

وإن عبد النارَ المجوسُ، وما انطفت كما جاء في الأخبار في ألف حجة(٤)

فما قصدوا غيري، وإن كان قصْدُهم سواي، وإن لم يُظْهروا عَقْد نية[٥]

حانات الخمر، ومواخير الخطايا، وصَلَوات(٦) اليهود، وبِيَع النصارى وهياكل المجوس والصابئة، وبيوت الأصنام، ومجالس الذكر، ومساجد الله، كلها عند ابن الفارض ساح فسَاحٌ يُعْبَد فيها الله عبادة يحبها ويرضاها(٧)؛ لأنه المعبود فيها والعابد!! وهذا المشرك العاكف على الأصنام يسجد لصخورها الصُّم، وهذا الصابيء الساجد في معبد الكوكب، وهذا المجوسي يتبتل بضراعته إلى النار، وهذا اليهودي التائه يريق الدموع على مَبْكَاه، ويُؤَجِّج سعير الحقد على الله، كل هؤلاء عند ابن الفارض على بينة من الهدى والفرقان، فما هم في دينه إلا الذات الإلهية متعينة في صور بشرية!!.



(١) الصنم أو بيت الأصنام.
[٢] في نسخة الديوان، ط. دار المعارف [تعد في الإنكار]، وهذه الأبيات رقم (٧٣١ – ٧٣٥).
(٣) مال قلبه.
(٤) يشير إلى ما يقال من أن نار المجوس التي ظلت تشتعل ألف عام خمدت ليلة مولد النبي.
[٥] الأبيات رقم (٧٣٨ – ٧٤١).
(٦) أمكنة عبادتهم.
(٧) يقول جولد زيهر: «مهما تظاهر الصوفيون بتقديرهم للإسلام، فلغالبيتهم نزعة مشتركة إلى محو الحدود التي تفصل بين العقائد والأديان، وعندهم أن هذه العقائد كلها لها نفس القيمة النسبية إزاء الغاية المثلى التي ينبغي الوصول إليها» ص ١٥١ «العقيدة والشريعة».

الفصل الخامس

شيوخ الصوفية وكراماتهم(١)

عبادة الأحبار والكهان

ما ألحفت(٢) الصوفيةُ في شيء إلحافها في الدعوة إلى اتخاذ شيوخها أربابًا من دون الله، ففرضت على الدرويش أن يكون وطاءً ذليلاً لشيخه مُسْتَعْبَدَ الفكر سليب الإرادة كجثة الميت في يد الغاسل، وجعلت هذه العبودية الممتهنة أولى الدلائل على طاعة المريد لشيخه، وعلى حبه له، وعلى أنه يرقى معارج الوصول إلى حظائر القدس. اسمع إلى طيفور البسطامي يقول: «من لم يكن له أستاذ، فإمامه الشيطان(٣)» وإلى صاحب لطائف المنن(٤) يزعم: «من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الأتباع، ويكشف له عن قلبه القناع، فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له، دعيٌّ لا نسب له(٥)» وإلى محمد عثمان يقرر آداب المريد مع شيخه: «ومشاهدتك له في كل حال وَرَدَ عليك أنه بواسطته إليك يا فتى، ومنها أن تجلس جلوس الصلاة عنده، وأن تفنى فيه، وألا تجلس فوق سجادته، وألا تتوضأ بإبريقه ولا تَتَّكِئَ على عكازه، واسمع ما قال بعض الأصفياء: من قال لشيخه: لِمَ ؟! لا يفلح، ولتكن محضره في قلبك

---

(١) لا ينكر مسلم إكرام الله لأوليائه بما وعدهم به من أن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونستطيع أن نعرف من القرآن ما يكرم الله به أولياءه فقد وصفهم الله بأنهم المؤمنون المتقون، فاقرأ في القرآن ما أعده الله للمؤمنين المتقين، تعرف ما يكرمهم الله به، ولكنك لن تجد فيه ما يزعمه الصوفية.

(٢) «ألحف»: ألحّ واستمر.

(٣) ص ١٤٧ كتاب «الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الاصلية» ط ١٩١٣ م.

(٤) كتاب «لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق» ويسمى أيضًا: المنن الكبرى الجالبة للسرور والبشرى» ومؤلفه أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني؛ نسبة إلى قرية ساقية أبي شعرة بالمنوفية بـ«مصر»، ولد بها سنة ٨٩٨ هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ٩٧٣ هـ الموسوعة الصوفية ص (٣٤٢).

(٥) ص ١٤٦ «المصدر السابق».

وخيالك، فإن غفلت عنه وقتًا، فهذا من مقتك، واجتهد في أن تنال مقام الفناء فيه، فَمِنْ ثَمَّ ترقى إلى مقام البقاء به[١] » وقد نظمها مصطفى البكري، فقال:

وسَلِّم الأمـر له، لا تعتـرضْ ... ولو بعصيانٍ أتى أذًى فُـرِض
وكن لديه مثلَ مَيْتٍ فاني ... لدى مُغَسِّلٍ؛ لتمسي داني
ولا تَطَأْ له على سجادة ... ولا تَنَمْ له على وسادة[٢]

وقد سبقه الجيلي بهذا:

وكُنْ عنده كالميت عند مُغَسِّلٍ ... يُقَلِّبُه كيف يشاء، وهو مطاوع[٣]

وتحتم الصوفية على المريد ألا يعصي شيخه في أمر أو نهي، وإن رآه يخالف السنة المحمدية[٤] ولكي يظل الدرويش تحت قبضة الشيخ يستذل كرامته، ويغصبه ماله وعرضه، قررت الصوفية على لسان الشعراني أن من أشرك بشيخه شيخًا آخر وقع في الشرك بالله[٥]، وأن من أخذ الطريق على غير شيخه، كان على غير دين[٦]. وكتب الصوفية طافحة بمثل تلك المنكرات التي تهدر الكرامة والْقِيمَ الإنسانية النبيلة، وتجعل من الإنسان لقًى طريح الذل والهوان والصغار، وموطئًا مستعبدًا لكل نعل نجسةٍ باغيةِ الْوَطْء، تنزو بالرجس الحقير، وهذا سر ما ترى عليه الصوفية من انشطارها شطرين، شطر معبود، وآخر عابد، وسرُّ ما يروعك إذ تبصر شيخًا كبيرًا كبيرًا يلعق نعل طفل صغير مازال يتعثر في خراءته، ويتلطخ بنجاسة بوله!! لا لشيء سوى أنه حفيد مولاه

---

(١) الهبات المقتبسة لمحمد عثمان ط ١٩٣٩م.
(٢) بلغة المريد للبكري.
(٣) منحة الأصحاب للرطبي ص ٧٥
(٤) انظر ص ١٣١ قواعد الصوفية.
(٥) ص ١٥٤ المصدر السابق.
(٦) ص ١٠٣ جـ ٢ لطائف المنن، وقد شاكلوا الإسماعيلية في ذلك إذ يزعمون أن من أشرك مع إمامه سلطة أخرى أو ارتاب في وجوب الطاعة له، كان كمن أضاف للنبي نبيًا آخر، وكمن شك في نبوته، وبذا صار كمن وضع مع الله إلهاً آخر. انظر ص ٢١٨ العقيدة والشريعة لجولد زيهر.

شيخ الطريقة، ففيه سِرُّه، وفيه رَبَّانِيَّته[١]!!، وسر مخالفة الصوفية جميعًا عن أمر الله؛ لمايدينون به من أن شيوخهم لا يهمسون بهمسة إلا عن وحي من الله، فقلوبهم العروش التي استوى عليها برحمانيته، وسماوات كبريائه وجلاله وجماله، وأقداس وحيه التي يفيض منها هداه!! يقول القشيري: « [فمن] صحب شيخًا من الشيوخ، ثم اعترض عليه بقلبه، فقد نقض عهد الصحبة، ووجبت عليه التوبة!! على أن الشيوخ قالوا: حقوق الأستاذين لا توبة [عنها] »[٢].

لماذا يتوسل الصوفية بالقبور

لن أجادلك هنا يا سماحة الشيخ في توسل الصوفية بالمقبور، وبالقبور[٣] فإنه أهون ما تقترف الصوفية وضحاياها من وثنية، وأحبارها لا يتراءون بالولاء الخاشع لأصنام القبور حبا في المقبور، بل لما يُجْمَع لأوثان الموتى من نذور!!

آراء المستشرقين في التوسل

يقول جولد زيهر: « بقى كثير من عناصر الديانات السابقة للإسلام، واستأنفت حياتها في المظاهر العديدة الخاصة بتقديس الأولياء. وفي الحق ليس من شيء أشد خروجًا على السنة القديمة من هذا التقديس المبتدع المفسد لجوهر الإسلام والماسخ لحقيقته، وإن السني الصادق الحريص على اتباع السنة لابد أن يعده من قبيل الشرك الذي يستثير كراهيته واشمئزازه »، ويتحدث عن تقديس العامة للأولياء، فيقول: « وأضرحة الأولياء والأماكن المقدسة الأخرى هي موضع عبادتهم التي يرتبط بها أحيانًا ما يظهره العامة من تقديس وثني غليظ لبعض الآثار والمخلفات، بل إن العامة تخص الأضرحة ذاتها بما لا يقل عن العبادة المحضة »، ويتحدث عن الولي المحلِّي: « ويخشى الواحد منهم أن يحنث

---

(١) نصبت مشيخة الطرق طفلاً سنه خمس سنوات شيخًا لسجادة كبرى في مصر انظر ص ١٥٤ « المجموعة الدمرداشية »!!.

(٢) ص ١٥١ « الرسالة » للقشيري.

(٣) قال الجنيد عن قبر معروف الكرخي: « قبر معروف ترياق مجرب يستشفي به ويتبرك » انظر ترجمة معروف في الرسالة للقشيري والطبقات للسلمي، وهكذا عبدت الصوفية القبور منذ نشأتها!!.

في يمين حلف فيه باسم الولي أكثر مما يحمر خجلاً عندما يحلف بالله باطلاً»(١).

ويقول رونلدسن: «بالرغم من التوحيد المصرَّح به في القرآن فإن الأمم الإسلامية، لازالت تحتفظ بكثير من العادات الوثنية؛ فإن من أهم الصفحات في الحياة الدينية للعوام في جميع الأمم الإسلامية، هو تقديسهم لقبور الصالحين، وفي هاتين القضيتين ساير العلماء المحدثون(٢) اندفاعَ الرأي العام، وقد أصبح لكل قوم أئمة محليون يزورون قبورهم وآثارهم؛ فيفرح ذلك الإمام، ويشفع لهم، وينجيهم من الفقر والمرض(٣)!!».

وهكذا يدع الصوفية الفرصة سانحة لعدو الإسلام، ليجدف عليه بما يقترف الصوفية!! تأمل فيما قاله، تجده صوفية مُصَوَّرة بكل خبثها!!

لن أجادلك في التوسل، وفي أنه شرك أصم، إذ التوسل خَبَثُ شرك آخر أشد خبثًا منه؛ فالصوفية يعتقدون أن أولياءهم ليسوا بشراً، وإنما هم آلهة تخلق ما تشاء وتختار، أو هم — كما نقلنا لك من قبل — ذات الله — سبحانه وتعالى — تجسدت مرة فكانت تيجانية، وأخرى، كانت نقشبندية، وأخرى فكانت رفاعية، أو شاذلية، أو بُرْهامية!!

صوفي يخطب الجمعة عاريا

الشعراني كاهن الخطايا الصوفية، يبشر بها، ويكافح في سبيل الدعوة إليها، وعجيب أن ترى الشعراني يعقب على ذكر كل اسم صوفي يتنزَّى جسده فاحشة بقوله: «رضي الله عنه»! اسمع إلى الكاهن يبشر بهتك العورة كرامة!: «ومنهم الشيخ إبراهيم العريان، كان يطلع المنبر، ويخطبهم عرياناً، فيقول: السلطان، ودمياط، وباب اللوق، بين الصورين، وجامع طولون، الحمد لله رب العالمين فيحصل للناس بسط عظيم»(٤).

---

(١) النصوص السابقة عن ص ٢٢٢، ٢٣٤ «العقيدة والشريعة».
(٢) التعميم خطأ، فالمحدثون بحق يرون هذه البدعة من الشرك، ولعله يقصد من وضعوا الأحاديث التي نسبت زوراً إلى رسول الله ﷺ، وترشح لقبول هذه البدعة.
(٣) ص ٢٦٦ «عقيدة الشيعة».
(٤) ص ١٢٩ جـ ٢ «الطبقات» للشعراني ط ابن شقرون.

أَمِنْ رَفِيفِ الروحانية بعبير القدسية مَنٌّ الولي على حشد محشود بعورة مكشوفة، وهذيان مخيول؟!

تصور، واجعل خيالك رحيبًا رحيبًا مُجَنَّحًا بتهاويل الشاعرية، حتى يمكن أن يتصور مشهد ولي يبارك المصلين بهتك عورته!!

تصور ذلك المعبود يصعد إلى المرقاة[١] الأخيرة من المنبر في يوم جمعة، حتى إذا أنعم الشهود فيه الأبصار، وحدَّقوا إليه بالأفكار، ورَنَوْا إليه القلوب، ابتغاء تَرَشُّف العظة الهادية. حتى إذا هوَّمت عليه النواظر، وطافت به المشاعر، وحوَّمت حوله الأحلامُ والعواطف، هتك الستر عن عورته فضلاً منه ونعمة؟! ذلك المعبود على منبره، في جامعه، في جمعته يجمع الناس حوله؛ ليعظهم عظة تصلهم بأسباب السماء، فيسمعهم ذلك الهراء المخبول، وهو مُنْهَتِكُ السوءة: «باب اللوق. الخ».

تلك الصورة الوثنية التي يراها الخيال الفسيح الذي قد يستشرف غيب الأبد، وقُنَّةَ[٢] الأزل في تصوراته، ويهب للمستحيل أحيانًا وجودًا في تَهْويماته - يراها أشد استعصاء عليه من تصور وجود المستحيل، بيد أن الشعراني يؤكد لنا أنها حقيقة صوفية، فيدين بها، ويبشر بها، ويدعو الله أن يَعْمُرَ مُقْتَرِفَها برضاه، ولا يأخذنَّك العجبُ؛ فإنه صوفي!.

إننا نعرف من كتاب الله أن الآدمية عوقبت على ذنبها الأول بكشف السَّوْءَة! ﴿ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ [الأعراف: ٢٢]

صوفي يبهت البريء بذنبه

ويمضي الشعراني في تمجيد شيخه العريان فيقول: «وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر، ثم يقول: هذه ضرطة فلان، ويحلف على ذلك، فيخجل ذلك الكبير منه»(٣).

[١] «المرقاة»: الدرجة. [٢] «القُنَّة»: أعلى الجبل.

(٣) نفس الصفحة والمصدر السابق.

ولَشَدَّ ما يَشْدَخ العجب رأسه من العجب من صوفي يقدس الصوفية خطاياه، ويجعلون من معجزات قُطْبَانيَّته بَهْتُ البريء بذنبٍ افترى هو جريرته، أو بخطيئة «ذَوْقية» يمجها حتى ذوق الخنفساء![١].

هذا مع استحلال الكذب المفضوح العريان، مقسمًا بالله على صدقه!.

أرأيت إلى الصوفية كيف تعبد خاطئًا ينفث مثل هذه اليحاميم المنتنة، الخانقة في مجالس العظماء، ثم لا يمنعه فساد ذوقه، وسوء أدبه من أن يقذف سواه بذنبه، ويحلف بالله على صدق بهتانه؟!.

الصوفي يؤجر على كشف عورته

وإليك ما يأفكه الدباغ: إن غير الولي إذا انكشفت عورته، نفرت منه الملائكة الكرام، والمراد بالعورة: العورة الحسية، والعورة المعنوية التي تكون بذكر المجون وألفاظ السفه، وأما الولي، فإنها لا تنفر منه، إذا وقع له ذلك؛ لأنه إنما يفعله لغرض صحيح، فيترك ستر عورته لما هو أولى منه»(٢).

لقد جعلها الشعراني كرامة خاصة بالعريان، أما الدباغ؛ فيجعل من كشف العورة دستورًا في الولاية الصوفية!، أما الكمشخانلي، فيحدثنا عن أنواع الأولياء المتصرفين، فيقول: «والرحمانيون وهم ثلاثة أيضًا، وهم عند الوحي يجلسون عرايا، ويسمعون الوحي ويفهمون المراد منه(٣)»!.

فتأمل الصوفية تزعم أن أولياءها يسمعون الوحي! ومن هم؟ سفهاء عرابيد، تخذتهم[٤] الخطايا دعاة مجونها وسفهها! وألسنة تعبر عن سوءاتها!.

جرد يا سماحة الشيخ كتيبة من علمك، وسلطان منصبك؛ لتؤدب هؤلاء الأقطاب الذين يهتكون عوراتكم، ولعل هذه العورات المتكشفة في فجور أجدر بأن تشكوها إلى النيابة ممن يدعوكم إلى سترها، ورتق فتوقها المفتضحة!.

---

[١] يقصد المؤلف أن هذه الخطايا لا يستسيغها أحدٌ ذوقًا، حتى ولو عرضت على خنفساء.

(٢) ص ٤٣ جـ ٢ الإبريز للدباغ ط ١٢٩٢ هـ. (٣) ص ١٣٣ جامع الأصول في الأولياء.

[٤] كذا بالأصل «تخذتهم» وهو من «تخذ» ومعناها: أخذ.

تطور الصوفيين إلى وحوش وغيرها

يقول الشعراني عن الغمري: «ودخل عليه سيدي محمد بن شعيب [الخيسي]، فرآه جالسًا في الهواء، وله سبع عيون». يقول عن الشيخ أبي علي: «تدخل عليه [بعض الأوقات] تجده جنديًا، ثم تدخل عليه، فتجده سبعًا، ثم تدخل عليه فتجده فيلاً[١]، وكان يقبض من الأرض، ويناول الناس الذهب والفضة»(٢).

ترى لو أن مسلمًا قتل صوفيًا وهو «فيل، أو سبع» أتلزمه الدية، أم يلزمه القصاص؟ يزعم الشعراني أن ذلك الشيخ المتطور إلى فيل وسبع قد قطعه بعض الناس بسيوفهم، وأخذوه في تليس، ثم أصبحوا، فوجدوا الشيخ حيًا جالسًا(٣)!

خطايا: ثم ذكر الشعراني من جرائم شيوخه ما يفسد الصبي على أمه الطهور بأسلوب تستحي حتى البغي أن تهمس به في حانتها المعربدة، فاقرأه، تجد ثورة الخطيئة من جسد أوجعه الشبق![٤].

اقرأ ما سجله عن كرامات علي وحيش وأبو خودة(٥)، وغيرهما، ثم اذكر ما كان يقترفه المجرمون من قوم لوط، وبأية جريرة منكرة أخذهم الله أخذة رابية[٦]! وثمت ترى الشعراني يجعل من هذه الفاحشة الموبقة كرامة لسادته

---

[١] يوجد بين هذه الجملة وما بعدها قوله: «ثم تدخل عليه فتجده صبيًا وهكذا، ومكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها ليس لها طاقة يدخل منها الهواء وكان يقبض ....» انظر «الطبقات» ترجمة الشيخ حسين أبو علي، الجزء الثاني.

(٢) ص ٨٠، ٨١ جـ ٢ الطبقات.

(٣) ص ٨٠ المصدر السابق. يقول الشعراني: عن قوم أرادوا قتل الشيخ حسين أبو علي: «فدخلوا على الشيخ فقطعوه بالسيوف وأخذوه في تليس ورموه على الكوم، وأخذوا على قتله ألف دينار ثم زصبحوا فوجدوا الشيخ حسينًا «رضي الله عنه» جالساً، فقال لهم: غركم القمر». انظر المصدر المشار إليه نفس الصفحة.

[٤] «الشبق»: شدة الشهوة.

(٥) ص ١٢٢٢، ١٣٢ جـ ٢ طبقات ط صبيح ويقول الشعراني عن أبي خوذة: «وكان رضي الله عنه إذا رأي امرأة، أو أمردًا راوده عن نفسه، وحسس على مقعدته سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس».

[٦] قال الله تعالى على فرعون وقومه: ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ١٠]، ومعناها: زائدة في الشدة عن غيرها.

هؤلاء! معقبًا على ذكر كل جريمة يقترفها فاسق منهم بقوله: «رضي الله عنه!» ولا تعجب، فتلك الجريمة دين الصوفية من قديم. قال يوسف بن الحسين الرازي: «نظرت في آفات الخلق، فعرفت من أين أُتُوا، ورأيت آفة الصوفية في صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد، وأرفاق النسوان»(١). وإنه ليعترف بعدها بما يدينه بتلك الخطايا فيقول: «كل ما رأيتموني أفعله، فافعلوه إلا صحبة الأحداث، فإنه أفتن الفتن»(٢) ويقول: «عاهدت ربي أكثر من مائة مرة، ألا أصحب حدثًا، ففسخها على حسن الخدود، وقوام القدود، وغنج العيون، وما سألني الله – تعالى – معهم عن معصية»(٣) ويقص الخراز أنه رأي إبليس في النوم، فقال له: «تركت لي فيكم لطيفة. قلت: ما هي؟ قال: صحبة الأحداث، قال أبو سعيد: وقل من يتخلص من هذا من الصوفية»(٤).

ولقد وبخ الله سبحانه قوم لوط بقوله: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦٥] ولعنهم، وأمطر عليهم حجارة من سجيل، فما بالك بالصوفية؟!، وقد اقترفت هذه الجريمة في صورة نكراء منكرة مسفة في الخزي والضعة والحقارة، اقترفتها مع الذكران ومع العجماوات من الدواب! وأين؟ على قارعة الطريق، وعلى مشهد من كل رائح إلى السوق، أو غاد منه! ذلك ما ذكره الشعراني، وجعله كرامة ربانية لأوليائه، ويزيدها تفصيلاً، فيزعم أن «وحيشًا» كان يرغم صاحب الدابة على أن يستذلها له عند اقتراف الجريمة(٥)! وينازعني الحياء؛ لكيلا أسطر لك جرائم الصوفية بأسلوب الشعراني، فخذ بكتابه، وطالع فيه أية ترجمة لصوفي، وثمت تطالعك الجريمة بوجهها الدميم الصفيق الغليظ المنكر!.

---

(١) ص ١٩٠ «طبقات الصوفية» للسلمي.

(٢) ص ١٨٩ «نفس المصدر».

(٣) ص ١٩١ «نفس المصدر».

(٤) ص ٢٣٢ «نفس المصدر».

(٥) طالعها في «الطبقات» جـ ٢ ص ١٣٥ ط صبيح.

رمة تتصرف في الوجود

يقول الشعراني: «إنَّ شيخي [العارف بالله – تعالى – محمد الشناوي – رضي الله عنه – أحد أعيان بيته – رحمه الله – قد كان] أخذ عليَّ العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد البدوي [رضي الله عنه]، وسلمني إليه بيده، فخرجت اليد الشريفة من القبر(١)، وقبضت على يدي، [و] قال سيدي[٢]: يكون خاطرك عليه، واجعله تحت نظرك، فسمعت سيدي أحمد [رضى الله عنه] يقول من القبر: نعم».

[وقال][٣]: «ولما دخلت بزوجتي [فاطمة أم عبد الرحمن]، وهي بكر، مكثت خمسة أشهر لم أقرب منها، [فجاءني]، وأخذني، وهي معي، وفرش [لي] فرشًا فوق ركن [القبة التي على يسار الداخل]، وطبخ لي حلوى، ودعا الأحياء والأموات إليه، وقال: أزل بكارتها هنا، فكان الأمر تلك الليلة، وتخلفت عن [ميعاد] حضوري للمولد [سنة ثمان وأربعين وتسعمائة]، وكان هناك بعض الأولياء، فأخبرني أن سيدي أحمد البدوي [رضي الله عنه] كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح، ويقول: أبطأ عبد الوهاب، ما جاء!».

ثم يزعم أن البدوي يدعو العرب والعجم ويسوقهم إلى مولده، وأنه أرى الشعراني كثيرًا من الأحياء والأموات من الشيوخ والزَّمْنَى بأكفانهم يمشون ويزحفون معه يحضرون المولد(٤)! ويقول عن الحريثي: «قصدته في حاجة،

---

(١) يذكر الصاوي في حاشيته على شرح الخريدة للدردير، أن الرفاعي وقف تجاه قبر الرسول، وناجاه بهذين البيتين:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني، وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح، قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي!!

قالوا: فخرجت اليد من القبر. ويظهر أن الشعراني أبى إلا أن تكون له ولسيده البدوي تلك الكرامة!!

[٢] في الأصل بعد «سيدي» كلمة «الشناوي» وهي غير موجودة في الطبقات، ولعل المؤلف زادها لأنه حذف الاسم في بداية النقل.

[٣] في الأصل كانت هذه القطعة ملتحمة مع سابقتها، ولكن نظرًا لأنه يوجد كلامًا محذوفًا فصلناها.

(٤) اقرأ ترجمة السيد البدوي في «طبقات الشعراني».

وأنا فوق سطوح مدرسة أم خوند بمصر، فرأيته خرج من قبره يمشي من دمياط [وأنا أنظره] إلى أن صار بيني وبينه نحو خمسة أذرع، فقال: عليك بالصبر، ثم اختفى! »(١).

هنا يكاد الإنسان يفقد عقله!؛ إذ لا يتصور حتى ممن به مسكة ولهى من عقل أن يهرف، ويخرف بمثل ذلك الخبال ولكن لا عجب، فكل صوفي عدو للعقل فوق عداواته للشرع. كل صوفي يؤمن بأن « الذوق » وحده هو وسيلة المعرفة، أما العقل عندهم؛ فطاغوت أخرق، وأما الشرع؛ فمادِّيَّةٌ تنشب مخالبها في الصخر، دون أن ترمق السماء بنظرة واحدة! أو هو نوع من عبادة التاريخ الميت؛ ولهذا تتباين عندهم قيم الأشياء، تبعًا لتباين الأذواق!، وقد يرى الصوفي الباطل، فيما يري غيره فيه الحق!، ولايضيرهم أن يتوتر التناقض بين ما يؤمن به صوفي، ويكفر به آخر غيره، فكلاهما في الدين الصوفي على حق.

ولعل هذا سر فريتهم « من اعترض، انطرد! » إذ ربما حكمت بالشرع أو بالعقل على شيء ما بأنه باطل، وهو في « ذوق »(٢) شيخك حق! فتعرض نفسك للطرد من حظيرته.

على هذا يحمل الشيوخُ الدراويشَ، ويستعبدونهم، فما يفعل الشيخ من شيء، إلا ويوحى إلى درويشه أنه فعله عن أمر إلهي، وإن يكن ما فعله خطيئة خاطئة. ولا يملك الدرويش إلا أن يؤمن! ألا ترى الجنيد يجيب – حين سئل: أيني العارف؟ – بقوله: « نعم! وكان أمر الله قدراً مقدوراً »! حَقٌّ لوَّنه بباطل.

---

(١) جـ ٢ ص ١٥٤ المصدر السابق ويروون أن رجلاً قصد إلى ضريح صوفي « مشتكيًا فمد له من القبر بعود الريحان خطابا مكتوبا فيه بيت من الشعر لم يجف مداده » انظر ص ٣١٨ جـ ٢ « شرح الحكم » لا بن عجيبة.

(٢) يعرف القيصري الذوق بقوله: « ما يجده العالم على سبيل الوجدان والكشف لا البرهان والكسب، ولا على طريق الأخذ بالإيمان والتقليد » ص ١٩٣ مطلع خصوص الكلم، أو هو « أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدني لبث من التجلي البرقي » ص ١٠١ جامع الأصول للكمشخانلي، ويقول ابن عربي: « اعلم أن العلوم الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة مع كونها ترجع إلى عين واحدة » ص ١٠٧ « فصوص الحكم » ط الحلبي، ويعني بالعين الواحدة: الذات الإلهية!!.

ذلك الجنيد! زانٍ ويسميه عارفًا! أي مؤمنًا بلغ ذروة الإيمان، لأنه رأي القضاء في لوح الغيب فنفذه!(١).

والرسول ﷺ يقول: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[٢].

تنكر الصوفية على العقل أنه وسيلة إلى المعرفة، ويرهقها حنقًا منه أن يحكم بالمغايرة بين الضدين، أو بين النقيضين، وتنكر على الشرع تفرقته بين الإيمان والكفر، أو الخير والشر؛ إذ لا تؤمن بغير «الذوق» سماء وحي، وقدس إلهام!

ولهذا كان من اصطلاحاتهم المشهورة: «من ذاق عرف» أي من جعل «الذوق» وحده الوسيلة إلى المعرفة، كان حقًا من العارفين بكنه الحقائق الربانية!.

أرأيت إلى الشعراني يؤكد أن سيده البدوي حَيٌّ رغم تعفن البلي في رمته؟!. وأنه يطبخ ويغسل، ويدعو الأحياء والموتى إلى مولده؟، أرأيت إليه يؤكد أنه حين أخطر «الحريثي» في باله، قام من قبره، وهرول إلى مصر على قدميه من دمياط؟!.

حجة من الحق

أسألك – وما تُضْنيني[٣] كثرة التساؤل – ألهذه الوثنية صلة بالقرآن، أو فكر؟!؛ هذا رسولُ الله ﷺ، وقد وُوري في قبره، فيعز على ابنته فاطمة أن يهيل أصحاب أبيها العظيم الترابَ على وجهه الكريم، فتقول ملتاعة القلب بالأسى والحزن: «أوَ هَان عليكم أن تهيلوا التراب على وجه رسول الله؟».

ويجيبها أَنَسٌ بالحق، يأسو في قلبها الحزين لوعة العاطفة، ويُجْلي عنه رانَ[٤] الهموم: «لولا أننا أُمِرْنا بذلك، ما فعلناه».

(١) يقول الدباغ: «إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي، وهو ليس بعاص، وإنما روحه حجبت ذاته، فظهرت في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية» ص ٤٣ جـ ٢ الإبريز. ويقول: «يتصور في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر، وهو يشرب معهم، فيظنونه أنه شارب الخمر، وإنما تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت» ص ٤١ «المصدر السابق». وهكذا يقررون أن الرذيلة فضيلة.

[٢] رواه البخاري (٣٤٧٥، ٥٥٧٨، ٦٧٧٢، ٦٨١٠) ومسلم (٥٧).

[٣] «أضنى» المرض الإنسان: أثقله.

[٤] «ران»: غلب؛ أي يجلى غلبة الهموم التي على قلبه.

ترى لِمَ لَمْ يَفْصِل رسولُ الله بعد موته في الخصومة التي احتدمت بين وزيره الأول أبي بكر، وبين ابنته الحبيبة فاطمة؟. ولِمَ لَمْ يحل بين عائشة وبين يوم الجمل؟ ولِمَ لَمْ يُنْذِر عمرَ بالمكيدة التي دبرت له حتى قُتِلَ بها؟ ولماذا لم يحلْ بين خنجر المجوسي وبين صدر عمر الغامر(١) الإيمان؟!. ولماذا لم يحْمِ عثمان ذا النورين من قاتله؟! وعليًّا من السكين الخاتلة القاتلة؟!

وهذا ريحانته سيد شباب الجنة الحسين ﷺ يحيط به عدوه كاليأس الظَّلوم بالأمل الكريم، وها هو يرفع على يديه طفله في عمر الزهرة النديَّة، ثم يناشد عدوه حَسْوَةً من ماءٍ يبل بها غليل عصفوره الظمآن!.

فلم ينل إلا سهمًا غادراً ينفذ إلى صدر الصغير الرقيق!.

فلماذا لم يمدد رسول الله ﷺ يديه بكأس من سلسبيل؟ أو ليمنع السهم الغادر عن هَتْك الشِّغَافِ من الطفل الصغير، ومن قتل أبيه البطل الأَبيِّ الكريم؟!.

جواب ذلك كله: لأنه ﷺ كان لا يملك شيئًا يمدهم به، أو يعين، إذ هو ميت، ولم يُرْوَ عنه في حديث صحيح أو ضعيف، ولا في تاريخ يعني بالحقائق أو الأساطير، أنه أَمَدَّ بشيء، أو أعان بعونٍ ما، بعد أن توفاه مَلَكُ الموت الذي وُكِّلَ به.

فلو أن الله – سبحانه – أعطى خصائص الحياة الدنيا في القبر لميت يعين بها الأحبة، أو يمدهم بقدرة منه، لوهبها لمحمد ﷺ! بيد أنك ترى هذه الأحداث الجسام تدهم خيار الصحابة، والْبَرَرَةَ الرياحين من آل بيته، فلا نسمع أنه ﷺ أمدَّهم بشيء!؛ لأنه لا يقدر على ذلك!.

أما البدوي رغم موته، فينعم بالحياة الزاخرة القادرة في الدنيا، ويهبها لمن يشاء من الموتى، ويقضي حوائج الخلق، ويعطي العهود، ويكلم الطائفين حول صنمه، وهو رمة عفنة!.

---

(١) أما الشعراني، فيتحدث عن كرامة سيده الشريف المجذوب، فيقول: «ولما طعن أصحاب النوبة سيدي علياً الخواص جاءه الشريف، ورد عنه الطعنة» ص ١٣٥ جـ ٢ «الطبقات»!!

ألا ترى الشعراني يحب أن يؤكد لك أن هذا البدوي الأسطوري العجيب، أفضل وأكرم عند الله من سيد الخلق؟!.

صوفي يدبر الأمر

يقول الدباغ: «رأيت وليًا بلغ مقامًا عظيمًا، وهو أنه يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة، والوحوش، والحشرات، والسموات، ونجومها، والأرضين وكرةُ العالم بأسرها تستمد منه، ويسمع أصواتها وكلامها في لحظة واحدة، ويمد كل واحد بما يحتاجه، ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذاك»(١).

يصف عبدًا بصفَات الربوبية والإلهية!! ويقول أحمد التيجاني(٢) عن نفسه: «روحي» روحه ﷺ تمد الرسل والأنبياء، وروحي تمد الأقطاب والعارفين من الأزل إلى الأبد(٣)، وإذا جمع الله تعالى خلقه في الموقف ينادي مناد بأعلى صوته يسمعه كل من في الموقف: يأهل المحشر، هذا إمامكم الذي كان مددكم منه، كل ما فاض من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي: ومني يتفرق على جميع الخلائق»(٤) ويصفه تابع له بقوله: «إذا توجَّه أَغْنَى وَأَقْنَى، وبلغ المنى»(٥) ويصفه آخر بقوله: «لا يتلقن واحد من الأولياء فيضًا من حضرة نبي إلا بواسطته»(٦) وآخر بقوله: «نفوذ بصيرته الربانية التي ظهر مقتضاها من إظهار مضمراتٍ، وإخبار بمغيباتٍ، وعلم بعواقب الحاجات، وما يترتب عليها في المصالح والآفات»(٧).

ويقول البسطامي: «رفعني – أي الله – فأقامني بين يديه وقال لي: يا أبا يزيد: إن خلقي يحبون أن يروك، فقلت: رَبِّني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك، قالوا: رأيناك لتكون أنت ذاك،

(١) ص ٧٣ جـ ٢ الإبريز «للدباغ».

(٢) أحمد بن محمد أبو العباس ولد سنة ١١٥٠ هـ.

(٣) نفس ما ادعاه لنفسه الطاغوت ميرزا حسين علي الملقب بالبهاء!!

(٤، ٥، ٦، ٧) ص ٥ جـ ٢ «رماح حزب الرحيم» وما بعدها، ص ٣ «جواهر المعاني» ص ٤٦، ٤٧ جـ ١ لعلي حرازم.

ولا أكون أنا هناك »(١). ونَعْتُ « حرازم » للتيجاني، بأنه يُغْني ويُقْني، ويعلم الغيب، نَعْتٌ له بصفات الله، فالله سبحانه يصف نفسه بقوله: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النجم: ٤٨] ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن: ٢٦].

الكلاب أولياء الصوفية

إن البشرية في الأغوار السحيقة من تاريخها المظلم، وفي تيهها الوثني، لم تؤله كلبًا، بيد أن الصوفية أرادت التجديد في صور الشرك، وأن تبتدع أصنامًا جديدة، فألَّهت ما لم تُؤَلِّه أحطُّ الوثنيات في التاريخ!.

نقلت لك عن التلمساني اعتقاده أن رمة الكلب، هي ذات الرب الصوفي!، وعن محمد بهاء الدين ما نقله عن مشائخه من تأليه الكلاب والخنازير، فاسمع إلى الشعراني يحدثنا عن كرامات سيده العجمي:

« وقع بصره[٢] على كلب، فانقادت إليه جميع الكلاب، وصار الناس يُهْرَعُون إليه في قضاء حوائجهم، فلما مرض ذلك الكلب، اجتمع حوله الكلاب يَبكون، [ويظهرون الحزن عليه][٣]، فلما مات، أظهروا البكاء والعويل، وألهم الله - تعالى - بعض الناس، فدفنوه، فكانت الكلاب تزور قبره، حتى ماتوا، فهذه نظرة إلى كلب، فعلت ما فَعلت فكيف لو وقعت على إنسانٍ؟ »(٣) ويقص الشعراني عن هذا العجمي: إنه كان يخرج من خلوته، فكل من وقع عليه نظره، انقلبت عينه ذهبًا خالصًا[٤]!!.

إفك وحق

ترى ينافحك الرضى يا سماحة الشيخ عما افتراه الشعراني؟!: إني أصيح

---

(١) اللمع للطوسي ص ٣٨٣ مطبعة بريل بليدن. (٢) ص ٦١ جـ٢ الطبقات ترجمة العجمي.

(٣) نفس المصدر السابق وهذا معناه أنه رجل شديد الخطورة على الإنسانية، فكيف يكون وليًا من يكون سببًا في حرمان الناس من نعمة البصر؟ كيف يكون وليًا وهو نكبة على المجتمع؟.

[٤] نقل المؤلف هذا القول بالمعنى وهو في « الطبقات »: وكان - رضي الله عنه - إذا خرج من الخلوة يخرج وعيناه كأنهما قطعة جمر تتوقد فكل من وقع نظره عليه انقلبت عينه ذهبًا خالصًا » « الطبقات » ترجمة يوسف العجمي الكوراني، الجزء الثاني.

صيحة مدوية بالحق لعلها تهز ضميرك الديني، وأسألك: أسائل ما تعلمته في الأزهر، حتى وصل بك إلى منصب القوامة المقدسة عند الصوفية على دينهم، هذا الدين الذي يفترى له كهنته وأحباره أنه ربيع الحياة الروحية الرَّفَّافُ بالخير والحب!!، ومعين الهداية الفياض بالحق والحكمة!!، وأقباس من النور الأزلي، على أشعته يصل إلى هدفه الأبدُ والخلود!!، ومجالي الفردوس حيث الحور مَجْلُوَّات الجمال، وحيث الملائك في سجود التسابيح!!، أما هذا الدين في نظر الحق؛ فَنُفَايات مَجَّتها مجوسية الفرس، والهند، وزندقة الغنوصين، وإلحاد الفلاسفة، ووثنية الصابئة وعبدة الأصنام!، إنه حمأة الشر والفساد من دين أولئك جميعًا، بيد أن لطواغيته أسماء إسلامية، ففتنوك بهذا الشِّفِّ الرقيق، فلم ترهم، وهم يدسون السم لك في الرحيق!!، إنه أخس دين عُبِد به الشيطان، إذ افْتَنَّ في افتراءِ بِدَعِه!!، إنه السم الزعاف يقسم لك: إنه سُلاَفَةُ الخلود!!، والأفوان الحقود يزعم: أنه ملاك رحمة ومحبة!!، والليلة السوداء في قبر المشرك تؤكد لك أنها وضاءة صبح الجنة!!، والدمامة الشوهاءُ تتراءى في الماخور الدنس بَرْزَةً تَتَقَتَّل أنوثتُها الطاغية!!، إنه الصوفية تزعم أنها إسلام!!.

خزي صوفي

ولقد سجل هذا الخزي والعار مستشرق إنجليزي صاحب الصوفية في مصر فأعطته العهد ثم مضى – بعد ابتلائهم – يسجل عليهم مخازيها، ويرمي بها المصريين جميعًا في كتابه: « ويزور المصريون الأضرحة معتقدين أنهم سينزلون عليهم البركات، وإما بقصد التماس البرء من مرض، أو طلب النسل، ويعتبر المسلمون أولياءهم المتوفين شفعاء لهم عند الله، ويقدمون لهم النذور »(١).

ويقول: « وقد جرت العادة أن يقوم المسلمون(٢) كما كان يفعل اليهود بتجديد بناء قبور أوليائهم وتبييضها وزخرفتها وتغطية التركيبة أو التابوت

(١) ص ١٦٧ وما بعدها كتاب « المصريون المحدثون » للمستشرق « لين » والمسلمون أبرياء من هذا الشرك الذي يقترفه الصوفيون، ويرمي به الرجل جميع المسلمين.

(٢) يحمل على المسلمين وأوزار الصوفية، فما يفعل هذا مسلم، ولكنها الصوفية.

أحيانًا بغطاء جديد، وأكثر هؤلاء يفعلون ذلك رياء كما كان يفعل اليهود». ويقول جولد زيهر – وهو يتحدث عن بدعة الموالد: «وكان علماء المسلمين لا يزالون حتى القرن الثامن الهجري يعدونه – أي الاحتفال بمولد النبي – مخالفًا للسنة، ونهت عنه غالبيتهم على اعتبار أنه بدعة مستحدثة في الإسلام .. وتنطبق هذه الحالة أيضًا على أعياد دينية أخرى، نشأت في القرون المتأخرة، واضطرت أن تجاهد؛ لكي يقرها العلماء بعد أن وصموها دهرًا طويلاً: بأنها من البدع الدخيلة»(١).

ويقول جوتييه: «وتقديس الأولياء إلى درجة قد تقرب من العبادة الذي نراه انتشر بعد في جميع الأقطار الإسلامية، يشير في الحقيقة إلى رد فعل من الأمم والشعوب التي فتحها الإسلام ضد العقلية الإسلامية التي لا تسلم بوسطاء أو شفعاء لدى الله. إنه لم يثر ضد إجلال الأولياء والرسول إلى ما يقرب من العبادة أي ضد هذا التغيير الخطير في العقلية الإسلامية الأولى إلا الطائفة الوهابية»(٢).

لا يسوءنا أن يسجل هذه المخازي أولئك المستشرقون، ويحملونها على المسلمين جميعًا، ولكن الذي يجب أن نخزي به، هو أن ندع هؤلاء الصوفية يقترفون هذه الجرائر، وينفثون سمومها، فيكيد للإسلام بها عدوه، ويرمي المسلمين جميعًا بالحماقة والغباوة وعبادة الأساطير، ويقول في كل كتاب: هذا هو الإسلام!! وهم يوقنون أنه دين الصوفية، لا دين الله، ولكنهم عدو يهتبل الفرصة؛ ليمحق بها عدوًّا له، ربما أخذتنا العزة ضد هؤلاء المستشرقين وحدهم، بيد أن الواجب هو أن تأخذنا العزة بالحق، فنجتث الصوفية من أصولها، وكفاها أن جعلت عدو الإسلام يحمل كل خزي لها عليه!! ليس أولئك المستشرقون هم عدونا الأول، وإنما عدونا من ملَّكهم هذا السلاحَ يقاتلوننا به، وليس غير الصوفية!!

(١) ص ٢٢٧ «العقيدة والشريعة».

(٢) ص ١٥٨ «المدخل» تأليف جوتييه ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى، أما الوهابية فكلمة ابتدعها أعداء الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب مقابل نقده الحق للعصبية المذهبية المقيتة.

أنواع الكرامات

يزعم المناوي أن للصوفيين أنواعًا من الكرامات.

« النوع الأول: **إحياء الموتى**، وهو أعلاها، فمن ذلك أن أبا عبيد اليسري غزا، ومعه دابة، فماتت، فسأل الله أن يحييها، فقامت تنفض أذنيها، وأن مفرجا الدماميني أحضر له فراخ مشوية فقال: طيري بإذن الله تعالى، فطارت. ووضع الكيلاني يده على عظم دجاجة أكلها، وقال لها: قومي بإذن الله، فقامت ومات لتلميذ أبي يوسف الدهماني ولد، فجزع عليه، فقال له الشيخ: قم بإذن الله، فقام، وعاش طويلاً، وسقط من سطح الفارقي طفل، فمات فدعا الله، فأحياه »(١).

نفس المعجزات التي مَنَّ الله بها على إبراهيم وعيسى، وعلى الذي مَرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها!!، ويقول الكلاباذي: « أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء، كالمشي على الماء، وكلام البهائم، وطيّ الأرض، وظهور الشيء في غير موضعه »(٢).

وقد نظمها حسن رضوان:

وإن تجلى جَلَّ شأنُه على	وَلِيِّه بقدرةٍ تَجَمَّلا
وشاهد الأشياء تحت قبضته	وأنها تكونت عن قدرتهْ
شهود غيب، غير أنه ظهرْ	عليه منه في الشهادة الأثرْ
وَمِنْ هنا أحوال أرباب الهِمَمْ	كمشيهم فوق المياه بالْقَدَمْ
أو الهواء، أو على السحاب	أو طَيٍّ أو خبر من التراب
أو غير هذا من أمور خارقةْ	لعادة، والشرط أن توافقه(٣)

(١) ص ١١ « الكواكب الدرية » لعبد الرءوف المناوي ط ١٩٣٨م.

(٢) ص ٤٤ « التعرف لمذهب أهل التصوف » للكلاباذي ط ١٩٣٣ م.

(٣) ص ٢٣٩ « روض القلوب المستطاب ».

ومن هنا دانت الصوفية بأولياء لهم «التصرف العام والحكم الشامل العام في جميع المملكة الإلهية، وله بحسب ذلك الأمر والنهي والتقرير والتوبيخ والحمد والذم»(١).

ويتحدث الكوهني عن معجزات سلامة الراضي: «حملت إحدى زوجات الإخوان، وفي التاسع مات الجنين، وبقي عشرة أيام ميتًا ببطن أمه، وعند الوضع ذاكر هذا الأخُ شيخَنا، فقال: كذلك يا فلان؟! وبتمامه تم الوضع طبيعيًا كأن لم يكن هناك وليد مات منذ عشرة أيام. وأحد الإخوان كُفَّ بصره، فذاكر حضرةَ الأستاذ، فقال له: إن كتمت الأمر، أبصرت، فرضي بالشرط فمسح على عينه، فأبصر، وكان لبعض وجهاء بندر الجيزة ابنة وحيدة أصابتها حمى، وبعد شفائها، خرست، فلم تتكلم أبداً، فعرضوها على الأطباء سنوات، فلم تُشْفَ، فأحضروها لشيخنا، ونظر إليها نظرة، فسألها عن اسمها، فنطقت به، وذهب خرسُها في الحال»(٢).

نفس المعجزات التي من الله بها على عيسى عليه السلام.

وهكذا تدين الصوفية بأن من أوليائها من يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى وكثير من هؤلاء الذين نسبت إليهم تلكَ القدر الإلهية طائفة تمردت على الله تمرد الشيطان!.

الصوفية يملكون كلمة التكوين

تزعم الصوفية أن شيوخها يقولون للشيء: كن، فيكون، فيتحدث أحدهم عن الولي الذي استخلفه الله، فيقول: «إنه خليفة يملكه الله كلمة التكوين متى قال للشيء: كن، كان من حينه»(٣).

---

(١) ص ٧٩ جـ ٢ «جواهر المعاني» لحرازم.

(٢) ص ٢٥٨ «طبقات الشاذلية الكبرى» للحسن بن محمد الكوهني الفاسي، وقد ألف كتابه في حياة شيخه «الذي مات من عهد قريب جداً».

(٣) ص ٨ جـ ٢ «جواهر المعاني» لعلي بن حرازم.

ويقول أبو السعود: «إن الله أعطاني التصرف منذ خمس عشرة سنة، وتركناه تظرفًا، ويعلق ابن عربي على هذا بقوله: «وأما نحن، فما تركناه تظرفًا [وهو تركه إيثار] وإنما تركناه لكمال المعرفة»(١) ترى ماذا كان يعمل الله، وأبو السعود يتصرف في الوجود؟. هكذا يجعل الصوفية أولياءهم شركاء لله.

معجزات الرسل من قدرة الله

أما رسل الله، فما كانت معجزاتهم طوع أيديهم، كما تزعم الصوفية لشيوخها، ولا بأمرهم، وإنما كانت بيد الله وحده، وبأمره، يكرم بها نبيه متى شاء سبحانه، لا متى شاء الرسول. ما ضرب موسى بعصاه الحجر، أو البحر بأمره، وما انفلق البحر بقدرته، وإلا ففيم كان خوف موسى من أن يدركه فرعون وجنوده، لو أنه كان حتى على ظنٍّ من قدرة عصاه على فلق البحر؟!.

بل لماذا مسته رعدة الخوف حين ألقى السحرة حبالهم وعصيهم، حتى ثبته الله بقوله: ﴿ لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ ۝٦٨ ﴾ [طه: ٦٨] أهذه آية قدرة على صنع المعجزات؟ أم هو العجز البشري يضرع في صدق إلى قدرة الله المُنْقذة؟

وما نزل جبريل بالقرآن على محمد بأمره، أو إرادته، بل بأمر الله وحده وإرادته ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم: ٦٤].

وتدبر، يتجلَّ لك الهدى بيِّنا من قوله سبحانه: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] ما قالها إبراهيم، وإنما القائل لها — لأنه القادر عليها — رب إبراهيم. فأين من هذا زعم الصوفية، أن شيوخها يُصَرِّفون أقدار الوجود بنزغات الهوى، وعواء الشهوات؟! ويقولون للشيء كن، فيكون؟! تعالى الله عما يأفك الخرَّاصون[٢] علوًا كبيرًا!.

ثم ماذا يستفيد الخلق من دجاجة يردها الكيلاني إلى الحياة؟، ومن دابة، يحيي اليسري منها العظام، وهي رميم؟!، ومن كرامات الحريثي ووحيش يقترفان بغي الجريمة على مدرجة الطريق؟!.

(١) ص ١٢٩ جـ ١ «فصوص» ط الحلبي.

[٢] «الخرّاص»: الكذّاب.

إن الصوفية – كما رأيت – قد حكمت بأن معجزات أولي العزم من الرسل طَوْع الهوى من البُلْه الخَرْقى المشعبذين[١] من أوليائهم! فماذا يمنع أدعياء الصوفية من الزعم بأن الله – سبحانه – أوحى إليهم قرآنًا، كما أوحى إلى محمد(٢)، مادامت الصوفية تحكم بأن معجزات الرسل أثارة من قدرة المعتوهين، ومقترفي الإثم والخطايا؟، بل مادمتم يا كهنة الصوفية قد حكمتم بأن لأوليائكم حياة كحياة الله، وقدرة قهارة شاملة، كقدرته، فالله – سبحانه –، يقول: ﴿ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس: ٧٨] ولقد زعمتم أن إحياء العظام، وهي رميم من قدرة أوليائكم؟، ولا ريب في أن من يقدر على أن يهب لغيره الحياة، قادر على أن يهب الديمومة لنفسه، والخلود الأبدي لحياته. وإلا، فكيف يهب لغيره، ما لا يهب، أو يستطيع أن يهبه لنفسه؟!.

أرأيت إلى الصوفية، كيف يصفون الحمقى الشاردين في تيه الضلالة بما يوصف به الخلاق العلي الكبير وحده؟

رجاء آخر

بودي أيها الصوفي – وإنه لود الإخلاص الصادق – أن ترفع على راحتيك[٣] كتاب الله، ثم تتدبر بعض آياته بالفكر البصير، والقلب الخشوع، والنفس المستعبرة، ويقيني أنك حينئذ، ستثور ثورة العاصفة على عاد، تدمر أصنام الصوفية وأوثانها، وترجم باللعنات الغضاب طقوسها وكهنوتها، وستغمر نفسك القلقة سكينة الإيمان، ويقين التوحيد.

إننا في قرن حطم العلم فيه الذرة، الجوهر الفرد الذي دان به الأشاعرة ركنًا سادسًا من أركان الإسلام، فهل يمكن أن تعين – أعانني الله وإياك – على تحطيم تلك الطواغيت الصماء، تقف عقبة كئودًا في سبيل الوصول إلى الله، وتنشر الخرافات العفنة والأخلاق العفنة، وتجمع حول عفونتها ذبابًا عفنًا كثيرًا!.

[١] «المشعبدين» و «المشعبذين» و«المشعوذين»: كلها معان مترادفة.

(٢) ادعاها ربيب الصوفية ميرزا محمد علي الملقب «بالباب» ومن بعده مسيلمة ميرزا حسين علي الملقب بالبهاء. وادعاها غلام أحمد القادياني!!.

[٣] مثنى راحة: وهي الكف.

سماع نطق الجمادات

يعدد ابن عربي أنواع الكرامات، فيقول: «ومنها سماع نطق الجمادات على مراتب نطقها في العوائد وخرقها»(١).

والله يقول: ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] فهل نصدق المفتري؛ لنكذب الله سبحانه؟!

[وقال]:

«ومنها مكالمته للملأ الأعلى ومحادثته لهم»(٢).

ترى أكلم الصديق وعمر الملأ الأعلى؟ بل أكلمه الرسل قبل البعثة، أو في غير أوقات الوحي؟ ولكن مَنْ الرسل عند الصوفية؟ إن أي زنديق صوفي أفضل عندهم من خاتم النبيين، ألا ترى البسطامي يفتري: «تالله، إن لوائي أعظم من لواء محمد»(٣) ويقول: «لأن تراني مرة، خير لك من أن ترى ربك ألف مرة»(٤).

صوفي يطوف بالملكوت

يخاطب صوفي ربه بقوله: «إن قومًا طلبوك، فأعطيتهم طي الأرض، والمشي على الهواء، وكنوز الأرض، فانقلبت لهم الأعيان» ثم يتحدث عما أنعم عليه به ربه، فيقول: «أدخلني في الفلك الأسفل، فدَوَّرني في الملكوت السفلي، فأراني الأرضين، وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلني في الفلك العلوي، فطوف بي في السماوات، وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش، ثم أوقفني بين يديه، فقال لي: سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك، فقلت: يا سيدي ما رأيت شيئًا استحسنه، فأسألك إياه!»(٥).

حتى عرش الله، لم يستحسنه هذا الصوفي الوقح، ومع ذلك يزعم أن الله قال له: «أنت عبدي حقًا!».

(١) ص ٧٥ «مواقع النجوم» لابن عربي ط ١٣٢٥ هـ.
(٢) ص ٨١ «المصدر السابق»، وقد أخذها ابن عربي عن أستاذه الغزالي، وزاد هذا فقال: إن الولي يُنادَى من سرادقات العز، كما نودي موسى!!.
(٣) عن السهلجي والشعراني في «لطائف المنن»، ص ١٢٥، نقلاً عن «شطحات الصوفية» للدكتور بدوي.
(٤) «المصدر السابق».
(٥) ص ١٠٣ «قوت القلوب» لأبي طالب المكي ط ١٣٥١ هـ.

أتراه، وهو يطوف بجوف الأرض، لم ير «البترول»، فيدل على مكانه قومه؟!.

والبيومي(١) يزعم أنه رأي الشيخ دمرداش في السماء، وأنه قال له: لا تخف في الدنيا ولا في الآخرة، وأنه كان يرى النبي في الخلوة، وأنه سمعه يقول لأبي بكر: اسع بنا نطل على زاوية دمرداش، وأنه دخل على السيد البدوي، ورأى النبي عنده، وأنه خشي أن يكون واهمًا في رؤية النبي، فرأى الدمرداش عند ضريحه يقول له: مد يدك إلى النبي فهو حاضر عندي(٢)[٣]!.

صوفي يضمن الجنة لمن يطعم

يزعم طاغوت التيجانية الأول ما يأتي: «أخبرني سيد الوجود يقظة، لا منامًا: كل من أحسن إليك بخدمة، أو غيرها، وكل من أطعمك يدخلون الجنة، بلا حساب، ولا عقاب، فسألته لكل من أحبني، ولكل من أحسن لي بشيء من مثقال ذرة، ومن أطعمني طعامه، كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب وسألته لكل من أخذ عني ذكرًا، أن تُغْفَر لهم جميع ذنوبهم، ما تقدم منها، وما تأخر، وأن يرفع الله عنهم محاسبته على كل شيء، وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة، وأن يكونوا كلهم معي في علّيّين في جوار النبي، فقال لي ﷺ: ضمنت لهم هذه ضمانة، لا تنقطع، حتى تجاورني أنت وهم في عليين!»(٤).

(١) علي بن حجازي بن محمد البيومي توفي سنة ١١٨٣ هـ.

(٢) ص ٣٢٠ جـ ١ «عجائب الآثار» للجبرتي.

[٣] قال البيومي: «فمن منَّ الله عليَّ وكرمه، أني رأيت الشيخ دمرداش في السماء، وقال لي: «لا تخف في الدنيا ولا في الآخرة»، وكنت أرى النبي ﷺ في الخلوة في المولد، فقال لي في بعض السنين: «لاتخف في الدنيا ولا في الآخرة»، ورأيته يقول لأبي بكر - ﷺ -: اسع بنا نطل على زاوية الشيخ دمرداش، وجاءا حتى دخلا لي في الخلوة، ووقفا عندي، وأنا أقول: «الله الله»، وحصل لي وهم في رؤية النبي ﷺ، فرأيت الشيخ الكبير، يقول لي عند ضريحه: «مدَّ يداك إلى النبي ﷺ، فهو حاضر عندي». وقال البيومي عن شيخ له يُدعى الكردي: «وأخذني الشيخ الكردي، وأوصلني إلى مكة، وأرانيها عيانًا، ودخلت على السيد أحمد البدوي، وعنده النبي ﷺ، فحكم فيَّ وأنا أستغيث بالنبي ﷺ». انظر: «تاريخ الجبرتي»، (٣/ ٥٣٠ - ٥٣١).

(٤) ص ٩٧ وما بعدها جـ ١ «جواهر المعاني في فيض التيجاني» لعلي حرازم.

والله سبحانه يقول لمحمد: ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦] ويقول محمد ﷺ لابنته فاطمة: «اعملي فإني لن أغني عنك من الله شيئًا»[١] وتشهد امرأة جليلة لصحابي عند موته بقولها: أشهد أن الله قد أكرمك، فيقول لها رسول الله معاتبًا، يضع الصواب مكان الخطأ: «وما يدريك أن الله قد أكرمه؟ وإني لأرجو له الخير والله إني لرسول الله، ولكني لا أدري ما يفعل بي غدًا؟!»[٢] أما التيجاني؟! لقد قرأت قوله، فبم تحكم عليه؟، غير أني أضع إصبعك على قوله: «وكل من أطعمك» لأريك مبلغ حرص الصوفية على انتهاب أقوات الناس؟!.

قلب الصوفي أوسع من عرش الله

يقول البسطامي: «لو أن العرش، وما حواه مائة [ألف ألف مرة] في زاوية من زوايا قلب العارف، [ما] أحس [بها]، فقلب العبد الخصوصي بيت الله، وموضع نظره، ومعدن علومه، وحضرة أسراره، ومهبط ملائكته، وخزانة أنواره، وكعبته المقصودة، وعرفاته المشهودة(٣)».

الملكوت في بطن صوفي

والدبَّاغ الفاطمي الهدف يقول: «إني أرى السموات السبع والأرضين السبع، والعرش داخلة وسط ذاتي، وكذا ما فوق العرش من السبعين حجابًا(٤)».

كرامات شتى

واقرأ في طبقات المناوي زعمه أن الصوفية يخاطبون الموتى، وأن جده

[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله – عَزَّ وَجَلَّ –: «وأنذر عشيرتك الأقربين» قال: يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم من النار لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا ...» وفيه «ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا». رواه البخاري (٢٧٥٣، ٣٢٥٧، ٤٧٧١) ومسلم (٢٠٤، ٢٠٦).

[٢] رواه البخاري (١٢٤٣، ٣٩٢٩).

(٣) ص ١٢٠ جـ ٢ «فصوص الحكم» لابن عربي ط الحلبي، ص ١٤١ مواقع النجوم.

(٤) ص ٧٣ جـ ٢ «الإبريز» للدباغ.

خاطب الشافعي ﷺ في قبره، وأن روح «ذا النون المصري(١)» كانت تُدَبِّر أجسامًا عدة(٢)، وأن الخُوَّاص، كانت تنزل عليه الموائد من السماء، وأن الخضر كان يسقيه، واقرأ فيه تفضيل البسطامي(٣) الأولياء على الأنبياء(٤) وأن طارقًا طرق بابه، فقال البسطامي: من تطلب؟ فقال: أبا يزيد، فأجابه: ما في البيت غير الله(٥)، واقرأ للسلمي زعمه أن داود والخضر، لقيا إبراهيم بن أدهم – وهو «بوذا» الصوفية – وخاطباه، وأكلا معه، وعلماه اسم الله الأعظم(٦).

الجنة والنار بيد من؟

يزعم الدسوقي أنهما بيديه، فيفتري: «أنا بيدي أبواب النار [غلقتها]، وبيدي جنة الفردوس فتحتها، من زارني أسكنته جنة الفردوس[٧]، وما كان ولي متصلاً بالله، إلا وهو يناجي ربه، كما كان موسى عليه السلام يناجي ربه»(٨).

معجزات الرسل بعض كرامات الصوفية

يفتري الدباغ هذا البهتان المجوسي، فيقول: «كل ما أعطيه سليمان في ملكه وما سخر لداود، وما أكرم به عيسى، أعطاه الله وزيادة لأهل التصرف من أمة النبي، ومكنهم من القدرة على إبراء الأكمه والأبرص. وإحياء الموتى»(٩).

النشل كرامة صوفية

وأبي الدباغ إلا أن يفضح أقطابهم بهذه الكرامة، كرامة السرقة خلسة،

(١) هو ثوبان بن إبراهيم النوبي توفي سنة ٢٤٥ هـ.
(٢) سيأتيك زعم الدباغ أن روح القطب تدير ٣٦٦ جسداً.
(٣) هو طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي توفي سنة ٣٦١ هـ.
(٤) هذا دين الصوفية، فابن عربي يقول:
مقام النبوة في برزخ فويق الرسول، ودون الولي
(٥) اقرأ كل هذا في «الكواكب الدرية» للمناوي في تراجم من ذكرت أسماءهم.
(٦) ص ٣٠، ٣٤ «الطبقات» للسلمي، ص ٨ «الرسالة» للقشيري.
[٧] بين هذا الكلام وما بعدها قوله: «واعلم يا ولدي أن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، متصلون بالله، وما كان ولي متصلاً بالله ...» الطبقات (١ / ١٨١).
(٨) اقرأ ترجمة الدسوقي في «الطبقات» للشعراني.
(٩) ص ١٢ «الإبريز» للدباغ جـ ٢.

فيقول: «إن الولي صاحب التصرف، يمد يده إلى جيب من شاء، فيأخذ منه ما شاء من الدراهم، وذو الجيب لا يشعر[١]» والدباغ قطب صوفي معبود.

أأدلك على ردغة الوثنية في تلك الشِّرْكيَّات، أم تراها في غير حاجة إلى دلالة؟ وكذلك الظلام، وكذلك النَّتن، وكذلك الْيحْمُومُ الخانق!.

الله – وتعالى علواً كبيراً – وعرشه وكرسيه، ملكة وملكوته، والعالم كله إنسه وجنه، حيوانُه وجماده، عُلْويُّه وسفليه، مشاعر الناس وخواطرهم وإرادتهم وعواطفهم وقلوبهم ونفوسهم، كل أولئك في دين الصوفية الآثم تحت قبضة طواغيتها، وبطشهم، وَطَوْعَ سعار غرائزهم الضارية، وجنون شهواتهم المهومة الآبقة!.

القطب وأعوانه

أسطورة خرافية، تنزع إلى تجريد الله من الربوبية والإلهية، وَخَلْعِهمَا على وَهْمٍ باطل سُمِّيَ في الفلسفة: «العقل الأول» وفي المسيحية: «الكلمة» وفي الصوفية: «القطب»!.

والقطب: هو أكمل إنسان متمكن في مقام الفردية، أو الواحد الذي هو موضع نظر الله في الأرض في كل زمان، عليه تدور أحوال الخلق، وهو يسري في الكون، وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، ويفيض الروح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وقد يسمى «الغوثَ» باعتبار النجاء الملهوف إليه[٢].

القطب القديم والقطب الحادث

والقطب عند الصوفية نوعان؛ أحدهما: حادث أو حِسِّي، وهو ما سبق الحديث عنه، والآخر قديم، أو معنوي، وهو الحقيقة المحمدية. يقول القاشاني:

(١) ص ١٤ «المصدر السابق».

(٢) انظر «جامع الأصول» للكمشخانلي و«التعريفات» للجرجاني تحت مادة «قطب».

« وهو – أي القطب – إما قطب بالنسبة إلى ما في عالم الشهادة من المخلوقات يَسْتَخْلف بدلاً منه عند موته من أقرب الأبدال منه، أو قطب بالنسبة إلى جميع المخلوقات في عالم الغيب والشهادة، ولا يَسْتَخْلف بدلاً من الأبدال، ولا يقوم مقامَه أحدٌ من الخلائق، وهو قطب الأقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة لا يسبقه قطب، ولا يخلفه آخر، وهو الروح المصطفوي المخاطب بلولاك، لما خلقتُ الكون »(١).

حقيقة القطبانية

يقول كاهن التيجانية الأكبر أحمد : « إن حقيقة القطبانية، هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقًا في جميع الوجود جملة وتفصيلاً، حيثما كان الربُّ إلهًا، كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل مَنْ له عليه ألوهية لله تعالى، فلا يصل إلى الخلق شيء كائنًا ما كان من الحق إلا بحكم القطب، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود، فترى الكون كله أشباحًا لا حركة لها، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً، ثم تصرفه في مراتب الأولياء، فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه، فهو المتصرِّف في جميعها، وَالْمُمِدُّ لأربابها، به يُرْحَم الوجود، وبه يبقى الوجود في بقاء الوجود رحمة لكل العباد، وجوده في الوجود حياة لروحه الكلية وتنفس نفسه يُمدُّ الله به العلوية والسلفية . ذاته مرآة مجردة، يشهد فيها كل قاصدٍ مقصدَه »(٢).

علم القطب

يتحدث تيجاني عنه بقوله : « ومما أكرم الله به قطب الأقطاب، أن يعلمه

---

(١) ص ١٠٣ جـ٢ « كشف الوجوه الغر » للقاشاني، وقد ادعى ابن الفارض لنفسه أنه القطب القديم وقطب الأقطاب.

في دارت الافلاك، فاعجب لقطبها الـ ... ـمحيط ، والقطب مركز نقطة
ولا قطب قبلي عن ثلاث خلفته ... وقطبية الأوتاد عن بدلية

(٢) ص ٨١ وما بعدها « جواهر المعاني ».

علم ما قبل وجود الكون، وما وراءه، وما لا نهاية له، وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات، وأن يخصصه بأسرار دائرة الإحاطة، وجميع فيوضه، وما احتوى عليه »(١).

خصوصية القطب

« قطب الأقطاب في كل وقت لا تقع بينه وبين الرسول حجابية أصْلا، وحيثما جال رسول الله من حضرة الغيب، ومن حضرة الشهادة، إلاوعين قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه، لا يحتجب عنه في كل لحظة من اللحظات »(٢) وحسبك هذا من تلك الأسطورة(٣) التي ألَّهتها الصوفية، وجعلت منها ربًّا أكبر يُعْبَد، ويُخْشَى، ويُرْهَب(٤)!!.

أعوان القطب

أولاً: **الإمامان**، وهما بمنزلة الوزيرين له، أحدهما لعالم الملك، والآخر لعالم الملكوت.

ثانياً: **الأوتاد الأربعة**، وقيل هم ثلاثة، كلما مات قطب الوقت أقيم مكانه واحد منهم، وعِلْمُهُمْ فَيْضٌ من قطب الأقطاب، وإن ماتوا، فسدت الأرض!.

ثالثًا: **الأبدال**، والبدَل حقيقة روحانية تجتمع إليها أرواح أهل ذلك الموطن الذي رحل عنه وليه. وعددهم أربعون، اثنان وعشرون منهم بالشام، وثمانية عشر بالعراق!.

رابعًا: **النجباء**، وهم دون الأبدال ومسكنهم مصر! وعملهم أن يحملوا عن الخلق أثقالهم وعددهم سبعون!.

---

(١) ص ٧٩ جـ ٢ « المصدر السابق ».

(٢) ص ٦٣ « المصدر السابق ».

(٣) كتبت عنه مقالاً ضافيًا في مجلة « الهدي النبوي ».

(٤) العجيب أن ابن الحاج – وله سابقة في فضل في محاربة البدعة – يؤمن بهذه الأسطورة ويقول عن القطب « إن الله تعالى يديره في الآفاق الأربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء » انظر ص (٣٢٨) (مشتهى الخارف) لمحمد بن الخضر الشنقيطي. وهكذا تقتل الصوفية بسمومها كل من يظن بها ظنًا واحدًا من خير!!

خامسًا: النقباء، وعددهم ثلاثمائة، وقيل خمسمائة، وهم الذين يستخرجون خبايا الأرض(١).

تلك هي مملكة الأساطير التي ابتدعتها خرافات الصوفية الحمقى، وخيالاتهم المَخْبُولَة(٢)؛ ليستعبدوا الخلق لما يشتهون، وليجعلوا منهم أحلاس[٣] رهبة منهم، وخوف مذعور.

تلك هي المملكة التي ابتدعتها أوهام الصوفية إزاء ملكوت الله؛ ليغصبوا بها من الأحياء أقواتهم وإيمانهم، ومن الموتى أكفانهم! ترى ماذا بقي لله وملائكته ورسله؟ الله أكبر، له الملك في الدنيا وفي الآخرة.

خاتم الأولياء

وكما جعل الله للنبيين خاتمًا، جعل الصوفية للأولياء خاتمًا، والعنكبوت الأول الذي سال لعابه بهذه الأسطورة هو الحكيم الترمذي(٤)، قال السلمي: «نفوه من ترمذ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه كتاب «ختم الولاية»، وقال: إنه يقول: «إن للأولياء خاتمًا، كما أن للأنبياء خاتمًا، وأنه يفضل الولاية على النبوة»(٥)، ويقول ابن تيمية عنه: «في كلامه من الخطأ ما يجب رده، ومن أشنعها ما ذكره في ختم الولاية، مثل دعواه فيه أن يكون في المتأخرين مَنْ درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما، ومنها ما ادعاه من خاتم الأولياء الذي يكون في آخر الزمان، وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء، وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء»(٦).

(١) «المصدر السابق»، ص ٩٣ «جامع الاصول» للكمشخانلي.

(٢) بل تزعم الصوفية أن كل صوفي يستطيع أن يكون قطبًا يتصرف في الوجود. يقول أحدهم ويبشر الصوفية بنتيجة سلوك الطريق «وصرت أنت قطب الوجود تدوره بيدك كيف شئت» ص ١١٤ جـ ١ «الفتوحات الإلهية» ط ١٩١٣م.

[٣] مفردها «حلس»: وهو ما يبسط في البيت من حصير ونحوه تحت كريم المتاع.

(٤) هو غير صاحب السنن، فهو محمد بن علي بن الحسن بن بشير أو «بشر» الترمذي الملقب بالحكيم عاش إلى حدود ٣٢٠ هـ.

(٥) ص ١٧٠ جـ ٢ «مفتاح السعادة» لطاش كبرى زادة طبع الهند.

(٦) ص ٧٩ وما بعدها رسالة «حقيقة مذهب الاتحاديين» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وتوالت عناكب الصوفية على هذه الأسطورة، حتى قتلت بها ذبابًا من الخلق كثيرًا. قال ابن عربي - وهو يتحدث عن علم وحدة الوجود: «وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل، وخاتم الأولياء!، وما يراه أحد من الأنبياء [و] الرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حتى إن الرسل لا يرونه - متى رأوه - إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فإن الرسالة والنبوة - أعني نبوة التشريع [ورسالته] - تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبدًا، فالمرسَلون من كونهم أولياء، لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء»(١).

تفضيل خاتم الأولياء على خاتم النبيين

زعم ابن عربي في النص الذي نقلته عنه آنفًا أن الرسل لا يستمدون أشرف علومهم إلا من خاتم الأولياء، وهذا يستلزم تفضيل الولي الخاتم على الرسل بعامَّة وعلى النبي الخاتم بخاصة، يقول ابن عربي: «ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللَّبِن، وقد كَمُل سوى موضع لبنة، فكان ﷺ تلك اللَّبِنَة، غير أنه ﷺ لا يراها إلا كما قال لبنةً واحدة، وأما خاتم الأولياء، فلا بد له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثله به رسول الله ﷺ، ويرى في الحائط موضع لبنتين، [واللبن من ذهب وفضة]، فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين، [فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين]، فيكمل الحائط .. كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، [فلا بد أن يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن] فإنه آخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول» ويقول: «وفينا من يأخذه عن الله، فيكون خليفة عن الله بعين ذلك الحكم»(٢) فضَّل خاتمَ الأولياء بأمرين، أولهما: أخذه عن الله مباشرة، أما خاتم النبيين فيأخذ عن الله بواسطة

(١) ص ٦٢ جـ ١ «فصوص الحكم» ط الحلبي.
(٢) ص ٦٣، ١٦٣ «المصدر السابق».

الملك. الأمر الآخر: هو أنه على يديه تم الدين، فابن عربي يشير بهرائه ذاك إلى الحديث الصحيح الذي مَثَّلَ فيه رسولُ الله ما بُعث به هو والأنبياء من قبله ببيت كانت تنقصه لَبِنَةٌ، وأنه ﷺ هو الذي جاء بتلك اللبنة، يعني أنه هو الذي أتم الله به على المسلمين دينهم.

ولكن ابن عربي يزعم أن الدين كان ناقصًا لبنتين، فأتى محمد ﷺ بواحدة، وأتى خاتم الأولياء بهذه، وبلبنة أخرى، فلم يكمل دين الله إلا على يد خاتم الأولياء!.

أين هذا الإفك من قول الحق – جل وعلا –: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾؟! [المائدة: ٣].

ادعاء كل شيخ أنه الخاتم

يقول ابن تيمية: « ثم إن هذا خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة، لا حقيقة لها، وصار يدعيها لنفسه، أو لشيخه طوائف، وقد ادعاها غير واحد، ولم يدعها إلا مَنْ في كلامه من الباطل، ما لم تقله اليهود، ولا النصارى، كما ادعاها صاحب الفصوص »(١).

وحَقٌّ ما يقول شيخ الإسلام – وعهدنا به الصدق والأمانة البالغة في النقل – فابن عربي يزعم في الفتوحات المكية أنه رأي رؤيا، ثم يقول: « ثم عبرت الرؤيا بانختام الولاية بي »(٢) وادعتها التيجانية لشيخها أحمد، قال أحد أتباعه: « الفصل السادس والثلاثون في ذكر فضل شيخنا، وبيان أنه خاتم الأولياء، وإمام الصديقين، مُمدُّ الأقطاب والأغواث.. »(٣).

لماذا فضل خاتم الأولياء؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « ثم صاحب الفصوص وأمثاله، بنوا الأمر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة، والنبي يأخذ بواسطة الملك؛ فلهذا صار

(١) ص ٦٣ وما بعدها رسالة « حقيقة مذهب الاتحاديين ».

(٢، ٣) ص ١٥ جـ ٢، ص ٥ « رماح حزب الرحيم ».

خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة »[١].

وابن تيمية في فهمه الدقيق، ووعيه الكامل، وأمانته التي تستعصي على التهم يقرر الحق في قوله، فقد نقلت لك عن ابن عربي ما يؤيد الحق الذي قرره ابن تيمية. وها هو البسطامي يقول لأهل الشريعة: « أخذتم علمكم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت »[٢] ويقول: « خضنا بحراً، وقف الأنبياء بساحله »[٣] وقال ابن عربي: علماء الرسوم - يعني أهل الشريعة - يأخذون خلفًا عن سلف إلى يوم القيامة، فيبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله، ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة منه، وعناية سبقت لهم عند ربهم »[٤]، يعني أن أتباع الشريعة الإسلامية، إنما يأخذونها عن أناس طواهم الموت، أما الصوفية؛ فلهم الصلات المباشرة مع الله، يأخذون عنه من غير واسطة ملك أو نبي أو رسول!، وبهذا كفروا بشريعة محمد، ومهدوا لأتباعهم الكفر بشريعة محمد ﷺ.

الديوان الصوفي

للصوفية أسطورة تزعم أن في الوجود ديوانًا باطنيًا، يحكم فيه القطب الأكبر بما يشاء، ويُصَرِّف - هو من ومعه من أقطاب صغار - أقدارَ الوجود. إنه عند الصوفية محكمة عليا يحاكم فيها الأقطابُ أقدارَ الله، دون أن تستطيع أية قدرة إلهية نَسْخَ حكم لها، وقد وصف الدباغ هذا الديوان، وفصَّل مهامه، فلنترك له الحديث عن هذه الخرافة.

مكان الديوان وقضاته

يقول الدباغ: « الديوان يكون بغار حراء، فيجلس الغوث خارج الغار[٥]

---

(١) ص ٦٤ رسالة « حقيقة مذهب الاتحاديين ».

(٢، ٤) ص ٢٤٦ « الكواكب الدرية » للمناوي.

(٣) ص ٦٣ جـ ٢ « جواهر المعاني ».

(٥) سجل هذا على الصوفية الدرويش الصوفي الإنجليزي المستشرق ادوارد لين، فقال: « ويعتقد أن سطح الكعبة مركز القطب الرئيسي، ويفضل مركزًا آخر بباب القاهرة المسمى: باب زويلة، ويسمى العامة باب زويلة: « المتولي »؛ لاعتقادهم أنه مركز هذا الكائن المجهول، ومن وراء مصراعي الباب العظيم الذي =

ومكة خلف كتفه الأيمن، والمدينة أمام ركبته اليسرى وأربعة أقطاب عن يمينه، وهم مالكية على مذهب مالك بن أنس، وثلاثة أقطاب عن يساره، واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة، والوكيل أمامه، ويسمى: قاضي الديوان ومع الوكيل يتكلم الغوث».

والدباغ مغربي، ولمذهب مالك السيطرة في المغرب، فكان لابد من هذه العصبية التي جعلت الدباغ يزعم أن أربعة الأقطاب كلهم مالكية!، تُري على أي مذهب كان أولئك الأقطاب قبل مالك؟!، ولو أن المتكلم كان حنفيًا، لقال: إنهم حنفيون!.

أهل التصريف

«والتصَرُّف للأقطاب السبعة على أمر الغوث، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته!».

الذين يحضرون الديوان ولغتهم

«ويحضره النساء وصفوفهن ثلاثة، ويحضره بعض الكُمَّل من **الأموات**، ويكونون في الصفوف مع الأحياء، والأموات حاضرون في الديوان ينزلون إليه من البرزخ يطيرون طيرًا، بطيران الروح، وتحضره الملائكة والجن، وفي بعض الأحيان يحضره النبي، وكلامه مع الغوث، وأما ساعة الديوان، فهي الساعة التي ولد فيها النبي، والأنبياء يحضرونه في ليلة واحدة، هي ليلة القدر، فيحضره في تلك الليلة الأنبياء والمرسلون، ويحضره الملأ الأعلى من الملائكة

= لا يقفل أبدًا فضاء صغير، يقال: إنه مكان القطب، ويدق المصابون بالصداع مسمارًا في الباب لفك السحر، كما أن المصابين بوجع الأسنان يخلعون سنًا، ويولجونها في أحد شقوق الباب، وللقطب في مصر مراكز أخرى أقل شهرة، أحدها في قبر السيد البدوي، والآخر في مدينة المحلة، ويعتقد أن القطب ينتقل من مكة إلى القاهرة أو من مكان إلى آخر في لحظة، ويروي الكثير من المسلمين أن إلياس ويخلطه العامة بالخضر كان قطب زمانه، وأنه يولي الأقطاب المتعاقبين؛ إذ يقررون أنه لم يمت. ويزعمون أنه شرب من عين الحياة، ويكلف بعض الأولياء القيام ببعض الأعمال الشاقة ويقال لهم: أصحاب الدرك» ص ١٦٣ «المصريون المحدثون» وقد جاء هذا الإنجليزي إلى مصر في القرن ١٩، وتصوف وأخذ العهد ثم راح يسجل الخزي الخرافي لا على الصوفيين بل على المصريين عامتهم، فانظر جناية الصوفية على مصر والإسلام!!

المقربين ويحضره سيد الوجود معه أزواجه الطاهرات(١)، ولغة أهل الديوان هي السريانية(٢)؛ لاختصارها، ولأن الديوان يحضره الأرواح والملائكة، والسريانية هي لغتهم، والصغير من الأولياء يحضره بذاته!».

عدد أجساد القطب الكبير

«وأما القطب الكبير، فلا تحجير عليه، فإنه يدبر على رأسه، فيحضره، ولا يغيب عن داره؛ لأن الكبير يقدر على التطور على ما شاء من الصور، ولكمال روحه، تُدبِّر له إن شاء ثلثمائة وستين ذاتًا»(٣).

تقاتل الأقطاب

«وقد يغيب الغوث عن الديوان، فلا يحضره، فيحصل بين أولياء الله من أهل الديوان ما يوجب اختلافهم، فيقع منهم التصرُّف الموجب لأن يقتل بعضهم بعضًا(٤)، وإذا حضر سيد الوجود مع غيبة الغوث، فإنه يحضر معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وفاطمة، وتجلس فاطمة مع جماعة من النسوة اللاتي يحضرن الديوان».

فيم يتصرف الأقطاب؟

«وأهل الديوان إذا اجتمعوا فيه، اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد، فهم يتكلمون في قضاء الله تعالى في اليوم المستقبل والليلة التي تليه(٥)، ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية، والعلوية، وحتى في الحجب

---

(١) هكذا في وسط الرجال؟! ومع عظم شأن ذلك الديوان، فإن الدباغ يقول عن نفسه: «إيش هذا الديوان؟ والأولياء الذين يقيمونه كلهم في صدري!! وإنما يقام الديوان في صدري والسموات والأرض بالنسبة إلى كالموزونة في فلاة من الأرض» ص ٨ جـ ٢ الإبريز.

(٢) تدبر الكيد الخفي للعربية لغة القرآن!!.

(٣) أي بعدد أيام السنة الكبيسة!! فله في كله يوم إذن جسد جديد!!.

(٤) يسفكون الدم ظلمًا، ومع هذا فهم أقطاب كبار يتصرفون في أقدار الوجود والله يقول: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

(٥) والله يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤].

السبعين، فهم الذين يتصرفون فيه، وفي أهله، وفي خواطرهم، وما تهجس به ضمائرهم، فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف[١]، وإذا كان هذا في عالم الرقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش، فما بالك بغيره من العوالم؟!».

انعقاد الديوان في غير الغار

«ويكون الديوان في موضع آخر غير غار حراء مرة في العام في موضع يقال له: زاوية أسا! خارج أرض سوس، بينها وبين أرض غرب السودان، فيحضره أولياء السودان، ويجتمعون في غير هذين الموضعين السابقين؛ لأن الأرض لاتطيقهم»[٢].

هذا هو الديوان الصوفي، كما وصفه كاهن صوفي كبير نقلته بلفظه نفسه، بل قل: هذه هي أسطورة الوثنية المخبولة الحمقاء[٣]، وكم للصوفية مثلها من أساطير!! قتلة سفاحون سفاكون للدماء، ينعتهم الدباغ بأنهم يتصرفون في أقدار الله وملكوته؟! فماذا بقي للرب الصوفي، وهذا ملكه كله في قبضة السفَّاكين؟!.

بين الجاهلية وبين الصوفية

كانت الجاهلية في إسفافها الوثني أقل حماقة من الصوفية، وتَدَبَّرْ ما قصه

---

(١) وصف الله نفسه بأنه عليم بذات الصدور، وقد وصف الصوفية أقطابهم بهذا وأكثر منه، فماذا تقول فيهم؟

(٢) انتهى مختصراً بلفظه من «الإبريز» للدباغ جـ ٢ من ص ٢ إلى ص ٩ ط ١٢٩٢ هـ.

(٣) دمغهم بهذا الخبال مستشرق مسيحي، فقال: «وللأولياء حكومة باطنة يرون أن عليها يتوقف نظام العالم، ورأس هذه الحكومة الأعلى يسمى: القطب، وهو أرفع صوفية عصره، وإليه رئاسة الاجتماعات التي يعقدها في انتظام مجلس شوراه الموقر!! وأعضاء هذا المجلس لا يعوقهم عن الحضور حواجز الزمان والمكان وإنما يأتون من أرجاء الأرض في لمحة طرف، يعبرون البحار والجبال والصحاري في يسر بالغ، ودون القطب درجات مختلفة من الأولياء، وقد عدها الهجويري في ترتيب تصاعدي كما يلي: الأخيار ال ٣٠٠، فالأبدال ال ٤٠، فالأبرار ال ٧، فالأوتاد ال٤، فالنقباء ال ٣، وهؤلاء جميعاً يعرف الواحد منهم الآخر، ولا يعمل الواحد منهم إلا برضى الباقين، وعمل الأوتاد الطواف حول الأرض جميعاً في كل ليلة، فإن كان هناك مكان لم تقع أعينهم عليه، بدت فيه في اليوم الثاني شائبة نقص، فيخبرون القطب حتى يجعل همه إلى ذلك المكان المشوب، فيبرأ مما أصابه بفضل القطب» ص ١١٩ «الصوفية في الإسلام» لنيكلسون ترجمة نور الدين شريبة.

الله عن الجاهلية وشركها، تجدهم كانوا يوحدون الله في ربوبيته توحيداً حرمت حتى من مثله قلوب الصوفية، إن كانت لهم قلوب!، يقول تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

هذا دين الجاهلية ولكن الله لعنهم لعنًا كبيرًا بشركهم، لأنهم أشركوا بالله في إلهيته، فتضرعوا إلى غيره بالدعاء.

أما الصوفية؛ فتدين بالقتلة، والمجرمين، وأوغاد الفاحشة أقطابًا يتصرفون في الوجود، ويسيطرون بقهرهم على سنن الله الكونية ونواميس الوجود التي فطرها الله وحده، وهو الذي يصرفها وحده، ويتحكمون في أقدار الله، فلا ينفذ منها إلا ما يشتهون، فأي الشركين أطغي بغيًا، وأخبث رجسًا؟. لقد وحدت الجاهلية الله في ربوبيته، وأشركت به في ألوهيته، أما الصوفية؛ فنفتهما عنه، وأثبتتهما للمفاليك[١] الصعاليك، بل انحدرت حتى نفت وجودَ الله الحق، ونعتته بالعدم الصرف، أفيمكن أن يقاس إلحادُ الصوفية، بشرك الجاهلية؟، أم ترى هذا ليلاً غاسقًا[٢]، وترى الإلحاد الصوفي دياجير تطغى، وتتراكم، وتطول، حتى لا يعرف الأبد فيها بدايته، أو منتهاه؟!، أجيبوا يا كهنة الصوفية! ولكن، لا: فحسبي أن الجواب مُسْفِر الصُّبْح، وضيء البيان، قوي الدلائل!.



[١] «المفاليك» جمع مفلوك وهو: الفقير.
[٢] «غسق» الليل غسوقًا: أظلم.

الفصل السادس
التصوف العملي

لقد افتروا لك أن التصوف نوعان: نظري أو إشراقي، والغاية منه معرفة الله «الأذواق» واكتناه أسرار ربوبيته بالمواجيد، فكانت نتيجته أن دان مؤتفكوه بالوحدة التامة بين الخلق والخالق!، والنوع الآخر منه هو العملي، وهو قائم على الرياضات والمجاهدات أي على الذكر والزهد والعبادة.

ومحاولة التفرقة بينهما، كالتفرقة بين الخبث وريحه المنتن، فالنظري من التصوف وليد العملي؛ لأن النظرية وليدة التطبيق! وقد بينا لك دين الإشراقيين، فلنأتك بنبأ الآخرين!.

دعوى الزهد

زعمت الأوهام أن الصوفية برٌّ زهادة، وقداسة روحانية، يعرجان بالروح إلى الملأ الأعلى، فدعني إذن أسائل كل صوفي: أليس في الإسلام ما تبلغ به النفس كمالها وسعادتها النضرة، وما تتألق به الروح، وتسمو إلى سماء الإيمان الحق، والنورانية الصافية، وما ينبغ به الفكر، فيدرك الحق إدراكًا لا يشوبه رَيْبُ وهم، ولا يريبه ظن، وما يصفو به القلب، فيفيض بالخير والرحمة والمحبة؟ أحسبت الإسلام غير مجد في تزكية الإنسان والتسامي به، حتى تفر منحدراً إلى الصوفية؟. إن في إخلاص التوحيد، وصدق الإيمان، وطيب الإحسان فيما أنعم الله به لواحة وريفة الظل[١]، فَنَّاء الخميل[٢]، ثَرَّة[٣] النبع في صحراء الحياة، تَتْرَع[٤] من سلسها العذب ما يجعل الحياة حوليك مجالي خير وسلام وصفاء، ومجاني[٥] نعيم روحي وسعادة نفسية. عبادتك الله كأنك تراه، تجريد لك من نوازغ الشر ونوازعه، وتزكية لك مما يضل به الفكر، أو تطيش

---

[١] «ورف» الظل: إتسع وطال.

[٢] «الخميل» من الثياب: ما كان ذا ملمسًا ناعمًا.

[٣] «ثرَّة»: غزيرة.

[٤] «ترِع» الإناء تَرَعًا: امتلأ.

[٥] جمع «مجنى» من جنى الثمرة: اقتطفها من منبتها.

الغريزة، أو تزل العاطفة، أو يخمد الشعور بحق الحياة الطيبة. إنها تطلقك في رحاب الوجود جهاداً دائباً في سبيل الحق، وعملاً صالحاً تنشد به رضاء الله وحده، وتحقيق الخير العام للإنسانية، وتسبيحاً وتقديساً لله وحده، لا امتزاجاً، أو اتحاداً، كما تزعم الصوفية!.

ذلك بعض ما في الإسلام، فماذا في الصوفية؟! فيما ذكرت لك من قبل الجواب الصادق.

إن الزهد الذي تبشر به الصوفية – حين تريد اغتصاب اليتيم والمسكين(١) – ليس من شعائر الإسلام، ولا من شرعته في شيء، مهما حاولت الصوفية تَوشِيَتَه[٢]؛ ليبدو لضحاياها شعيرة دينية سامية!.

فمعنى الزهد تحقير الشيء، والتهوين من شأنه في اللغة التي شرفها الله، فنزل بها كتابه – وبهذا المعني وردت في القرآن، ولم ترد مادتها فيه إلا مرة واحدة – قال تعالى يقص شأن السيارة الذين باعوا يوسف: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ۝٢٠ ﴾ [يوسف: ٢٠] تأمل هذه الكلمات «بخس، ودراهم، ومعدودة» ثم تأمل ورود كلمة «الزاهدين» بعدها؛ لتدرك جيداً حقيقة معناها.

فهو إذن – وهذا معناه – مما يمقته الله ورسوله، ويبرأ منه كل مؤمن بالله ورحمته وحكمته؛ إذ معناه تحقير نعم الله، والتهوين من شأنها الأعظم.

إن في الزهد الذي تزعمونه القضاء على الفرد، وعلى قوى الجماعة الإسلامية، فيه صرف للهمم عن الجد والسعي في سبيل الخير للفرد وللجماعة. والاستعمارُ القديم والحديث يعمل لنشر هذه الخرافة في الشرق وحمل أهله على الإيمان بها؛ ليعيش أهله أذلاء النفس مهزولي القوى، يرضون باللقمة الساغبة[٣] من فتات المستعمرين؛ عالة على مستعبديهم، يجرعونهم المسكنة والصغار! أشباحاً هزيلة، وظلالاً كابية[٤] لرُكَامٍ من الجيف!! وقد صدَّق

(١) من أعجب ما ترى؛ أن يدعو الشيوخ إلى الزهد، وهم يتكالبون على كل شيء خبيث، يدعون سواهم إلى الزهد؛ ليكون لهم هم وحدهم كل شيء. أفلا يدعون أنفسهم إلى التقوى؟!.

[٢] «وشى» الثوب: نقشه وزينه. [٣] «سغب»: جاع مع تعب. [٤] «كبا» الحيوان: انكبَّ على وجهه.

الشرق في أحقاب من تاريخه خرافة الاستعمار الصوفي، فهوى من قمة المجد والقوة والحرية إلى حضيض المهانة والعبودية!

نبئوني، ماذا يحدث لو اتخذ كل مسلم من الزهد الصوفي شريعة له؟!؛ سيكون المسلمون – وقد حدث – فريسة هينة سهلة، لكل ناب باغية، ومضغة محتقرة يمجها كل مِشْفر[١]! وهذا هو هدف الاستعمار، وربيبته الصوفية التعسة! في الإسلام الذي أتم الله به على عباده النعمة، وأكمل الدين، كلمةٌ لو أخذ بها المسلمون، لكانوا مع الله وحده قلوبًا عابدة، ومع إخوانهم قلوبًا محبة تنزع دائمًا إلى الإيثار والفداء والتضحية: إنها «التقوى» تتقي الله، فتطيعه طاعة قدسية، وتتبع رسوله. تتقي الله، فلا تغصب ما ليس لك. تتقي الله، فتعمل لنفسك ما يزكيها، ولغيرك ما يسعده، ويحفظ عليك وعليه الحياة ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأنفال: ١] ولجلال هذه الشعيرة الإيمانية كان لها من الله هذا الجزاء الأعظم ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ﴾ [الطلاق: ٢، ٤]

﴿ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) ﴾ [الأعراف: ٣٥]

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦] ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦) ﴾ [آل عمران: ٧٦] ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾ [النحل: ١٢٨].

فلماذا رغبتم عن «التقوى» إلى «الزهد»[٢] وهو تراث «المانوية»؟، وقد

---

[١] «المِشْفَر»: شفة البعير الغليظة.

[٢] يعني به «الزهد الصوفي» المذموم، الموصوف سالفًا، أما الزهد الحق؛ هو أن تترك الدنيا الحقيرة الفانية لأجل آخرة عظيمة باقية، لأجل رضوان الله – عَزَّ وَجَلَّ – على طريقة رسول الله ﷺ، فقد كان النبي ﷺ أزهد الناس فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يتلوى لا يجد من الدقل ما يملأ بطنه. (رواه مسلم ٢٩٧٧)، والدقل: رديءُ التمر، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ» رواه مسلم ٢٩٧٠ على أن هذا لم يمنعه ﷺ أن يكون في أحسن مظهر كما وصفه البراء قائلاً: «رأيته في حلةٍ حمراء لم أرَ شيئًا قط أحسن =

هولتم به، كأنما هو وحده السبيل لهداية الإنسانية الحائرة؟ ترى هل ترون في القرآن للزهد ذكرًا، أو أجرًا؟!.

أصل الزهد الصوفي

أتدري عمن اقترف الصوفية دعوى الزهد الذي يحقر نعم الله، ويعمل لتحطيم كل مُقَوِّمات الجماعة الإسلامية؟!.

إنهم بَشَّرُوا بفتنة غَيِّه عن المجوسية المانوية التي آمنت بألوهية الخير والشر، وبأن هذين المتقابلين في قِيَم الأخلاق امتزجا بربها الأكبر امتزاجًا تامًا، وأن هذا الرب «المانوي»(١) الثنائي الطبيعة، لن يستطيع التخلص من الشر الذي يُقَوِّم ذاته، أو النجاة منه إلا بفناء العالم، فوصى «ماني» مُسَيْلَمَةُ هذا الدين بالزهد وعدم الزواج؛ لينحدر مسرعًا إلى هوة العدم، استمدته من «الغنوصية»(٢) التي زعمت أن غاية الإنسانية العظمى هي في الاتحاد بالرب!!، الرب «الغنوصي» الذي صنعه الهوى، وأمدته الأساطير بالوجود الأسطوري!.

هذا هو أساس الزهد الصوفي وهدفه، عليه قام، ويقوم، وهو كما ترى غير التقوى الإسلامية، غيرها في كل شيء، غيرها في المعنى والروح والنسب

= منه» (رواه البخاري (٣٥٥١، ومسلم ٢٣٣٧)، وهذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن التابعي يقول: فرأيت شعرًا من شعره فإذا هو أحمر فسألت فقيل احْمَرَّ من الطيب، (رواه البخاري ٣٥٤٧)، هذا غير الأحاديث التي يأمر فيها ﷺ بالاغتسال والحلق والاعتناء بالملبس، على عكس ما نراه من كثير من الصوفية؛ كما يحكى عن بعضهم أنه مكث أربعين سنة لا يغتسل ولا يبدل البردة التي كانت عليه وأمثاله كثير، ويعدونها من الكرامات، فمثل هذا لا يكون زهدًا؛ إنما هو انحراف عن الهدي القويم.

(١) نسبة إلى ماني بن فانك متنبىء فارسي، وقد وصى أتباعه بالزهد المسرف في الغلو، وبعدم الزواج؛ ليفنى العالم، فيستطيع الرب التخلص من طبيعة الشر الكامنة فيه، وعنه استمد الصوفية ذلك. يقول أبو طالب المكي مفتريًا على رسول الله هذين الحديثين: «إذا كان بعد المائتين، أبيحت العزبة لأمتي» أي عدم الزواج. وقال: «لأن يربي أحدكم جرو كلب، خير من أن يربي ولدًا» نفس الدين، ونفس الهدف المانوي، انظر ص ١٥٠ جـ ٤ «قوت القلوب» ط ١٣٥١، تجد المانوية الصرفة، ويقول الجنيد: «أحب للمبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث، وإلا تغير حاله، التكسب وطلب الحديث والتزوج، وأحب للصوفي ألا يقرأ ولا يكتب؛ لأنه أجمع لهمه» إذا كان لا يتكسب وهو شباب، فمتى؟ وإذا كان لا يطلب حديث الرسول، فماذا؟ وإذا كان لا يتعلم، فأي شيء يكون هو؟ لو أننا نفذنا وصايا الجنيد لم تبق للأمة الإسلامية باقية. انظر ص ١٣٥ جـ٣ «المصدر السابق».

(٢) معناها الاصطلاحي إدراك الأسرار الربانية بواسطة الكشف، والذي أعطاها هذا المعنى طائفة من المفكرين، عاشوا في القرون الأربعة الأولى من ميلاد المسيح، ومنهم يهود ومسيحيون ووثنيون. وأهم ما يدينون به هو الثنائية بين المادة والذات الإلهية، ومحاولة اجتياز الفاصل بينهما عن طريق سلسلة من الوسطاء، والمادة عندهم=

والغاية، فغاية الزهد الصوفي تدمير الجماعة الإسلامية(١)، وغاية التقوى سُمُوٌّ بالفرد، وسمو بالجماعة، وتَشْيِيدٌ لصروح العدالة والحب والإيثار والإخاء الكامل، وبالرغم مما تأفك الصوفية من دعاوي الزهد، فإنا نرى كهانها عدواً خصيماً للقناعة، فتوجههم ضراوة الذئاب إلى الفتك بالحملان الوديعة البريئة، ويثيرهم الجشعُ إلى سلب ما على قمم اليتيم.

وإلا فاهدني إلى جواب ما أسألك عنه؛ أَيُحْسَبُ قانعًا من يغصب قوت اليتيم؛ ليتخم به بطونًا تشكو البطنة؟!، من يهتك عن أَيَامَى المسكنة، وأرامل الفقر أستارَهُنَّ؛ ليجعل منها للأصنام عمائم ضخمة كالداهية، منتفخة كبطون السُّحْت، سوداء كحقد المشرك، حمراء كالجريمة المسفوحة، خضراء كالعشب السام، بيضاء كالكفن؟!، من يغصب الْفُتَات من الغارمين، ثم يأكله نارًا من الرِّبا الجائر؟!، من تَخُبُّ[٢] في الحرير، ويدب بنعليه على الطنافس[٣]، ويزعج الهامدين بأبواق سياراته، وتضج حانات الليل من عربدته(٤)، ودراويشُه من حوله يخبون في المآسي، ويدبون على الفواجع، ويقتاتون بالنكبات، ويتجرعون غصص الدموع، ويحتسون[٥] دمَ الجراح(٦)؟!.

= هي أصل الشر، والسبب الذي من أجله انحطت طبيعة الإنسان، ولكن الإنسان يستطيع عن طريق الخلاص «أي الزهد» أن يعود إلى الذات الإلهية والأصل الأول. انظر ص ٧ «التراث اليوناني» للدكتور بدوي.

(١) يتحدث جولد زيهر عن أثر الزهد الصوفي في تغيير النظر إلى المثل العليا للمسلمين: «تغير النظر إلى المثل الأعلى للحياة الإسلامية، فأصبح ينظر إليه من وجهة تخالف تلك التي أقرتها تعاليم المذاهب السنية، وهكذا أثر الصوفيون على الجماهير الخاضعة لنفوذهم، فقل إعجاب الناس بتلك السمة العسكرية لأبطال الإسلام الشهداء الأقدمون ما كانوا إلا من فئة المجاهدين – فانصرفوا عنها، وولوا وجوههم نحو صور الزهاد الشاحبة وأجسام العباد الهزيلة والرهبان المنقطعين في الصوامع، بل إن الأبطال الأقدمين في عصور الإسلام الأولى الذين كانوا مثالاً يحتذى، صار لزامًا عليهم أن يحصلوا على صفات البطولة الجديدة، أي أنهم جردوا من سيوفهم، وألبسوا أردية الصوف!!» ص ١٥٤ «العقيدة والشريعة».

[٢] «خبَّ»: خدع وغش. [٣] «الطنافس»: جمع طُنْفِسَة وهي بفتح الفاء أيضاً: البساط.

(٤) قال أبو حمزة البغدادي، مما يرائي، ويخدع به عن حقيقة التصوف: «علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغني، ويذل بعد العز، ويخفي بعد الشهرة وعلامة الصوفي الكاذب أن يستغني بعد الفقر، ويعز بعد الذل، ويشتهر بعد الخفاء» ص ٤ «شرح الحكم» لابن عجيبة وطبّق هذا على السادة الصوفية!!.

[٥] «حسا» الطائر الماء: مثل شرب للإنسان.

(٦) قال الأستاذ التابعي: «إنني أعرف شيخ طريقة اختار أحد بارات شارع شريف مقرًا له، ويقصد إليه في البار المذكور أتباعه ومريدوه كلما أرادوا مقابلته في أمر ما، ويخرج هو إليهم ويمد يده يلثمونها، ورائحة الخمر تفوح من فمه، وقطرات الخمر على يده، وبقايا «المزة» على صدره وذقنه وأكمامه ... ويلتفت الشيخ إلى أصدقائه الجالسين في البار ويطلق نكتة ما. ويشترك معهم في الضحك من عبط المريدين والأتباع» صحيفة الأخبار ٢ / ١١ / ١٩٥٥.

أَيُحْسَبُ قناعة هذا النَّهَمُ المُسْتَشْرِي بالحرام، وذلك التكالُب الضاري على سُحْت الأضرحة؟!، انظر إلى مَنْ حَوْلك من كهانها، وأرني فيهم من يَمَسه الزهد حتى خطرة ذاهلة في مضغةٍ حَيْرَى على شَفَتَيْ يتيمٍ محروم، نالها بعد سَغَبٍ يائس!!، ذلك هو الزهد الصوفي، فما ذكرهم؟!.

الذكر الصوفي

في أعياد الوثنية التي يسمونها: موالد، وفي معابد الأضرحة التي يسمونها: مساجد، وفي كهوف الدراويش، وقد اتخموا بطون الطواغيت بالسحت!! في تلك الحَمْآت[١] يقيم الصوفية حانات الرقص، أو ما يسمونه: الذكر، فيجلس الشيخ بين صفين من دراويش تعشقهم الرذيلة، ودرويشات نفرت منهن الفضيلة ثم يصفق بيديه اللامعتين من دسم الحرام إيذانًا ببدء الذكر، ثم يُخرِج من شفتيه ومنخريه اسم الله مُلْحداً في حروفه وفي النطق به!! وغضون جبينه تَهْمِزُ الحياءَ وتَلْمزُ التقوى، ومُنْشِد القوم يطربهم بالْغَزَل الداعر في ليلى وسعاد، أو بالدُّفُوف يدق عليها الشيطان، وبالنايات تصفر فيها الشهوة، ثم يهب الشيخ، ويهب معه المريدون، وثَمَّتَ يميلون يَمْنَةً ويَسْرَة، مَتَأَوِّدَةً أعطافُهم تَأَوُّد[٢] الراقصات يَلْمَحْن في أيدي الرُّوَّاد دنَانَ الخمر وفتنة الذهب، وما هي إلا لحظة، حتى تُجَنَّ هذه الأجسادُ بما فيها من رغبات مكبوتة، مفصحة عن غليلها المحترق بالتأوُّه المخنث، والتمايل الخليع، وبالأصوات المنكرة المبحوحة من عويل الخطيئة والاستغاثة بزينب، أو نفيسة. لا يريدون زينب الطاهرة، ولا نفيسة العابدة؛ وإنما يريدون بهما شيئًا آخر!! فَكُلٌّ يُغَنِّي على أنثاه!!، وهكذا يظلون في اقتراف هذا الزور المُلْحِد ساعة، أو ساعتين(٣)، كُلٌّ يريد أن يثبت للعيون الرانية في لهفةٍ، والزغاريد المغازلة في

[١] «الحمآت»: جمع حمْأة وهو: الطين الأسود. [٢] «أوِدَ» الشيء: اعوجَّ، وتأوَّد: تعوَّج.

(٣) يظل الراقص الصوفي يتخلع ساعة في حانة الذكر، دون أن يحس بملل حتى إذا وقف للصلاة «يخبط الصلوات الخمس» في خمس دقائق!! هذا لأن الرقص الصوفي شهوة وخطيئة، أما الصلاة فطهر وعبادة.

تَوَجُّعٍ مَشُوق، أنه حيوان قَويٌّ الجسد!!، وبعد هذا يزعمون أنها كانت من ساعات التجلّي!!، ولكم من أُمٍّ باعت قوتَ يتيمها، وزوجٍ سِتْرَ امرأته، ومدينٍ يهلكه الدين بقيةَ طعامه في سبيل «شيشة» الشيخ، و«حشيش» الشيخ، و«أفيون» الدراويش، وهم يرقصون في حانات الذكر!!

أتراني بالغت؟، أم أني قصرت؟، إخالك تنزع إلى اتهامي بالتقصير، فكل ذي بصر تقع عيناه على الصوفية يعربدون في حانات ذكرهم، تقع عيناه على مشاعل المجوس، تتوهج كَرَغَبَاتِ الفاجر!! وعلى الدفوف بأيدي فتية، أسبلوا شعورهم، وقد لمسهم الشيطان بلهيبه، فراحوا يتكسَّرون على النغم الشَّرُود، ويهصرون غصونهم على النظرات المتوهجة الرغبات، وشيخُ الطريقة سعيد؛ لأن شباك فتيته توقع في حبالها الهائمين، هذا يحدث، وتراه، ونراه، ولا نسمع النكيرَ عليهم من أحد!!، كأنما رذيلة القوم فضيلة مقدسة!!.

ما هكذا ذكر الرسولُ ربه، وما هكذا ذكر الصحابة من بعده ربهم، ما ذكره باسمه المفرد، ولا ذكروه في ميل وتَأَوَّد، ما ذكروه بقيادة واحد منهم ينطق بالاسم مصفقًا، وينطقون به وراءه، ما ذكروه، ولهم منشد يغازل ليلى!!!، ما ذكره وأصواتهم من ضجيجها تفزع الليل، وتصك جنباته، ما ذكروه جزاء مضغة لحم، أو نفثة «شيشة»!!، ما ذكروه بالنايات والطبول والدفوف؛ ولكنهم ذكروه، كما علمههم رسوله، أما من ذكَرَ الله ذكر الصوفية فهم مشركو الجاهلية ﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال: ٣٥][(١)] . وكفرةُ اليهودية والمسيحية!!.

ذكر الصوفية بدعة يهودية

جاء في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة: «لِيَبْتهج بنو صهيون بملكهم لِيُسَبِّحُوا اسمه برقص، بدف، وعود، لِيُرَنِّموا .. هَلِّلُوا يا، سَبِّحُوا الله في

(١) «المكاء»: الصفير بالفم، أو التشبيك بالأصابع والنفخ فيها، و«التصدية»: التصفيق.

قدسه، سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار سبحوه بصنوج الهتاف »[١].

وهكذا يذكر الصوفية، وحسبك أن ترى حانةً صوفية يذكرون بها؛ لتشهد الصلة الوثيقة بين الذكر الصوفي، والبدعة الجاهلية اليهودية!!، ولكن الدباغ يزعم: « أن الصوفية يهتزون يميناً وشمالاً؛ لأن الأقطاب رأوا الملائكة تفعل ذلك » ص ٧٢ جـ ٢ الإبريز.

الشيخ جاسوس القلب

يوجب الصوفية علي الذاكر « أن يستحضر شيخه، وأن يستمد منه عند الشروع فيه، فيقول: مددك يا أستاذي، وأن يرى أن استمدَادَه منه، عينُ استمداده منه ﷺ، فإنه الواسطة إليه، وأن يستأذن شيخه بقلبه، فيقول: دستور يا أستاذي! وأن يستأذن أصحابَ الطريق والقَدَم، وهم أهل السلسلة، فيقول: دستور أصحاب الطريق والقَدَم »[٢].

وهكذا توجب الصوفية على « الدرويش » أن يتلطخ بهذه الوثنية قبل أن يذكر الله، وأن يستأذن كل هذه الأصنام؛ ليتقبل الله ذكره، ويغمره برضاه!، حُجُبٌ صَمَّاء تمور حولها الدياجير، وتقصف الأعاصير، تضعها الصوفية في طريق السالك، حتى لا يرى شعاعةً من نور!

كيفية الذكر

« أن يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه، وأن يبدأ بـ « لا » يميناً، ويرجع بـ « إله » فيتوسط، ويختم « إلا الله » يساراً قبلة القلب، فإن ذكر اسماً مفرداً كـ « الله »، و « هو » ضرب بذقنه على صدره، وأن يذكر مع جماعة مع رفع الصوت، ويَنْتَعَ الكلمة من سُرَّته إلى قلبه »[٣] هذه « البهلوانية » الرعناء، هي صورة الذكر الصوفي.

---

(١) « العهد القديم »: المزامير ص ٦٤١.

(٢) انظر ص ٢٨ وما بعدها من رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني، ص ٨٦ – رسالة « منحة الأصحاب » لأحمد بن عبد الرحمن الشهير بالرطبي.

(٣) « المصدر السابق ».

ترى هل كان رسول الله - وهو يذكر ربه - يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه؟، أو كان يضرب بذقنه صدره؟، أو كان يميل يمنة ويسرة؟، لم يفعل شيئًا من ذلك؛ لأنه نبي؛ ولأنه رجل أَبِيُّ الرُّجُوليَّة. أَمَّا رفع الصوت، فالله يقول: ﴿ وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١١٠) ﴾! [الإسراء: ١١٠] وأصل الصلاة الدعاء، ولكن الصوفية بهدي ربهم يَعْدِلُون![١].

صيغ الذكر الصوفي

« من آداب المريد مع شيخه أن يذكر ما لقنه له أستاذه، فلا يتجاوزه إلى غيره »(١)؛ ولهذا تعددت صيغ الذكر الصوفي، تبعًا لتعدد الطرائق، وتباين الشيوخ، فمنهم من يذكر بالاسم المفرد، ومنهم من يذكر بـ« هوهو » ومنهم من يذكر بـ« آه آه »، وكل طاغوت صوفي يحرم على عَبَدَته أن يذكروا بغير ما أذن لهم فيه، أو أن يذكروا بما ترقص به الطرق الأخري؛ لاعتقادهم أن بعض أسماء الله قد يضر ذكرها هذا، وينفع ذاك، أو تضر في حال، وتنفع في حال أخرى، والخبير بما ينفع الذاكر، أو يضره، إنما هو الشيخ؛ لهذا لا يستطيع « الدرويش » أن يذكر « لا إله إلا الله » إلا إذا أمره بها شيخه، ولا ينادي ربه بـ« يا لطيف »، وإلا أصابه مَسٌّ أو خبال، أو كما يسمونه « لطف »!.

اسمع إلى القديس الصوفي ابن عطاء الله السكندري يفتري الإثم الأكبر: « اسمه تعالى « الْعَفُوُّ » يليق بأذكار العوام؛ لأنه يصلحهم، وليس من شأن السالكين إلى الله ذكره! اسمه تعالى « الباعث » يذكره أهل الغفلة، ولا يذكره أهل طلب الفناء، اسمه تعالي « الغافر » يُلَقَّن لعوام التلاميذ، وهم الخائفون من عقوبة الذنب، وأما من يصلح للحضرة، فذكره مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة، اسمه تعالى « المتين » يضر أرباب الخلوة، وينفع أهل الاستهزاء بالدين »(٢).

---

[١] «عَدَلَ» عن الطريق: حاد عنه.

(٢) من رسالة « الحلواني » ص ٣٠.

(٣) ص ٢٣ وما بعدها « مفتاح الفلاح » ط ١٣٣٢هـ.

ويستمر ابن عطاء في سرد هذا البهتان حتى يستوفي أكثر أسماء الله.

والله تعالى يقول: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] ويقول: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ [الأعراف: ١٨٠] اسمه الغافر لا يصلح إلا للعوام! كأنما أولئك الطواغيت معصومون من الذنب، أو آلهة! على حين كان يستغفر الرسول ربه في اليوم مائة مرة!، فهل تجد رَحِمًا بين حق القرآن، وبين باطل الصوفية؟!.

ذكر رسول الله

ومن عبير السنة المطهرة، يسطع عليك ما يشفي روحك، فقارن بينه وبين ذلك اليَحْمُوم الصوفي. قال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»، «متفق عليه»[١]. وكان ﷺ يقول دبر كل صلاة حين يُسَلِّم: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ولا حول، ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون»[٢]، «رواه مسلم». وقال: «سيد الاستغفار أن تقول: «اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أَبُوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، رواه البخاري[٣].

وفي الصحيحين عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ، إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «اللهم لك الحمد؛ أنت نور السموات والأرض، ومَنْ فيهن، ولك الحمد؛ أنت قَيَّام السموات والأرض، ومَنْ فيهن، ولك الحمد؛ أنت رَبُّ السموات والأرض، ومَنْ فيهن، ولك الحمد؛ أنت الحق، ووعدك

[١] رواه البخاري (٦٤٠٦، ٦٦٨٢، ٧٥٦٣) ومسلم (٣٦٩٤). [٢] رواه مسلم (٥٩٤).
[٣] رواه البخاري (٦٠٣٦، ٦٣٢٣) والترمذي (٣٣٩٣) والنسائي (٥٥٢٢).

الحقُّ، وقولك الحقُّ، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي؛ ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، أنت إلهي، لا إله إلا أنت، ولا حول، ولا قوة إلا بك».

أرأيت إلى هذا الذكر النبوي الجامع؟!؛ إنها ضراعة النبوة والعبودية الخالصة تفتحت لها أبوابُ السماء، ما فيه ذكرٌ باسمٍ مفرد، ولا ضربُ صدرٍ بذقن، ولا هزة الرأس إلى أخمص[١] القدم!، ما فيه التَّنَاوُح بالرأس يَمْنَةً ويَسْرَة، ولا نَتْعٌ[٢] من سُرَّةٍ إلى قلب. ما فيه منشد، ولا دف، ولا شبابة، ما فيه دائرة يقف في مركزها نُصب يرقص الذاكرين بِتَصْدِيته![٣]؛ إنما فيه قلب مؤمن ضارع ملأه حب الله خشية ورهبة وتقوى، يتوجه إلى خالقه الأعظم، مالك الملك كله في إيمان صادق، وتوحيد خالص، فصلوات الله وسلامه على محمد عبد الله ورسوله.

عبادة الصوفية

ذلك هو التصوف العملي في شعيرتيه الزهد والذكر، فما العبادة فيه؟ أهي تلك الركعات، أو السجدات التي لا يقر فيها قلب، ولا جسد، ولا تسلم فيها لله خاطرة واحدة، ولا يخشع شعور، ولا يضرع دعاء؟؛ فإنما هي لأصنام القبور سجود وتسابيح، ولجلاميدها الصم عبودية، تطفح بالخشية منها، والتقوى لها، واللِّياذ بها، والذهول المستغرق إلا عنها!، ألا ترى مساجد الله خرابًا، ومعابد القبور، تمور بالحشود المحشودة فيها من كل صَوْبٍ[٤] وحَدَب؟[٥]، ألا ترى مساجد الله التي طهرها الله من أوثان الأضرحة، خاوية على عروشها، أما المعابد التي جثم[٦] على صدرها قبرُ ميت، وثوت فيها رِمَّتُه، أو وَهْمُه، فتضيق – على رحابها الفِساح – بالآمِّين لها رجاء بركات القبر، والرُّمَّة البالية، أو

[١] «أخمص» القدم: باطنها.
[٢] «انْتَع»: عَرِق كثيرًا.
[٣] «صدَّى» فلان بيديه: صفَّق بهما.
[٤] «الصَّوْبِ»: الجهة.
[٥] «الحَدَب»: ما ارتفع وغلظ من الأرض.
[٦] «جثم» الحيوان والإنسان، جثومًا: لزم مكانه فلم يبرح.

الوهم الخرافي المشيد عليه القبر، أو العظام المنوعة من حيوانات شتى؛ لتنصَبَّ النذور على السَّدَنَة؟!، ألا ترى تلك المعابد ينفق على فرشها وإضاءتها وتبخيرها الألوفُ؟!، أما مساجد الله فتترك للغربان تسلح عليها، وللبوم ينعب فيها!

ما عبادة الصوفية؟ أهي تلك النذور يحفدون بها إلى الجيف؟، أهي هذا السجود على عتبات الأصنام دوخها وطء النعال؟!، أهي هذا التقبيل الملهوف العاشق لأحجار الأوثان رجاء سَلْسَبيل رحمة منها ومغفرة؟، أهي هذا التوسل إلى الله بعظام نخرة، وصَفْوان[١] أملس، وخشب عافه السوس من طول ما طعم منه؟، أهي هذا الدعاء العريض بالهامدين[٢] في القبور، ينشدون منهم مدد الحياة، وروح الخلود؟، أهي تلك الأوراد(٣) الشِّرْكيَّة ينعق بها الصوفية تحت سجوات ليلهم المعربد، وشفوف السَّحَر الراقص، في هياكل الطواغيت؟!، أهي هذا الحلف بالقبور والهامدين فيها، وجعل الحلف بالله عرضة للفرار من ذنب، أو جريرة؟!

ذلك هو الجانب العملي من التصوف في ذكره وزهده وعبادته، أتراه يصلح لهداية الإنسانية، وقيادتها إلى مثُلها العليا؟، أم تراه يفتك بها فتك السُّل[٤] الدفين بالصدر الرقيق الحزين؟!، أما جانبه النظري؛ فقد دانوا فيه كما بَيَّنتُ لك بأن العبد عين الرب، وبأن الشرك عين التوحيد، ذلك هو التصوف بنوعيه، إن شئت أن تجعله نوعين!، فهل تراه يودي بالمسلمين إلاَّ إلى التهلكة بعد أن يحيلهم من عبادٍ للرحمن إلى عَبَدةٍ للطاغوت؟، من أمة قوية عزيزة كريمة موحدة الغايات والمباديء إلى أشتات واهنة، وأشباح هزيلة مستضعفة، تضرب بها الوثنية في متاهات الباطل، ويقضي عليها الوهن والذل والصغار، فتصبح المطايا الذلل للاستعمار، وأحلاف الضعة، والمهانة والاستكانة؟!

---

[١] «الصفوان» جمع صفوانة وهي: صخرة ملساء. [٢] «همد» الرجل: مات.

(٣) لكل طريقة ورد خاص بها تفضله على جميع الأوراد الأخرى، بل تفضله على القرآن، قال طاغوت التيجانية: «وسألته ﷺ عن صلاة الفاتح، فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانيًا أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر، ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة» ص ١٠٣ جـ ١ «جواهر المعاني» لابن حرازم التيجاني طريقة. فتدبر كيف تجاهد الصوفية في سبيل صرف المسلمين عن كتاب الله!!.

[٤] «السُّل»: مرض يصيب الرئة يُهزِلُ صَاحبَه ويقتله.

دعاوي الصوفية وأدعيتهم

غَشَّت الصوفيةُ بصائرَ عشاقها بما تَسْحَر به من فنون الخيال الْغَزَلِيِّ، والشاعرية الحالمة في الصور البيانية المتأنقة الفتنة، المكحولة الرَّوْعَة ذلك ما جعل بعضهم يجاد لنا في شأن الصوفية، فيأتينا بأدعية ونجاوي صوفية، فيها وَشْيُ السحر الشاعر وفتنته، وبدعاوي فيها روحانيةُ الحق وروعتُه، ثم يقول: أَوَمَنْ يقولون هذا، تفتري عليهم أنهم غير مسلمين؟!

لهؤلاء الذين خَلَبَهمُ عشقُ الصوفية أقول: ما من كُهَّان نحلة ضالة، أو أحبار دين زائف، إلا وناجوا معبودهم، وَدَعَوْه بما يُخَيِّل إليك من سحره أنه ضراعة نبوة في فجر الوحي، فهل نعدهم مسلمين بتلك النجاوي، وهذه الأدعية؟!.

سلوهم قبل الفتنة: لِمَنْ هذه النجوى؟، ولمن تضرعون بهذا الدعاء؟، سلوهم عن صفات معبودهم، وأسمائه الحسنى، وعن شرعته التي كلفهم بها، وهناك حين يجيبونكم توقنون أنهم لا يناجون الله، ولا يدعونه، وإنما يفعلون ذلك لآلهة أخرى ابتدعوها؛ لِتُعْبَدَ من دون الله!.

ويذكرنا هؤلاء المسحورون بدعاوي الصوفية، إذ يفترون: «كلامنا هذا مُقَيَّدٌ بالكتاب والسنة!»، وكذلك زعمت كل فرقة نجمت[١] في الجماعة الإسلامية؛ لتجد لها أنصاراً وأعواناً من الأغرار، الذين يخدعهم زيف القول الحلو عن رياء العمل المر!، قالتها الشيعة[٢] التي تُؤَلِّه أئمتها، وقالتها المُعَطِّلة[٣]، وقالتها المُجَسِّمة[٤]، وتقولها القاديانية والبهائية!، وقد نقلت لك

[١] «نجم» الشيء، نجومًا: طلع وظهر.

[٢] «الشيعة»: طائفة من الطوائف الضالة، وهي مشهورة ومنتشرة؛ ظهرت في بادئ الأمر على كل من ناصر وشايع عليًا وأصحابه، ثم تطور الأمر بهم، حتى كان لهم عقائد ضالة مضلة مثل الرجعة والبداءة، وانقسمت فرق كثيرة؛ منها الإسماعيلية والإثنى عشرية، والباطنية وغيرهم.

[٣] «المعطلة»: هم من عطلوا صفات الله – تعالى – عن معناها الحقيقي، فيقولون أن الله سميع – بلا سمع، وبصير بلا بصر.

[٤] «المجسمة»: هم من شبهوا صفات الله – تعالى – بصفات عبيده، فيقولون: سميعٌ كسمع البشر، بصير كبصر البشر.

عن النابلسي – وهو صنم صوفي كبير – دعواه أن وحدة الوجود مستمدة من الكتاب والسنة!.

إنك لا تستطيع أن تمنع إنسانًا من أن يدعي ما يشاء، ولكن الذي تستطيعه هو أن تبتلي دعواه، وتزنها بميزان الحق من الكتاب، وثمت تستطيع أن تحكم عليه عن بَيِّنَةٍ بالصدق، أو الكذب فيما ادعاه. وقد ابتليتَ معتقداتِ الصوفية وأربابها وآلهتها، فهل ترى لها أثارة من نسب إلى شرع، أو عقل؟

لقد جحدت الصوفية الحقيقة الأولى، تلك التي يقررها الشرع، ويحكم بها العقل؛ وهي أن الله – سبحانه وتعالى – مُغايرٌ لخلقه في ذاته وصفاته وأفعاله، فكيف نحكم عليها بأنها تؤمن بما يترتب على تلك الحقيقة العليا من حقائق مقدسة؟، ليس المهم أن تقول، بل الأهم أن تعمل بما تقول، فهل يعمل الصوفية بالكتاب والسنة، كما ينافق بعض زعمائهم؟!، ومِمَّا يجادلنا به عشاقُ السحر الصوفي قول ابن الفارض:

وإن خطرت لي في سواك إرادة … على خاطري يومًا حكمتُ بِرِدَّتي

وعلى ما في هذا البيت من غلو الإسراف في دعوى التجرد[١]، وحقارة الكذب، فإن هؤلاء ينسون قول ابن الفارض في نفس القصيدة:

فلا حَيٌّ إلا من حياتي حياته … وطوع مُرَادِي كُلُّ نفس مُرِيدة

وينسون ما طفحت به تائيته الكبرى من زندقة باغية الجرأة، تؤكد لك أنه حين يناجي رَبًّا؛ فإنما يعني به أنثى مستباحة العفة، أو رمة بالية أو نَفْسَه التي تَحَقَّقَ بها وجودُ ذلك الرب في مرتبته الْعَيْنِيَّة!، ويجادلنا هؤلاء بقول رابعة: «ما عبدتك خوفًا من نارك، ولا طمعًا في جنتك، وإنما عبدتك لذاتك»، ثم

(١) للإرادة الإنسانية مجال فساح من الخير الذاتي؛ كإرادة الزواج، وكسب العيش، وإرادة التمتع الروحي بما أبدع الله من جمال في جنات الأرض، وما على من يريد ذلك جناح من الله ذي الرحمة. ألم يقل الرسول ﷺ: «حبب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة» (صحيح: رواه أحمد «١٢٣١٥» والنسائي في الكبرى «٨٨٨٧» وصححه الألباني، صحيح الجامع «٣١٢٤») وهل الحب إلا إرادة مصممة قاهرة؟ فهل أشرك محمد؛ لأنه أراد ذلك؟

يهتفون لرابعة شهيدة العشق الإلهي، رابعة التي تزعم أنها تجردت من كل رغبة، أو رهبة، أو طمع، أو خوف!.

هؤلاء ينسون أن رابعة بهذا السحر الصوفي الفاتن تستشرف عزة الألوهية!، وتفتري لنفسها الشائنة[١] مقامًا يسمو عن مقام الرسل الذين جعل الله من صفاتهم أنهم يدعونه: رَغَبًا وَرَهَبًا، أو خوفًا وطمعًا، يقول الله عن زكريا وآله -: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ثم تأمل هذه الآيات التي تنجيك من سحر رابعة: ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧] وَصَفَ الله من يدعونه خوفًا وطمعًا بأنهم محسنون، والإحسان أسمى مراتب العبادة، وأكمل مقامات العبودية، والعبودية هي غاية الحب، مع غاية التذلل، فما الحب الذي تطفح به مشاعرُ رابعة؟!

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة: ١٦] أرأيت في صور القديسين الناسكين أروع من صور هؤلاء الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع لذكر الله؟!، ومن أخص صفاتهم دعاء الله خوفًا وطمعًا!، فما حب رابعة؟!.

من أخص خصائص البشرية أنها ترغب وترهب، حتى بشرية الأنبياء والرسل، ترهب وهي أسمى مقاماتها، ومن أصدق الدلائل على الحب المسيطر القاهر، أن يمتلىء القلب رغبة في المحبوب ورهبة منه؛ رغبةً في رضاه، ورهبة من غضبه[٢] أو جفاه، فإذا لم تكن ثَمَّ رغبة في نواله، فقد سئمته، وإذا لم تكن ثَمَّ رهبةٌ من عقابه فقد احتقرته، وكلما تسامى الحب، قويت الرغبة في نوال المحبوب، واشتدت الرهبة من حرمانه، الرغبة والرهبة جناحاً الحب اللذان

---

[١] «شناه»: أبغضه وتجنبه.

(٢) وجزاء رضوان الله في الآخرة الجنة، وجزاء غضبه فيها النار، فإذا لم ترغب في جنته، فأنت غير راغب في رضاه، وإذا لم ترهب ناره، فأنت لا ترهب غضبه، وإذا لم ترغب الرضا، وترهب الغضب، فأنت دعي حب كذوب.

يُحَلِّق بهما فوق الذرى[١]، فإذا تجردت منهما كان حبك كاذبًا، لا يقهر منك شعوراً، ولا يُوَجِّه إرادة.

ولكن رابعة تزعم أنها تجردت من تلك البشرية الطهور، بشرية القديسين بشرية أولي العزم من الرسل! فماذا وراء هذا الزعم؟؛ وراءه أنها في قمتها العليا لا تدنو منها مكانة المصطفين الأخيار من أنبياء الله، وراءه أنها ليست بشراً، بل إلهًا، فالملائكة أنفسهم يرغبون، ويرهبون!، وراءه اتهامٌ صريح لمن تَنَزَّل القرآن - وتعالى الله عن إفك رابعة - بأنه أخطأ حين أمرنا أن ندعوه خوفًا وطمعًا، وَدَاجَي حين رغَّبَنَا في الجنة، وخَوَّفنا من النار.

دعواها التجرد شعورٌ منها - وما أخبث هذا الشعور وأكذبه - بأنها ساوت من تحب!! ثم مَنْ رابعة هذه؟ أليست هي التي تقول عن الكعبة: «هذا الصنم المعبود في الأرض»(٢)؟.

ثم اقرأ هذه الآية: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ [التحريم: ١١] هذه القدِّيسة[٣] العظيمة التي طيب الله ذكرها، وخلَّده في كتابه، وضربها مثلاً للذين آمنوا، إنها تضرع إلى الله؛ ليبني لها بيتًا في الجنة، أما رابعة التي لا تزن في القيمة خاطرة من امرأة فرعون، فتستعلي أن تطلب الجنة!، واقرأ النور في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾ [التوبة: ١١١] وَعْدٌ كريم عظيم من الكريم القادر، يشتري به نفسَ المؤمن ومالَه، وما ذلك الوعد؟؛ أن تكون له الجنة، وقد وصف وعده في ختام الآية بقوله تعالي: ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] ولكن رابعة في تعاليها الجاحد، لا تراه فوزاً عظيمًا، فتطلب غيره!، أليس هذا اتهامًا للكريم بالبخل، أو بأنه لم يحسن الوعد، ولا شراء نفسِ المؤمن ومالِه بالجنة؟!.

---

[١] «الذرى» جمع ذُرْوَة، وذروة كل شيء: أعلاه.

(٢) ص ٣٨ وما بعدها كتاب «شهيدة العشق الإلهي» للدكتور بدوي.

[٣] «القدِّيسة»: المطهرة.

وينتفض هؤلاء إعجابًا بمعروف الكرخي(١)، إذ يَرْوُن عنه أنه بال على شاطيء نهر، وتيمم، فقيل: يا أبا محفوظ!! الماء منك قريب!! فقال: «لعلي لا أبلغه»(٢) لقد كان رسول الله يطوف على نسائه، فيغتسل منهن جميعًا بغسل واحد[٣]، فلماذا كان لا يغتسل عقيب كل واحدة؟، بل ثبت عنه أنه كان أحيانًا يبيت جنبًا، غير أنه كان يتوضأ!![٤]، أكان معروف أشد خوفًا من رسول الله؟، والله أرحم مما يظن معروف، لو أنه سبحانه قبض إليه عبده قبل أن يبلغ الماء القريب ليتوضأ. إنه هوس صوفي يغلو في الحب، حتى يتجرد من الرغبة والرهبة، ويغلو في الخوف، حتى يتيمم والماء منه قيد شبر واحد!!، فما ندري أنحب حتى لا نخاف، أم نخاف حتى لا نحب؟!، ويبهتون ابن حنبل[٥] أنه سأل بشرًا الحافي عن الزكاة، فقال بشر: أما عندكم فالعشر، وأما عندنا، فالعبد، وما ملكت يداه لسيده!!، وتبرق عيونُ الصوفية بالسرور السكران، وتميد أعطافهم من نشوة الخمر الصوفي!!.

هؤلاء ينسون الإثم الكبير في قول الصوفي الحافي: «عندنا أم عندكم» فإنه نَزْعَةٌ من الأسطورة الصوفية التي تزعم: أن الدين شريعة وحقيقة(٦)، وأن الأولى دين الظاهرية، وأن الأخرى دين الباطنية، وقد سبق الحديث عن ذلك. ويتناسَوْنَ أنه ينتسب إلى غير أهله حين يزعم أن هذا الحق الذي قاله: «العبد، وما ملكت يداه لسيده» هو من دين الصوفية، أو من شرعة الباطن!.

(١) توفي سنة ٢٠٠ هـ وكان يقول: «إذا كانت لك حاجة إلى الله فاقسم عليه بي» انظر ص ٩ الرسالة للقشيري مطبعة التقدم، فتأمل منذ متى كفرت الصوفية؟!.

(٢) ص ٨٣ «طبقات الصوفية» للسلمي، وقد نسبه أبو طالب إلى الرسول. انظر ص ٢٩ جـ ٣ «قوت القلوب» ط ١٣٥١هـ.

[٣] رواه مسلم (٣٠٩).

[٤] رواه أحمد (٢٤٧٤٥، ٢٦٢١٣) والنسائي في الكبرى (٢٩٩٢) وصححه الألباني.

[٥] هو الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله، إمام الدنيا، وهو أشهر من أن يعرَّف؛ ولد – رحمه الله – ببغداد سنة (١٦٤ هـ)، وطلب العلم وهو صغير، وارتحل حتى صار إمامًا في الفقه والحديث، وبلغت شهرته الآفاق، بعد أن وقف في محنة خلق القرآن، وله مؤلفات أشهرها «المسند»، وقد توفي – رحمه الله – سنة (٢٤١ هـ). انظر: «السير» (١١ / ١٧٧).

(٦) يقول الدباغ: «إن الولي يسمع كلام الباطن، كما يسمع كلام الظاهر» ولهذا قد يعصي الولي الصوفي في نظر الشريعة، فيكون مطيعًا في نظر الحقيقة. يقول الدباغ: «إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص وإنما حجبت روحه ذاته. فظهرت في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية» ص ٤٢ جـ ٢ الإبريز. هكذا يطلب منا الصوفية اعتقاد أن معاصيهم طاعات!!.

ثم مَنْ سيد بشر[١]؟ لقد عرفتم سيد الصوفية الذي يعبدونه، فاعرفوا إذن سيد بشر!.

ويذكرنا هؤلاء بالأدعية الصوفية التي تَتَبَرَّج فيها أنوثةُ البيان الفاتنة، وتَنْهَلُّ منها دموع الحب، وتنوح جراحه، ولكني أذكر هؤلاء بأن البرهمية[٢] أو البوذية[٣] ناجت ربها بصلوات من الدعاء، يغازل الروحَ شعرُها بالروعة الآسرة، شَفَّافَة الترانيم عن نفس دَلَّهَها العشق، وقلب تَبَله[٤] الغرام، كذلك صنعت الزَّرَادَشْتِيَّةُ[٥] والمانَوِيَّةُ، والفرعونية واليهودية، والمسيحية والبهائية[٦] والقاديانية[٧]!، وأنت إذ تتلو من أدعية هؤلاء – دون أن تكون على بينة من نِسْبَتِها إليهم – لن تشك في أنها ضراعات القديسين، بَشَّرتهم برضاها السماء!!، فهل نعدهم بهذه الأدعية دعاةَ حقٍ، وجنود إسلام؟!، لا تسأل الداعي: بماذا تدعو ربك؟ ولكن سله أولاً: من رَبُّك الذي تدعوه، وما صفاته؟!.

---

(١) بشر بن الحارث أبو نصر الحافي مات سنة ٢٢٧ هـ.

(٢) نسبة إلى «برهما» الكائن الأوحد كما سمي في «الفيدا» كتاب الهند القديم المقدس، وتؤمن هذه النحله بثلاثة آلهة «براهمان» الرئيس الأعلى، و «فيشنو» إله الحياة، والثالث «سيفا» وهو إله التدمير والخراب. وتؤمن هذه الطائفة بقدسية كهنة الدين؛ لأنهم في نظرهم الذين يملكون لهم الشفاعة عند الآلهة والتأثير عليهم، وعنها أخذت الصوفية هذا التقديس.

(٣) نسبة إلى «بوذا» متنبيء هندي ولد في القرن السادس قبل الميلاد، وقد تطورت البوذية حتى اعتقدت في بوذا أنه إله تجسد لينقذ البشرية؛ بأن تحمل عنها عبء خطاياها!!، ويظن بعض الباحثين أنه أسطورة لم توجد، وبصورة بوذا صورت الصوفية إبراهيم بن أدهم [وحاشا أن يكون إبراهيم بن أدهم مثل بوذا؛ فهو من العبَّاد الثقات المشهود لهم بالفضل].

[٤] «تَبَلَهُ»: أسقمه.

(٥) نسبة إلى «زرادشت» متنبيء فارسي ولد قبل المسيح، جاءهم بكتاب اسمه «أفيستا»، ثم أضيفت إليه شروح فسمي: «زند أفيستا» وتؤمن هذه النحلة بإلهين أحدهما للخير، واسمه «رمزد» وآخر للشر، واسمه «أهرمن» إلا أن زرادشت يؤمن بانتصار الخير على الشر، فهو ذو نزعة تفاؤلية، لا تشاؤمية كما في ديانة ماني.

(٦) نسبة إلى ميرزا حسين علي الملقب بالبهاء، وخلاصة دينه أن الله سبحانه يظهر في دورات متعاقبة في صور الرسل، وأنه – أي ميرزا حسين علي – أتم وأكمل صورة للتجسد الإلهي، وأنه النبع الذي استمد منه الرسل جميعاً من لدن نوح إلى محمد ﷺ.

(٧) نسبة إلي ميرزا غلام أحمد القادياني نسبة قاديان توفي سنة ١٩٠٨ وقد ادعي أنه المسيح الموعود، أو المهدي المنتظر، وأن الله يوحي إليه، وقد انشطر أتباعه من بعده شطرين أحدهما الأحمدية، والأخرى القاديانية، والأولى أقل غلواً من الأخرى، وكلتاهما تكفر من لا يؤمن بغلام أحمد علي أنه المسيح الموعود!!

وهاك أنماطًا من الأدعية، فاقرأها، وتدبرها، وثمت تشعر بقلبك، وقد غمره اليقين بأنها ضراعة عبودية خالصة تبتل تحت السَحَر في المحاريب، بيد أنك حين تعرف حقيقة مَنْ بَثَ دموعَ الحب في تلك الأدعية، وإلى أي دين هو ينتسب، سَيرُود[١] بك العجبُ كل مَرَادٍ له، وسَتَأْسى على هذا الحلم الجميل الذي نعم به خيالُك لحظة، بل ستشعر، كأنما تهوي من قمة السماء إلى غَوْر جبٍّ[٢] سحيق عميق!، غير أن هذا سينجيك من السحر الصوفي الذي يفتنك عن الحق بما يسكرك به من سلاف الأدعية، فتظن بالصوفية في نشوتك ظن الخير، وتحسبها مع المسلمين في فجر ومحراب!.

فاقرأ معي هذا الدعاء: «اللَّهُمَّ لتَكُنْ مشيئتك أن أسير في طريق شريعتك، وأن أرتبط ارتباطًا وثيقًا بوصياك، اللهم احمني من الذنوب والعصيان وإغراء الشيطان، ولا تجْعَلَنْ للشهوات سلطانًا عَلَيَّ، ولْتَكُن إرادتي خاضعةً لك، أَعنِّي على التمسُّك بالخير، واشملني برعايتك اللهم آمين»(٣) أترى في هذه النجوى أثارة من باطل؟ أم تجدها صالحة؛ لتدعو الله بها، وأنت حول بيته؟ وتأمل قوله: «اللهم اللهم» وقوله: «لتكن إرادتي خاضعة لإرادتك»(٤). ولكن أتدري لمن هذا الدعاء؟ إنه ليهودي! والله تعالى يقول عن اليهود: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٦١] فهل شفع هذا الدعاء وغيره عند الله لليهود؟ كلا. وإن راحوا يملأون به سمَع الوجود؛ لأنهم لا يدعون به الله، وإنما يدعون ربًّا آخر، اختلقته أوهامُهم المادية الصماء، لقد رفعوا أيديهم إلى السماء، وهي ملطَّخة بدم النبيين، وفي قلوبهم شَتَّى أرباب وآلهة! وأطغى من هذا الشر، اقترفت الصوفية.

---

[١] «راود» على الأمر: طلبه. [٢] «الجُبُّ»: البئر الواسعة.

(٣) ص ٢٤٦ كتاب «الفكر اليهودي» جمع دكتور هرمس ترجمة ألفريد يلوز.

(٤) قارن بهذا قول ابن الفارض «وطوع مرادي كل نفس مريدة».

وهاك آخـر: «إلهي عليك توكلت، فـلا أخـزى إلى الأبد، عـرفني يارب طرقك، وسُبُلَكَ، علمني، أرشدني إلى حقك، وعلمني؛ لأنك أنت هو إلهي ومُخَلِّصي، وإياك رجوت اليوم كله، إذا تَصَوَّرْتُ كثرة أفعالي الرَّدِيَّة أنا الشقي، فإني أرتعد من يوم الدَّيْنُونَة الرهيب[١]، لكن إذ أنا واثق بتَحَنُّن إشفاقك، أهتف إليك مثل داود: ارحمني يا ألله كعظيم رحمتك»[٢] وهذه النجوى الحنون، ألا تجدها رَفَّافَةً تروح الحب الآمل في رحمة المعبود؟، ألا ترى فيها الهتاف بدعاء: «يا الله».

ولكن أتدري ما هي؟؛ إنها صلاة رومية أرثوذكسية!، والله – تعالى – يقول عن هؤلاء، ومن دان دينه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣] فهل شفع، أو يشفع هذا الدعاء، ومثله لهم؟ أتراه ينسخ عنهم حكم الله بأنهم كافرون؟!، كلا، وإن تجاوبت بأصدائه جنبات الوجود! فقد آمنوا برب هو ثالث ثلاثة، فلم يناجوا بها «الله» حقا، وإنما ناجوا بها ربًا، يزعمون أنه تجسد في ثلاثة مظاهر!، وكُفْر الصوفية أَشَدُّ شناعة؛ فقد آمنت بربٍّ هو عينُ كل شيء!، أو كما يقولون في تسبيحتيهم المقدَّسَتَيْن: «المظاهر عين الظاهر» يعنون بالمظاهر أنواعَ الخلق، وبالظاهر الله تعالى وتقدس الأخرى: «ذات ما ترى، عين ما لا ترى» يعنون أن ما تراه بعينيك من مظاهر الوجود هو عين الإله الصوفي!.

وهاك دعاءً آخر: «السلام عليك أيها الإله العظيم، لقد أتيت إليك يا سيدي في سلام، فكن بي عطوفًا فأنت صاحب العطف، واستمع لندائي، لَبِّ ما أقوله، فإني أنا واحد من عابديك[٣]» أتنكر من هذا الدعاء شِرْكًا؟، ولسانك لعنة تنصب عليه؛ فإنه لوثنية فرعونية عبدت ربَّها في صورة عجل، أو كوكب! وكذلك الصوفية! بل إنها مَرَّغت تلك الوثنية الفرعونية في رَدْغتها ثم خرجت بها صوفية تعبد كل شيء!.

---

(١) قارن بهذا زعم ابن عربي أن الوعد في الآخرة عين الوعيد، وأن النار عين الجنة!!.

(٢) ص ٢٤١، ٢٦٨ كتاب «خلاص النفوس في الصلوات والطقوس».

(٣) ص ٣٤١ «مصر» تأليف أدولف إرمان ترجمة الدكتور عبد المنعم بكر.

واستمع معي إلى هذا الدعاء: « ربنا إنا نتوجه إليك، ونتضرع بين يديك ونذكرك بالتهليل والتكبير، ونثني عليك بالتسبيح والتقديس. إلهي! وملاذي، وكَهْف صَوْني وعَوْني في شدائدي وبلائي، إني أبسط إليك أكف الضراعة، وأمد إليك أيدي الابتهال، ياربي المتعالي، وياذا الجلال والجمال، أن تنزل كل بركتك وموهبتك، وسابقة رحمتك، وسابغة نعمتك على أحبتك الذين شملتهم لحظات أعين رحمانيتك »[(١)] فهذه النجوى المُضَمَّخَةُ بالعبير سكران الرَّوْح، غراميٌّ النفحات، أتحس فيها شيئًا يرغب عنه إخلاص توحيد؟، ولكن أتدري لمن هي؟ إنها للزنديق القزم القميء عباس بن ميرزا حسين أو « عبد البهاء » يناجي بها ربَّه أفتجعل منه هذه الصلاة مسلمًا ناسكًا في الفجر؟!، كلا، فإنه لا يناجي بها الله، وإنما يناجي بها أباه ميرزا حسين علي الذي آمن به زنادقة البابية من الشيعة أنه أتم وأكمل مظهر تَجَسَّدت فيه الذات الإلهية، فقد زعم لهم ذلك، فآمنوا بما زعم!، وقد زادت الصوفية هذا الكفر خطيئة، فعبدت ربا يتجسد بذاته ووجوده وصفاته وأفعاله في كل شيء!.

مقارنة

ثم قارن بين تلك الأدعية التي آمنت ألفاظها، وكفرت قلوبها، وبين هذا الدعاء الصوفي الذي كفر لفظه ومعناه وقلب مفتريه! « إلهي استَهْلكْ كُلِّيَّتي في كُلِّيَّتك، وأمدَّ أوَّليَّتي بأوَّليَّتك، حتى أشهد أوليتك في أوليتي، وآخريَّتَك في آخريَّتي، وظاهريَّتك في ظاهريتي، وباطنيتك في باطنيتي، وقابليتك في قابليَّتي، وأنت في إنِّيَّتي، وهُوِيَّتك في هويتي[(٢)]، ومعيتك في معيتي، حتى أكونَ عنوان ذلك السر كله بل شكله وصورته[(٣)] » يدعو الله – سبحانه وتعالى – أن يجعله عينه وجودًا وذاتًا وحقيقة!!، وَمَنْ يجرؤ على هذه الزندقة غير ابن عربي؟!

(١) ص ٢٢٠، ٢٦٥ « مكاتيب عبد البهاء ».

(٢) أي وجوده الظاهر.

(٣) الهوية باطن الذات الإلهية عند الصوفية، يطلب من الله أن يجعل وجوده الباطن والظاهر عين وجوده هو في إنيته وهويته!!.

وإليك صلاته على نبيه: « اللهم صل وسلم وبارك على الطلعة الذات المُطَلْسَم، والغيث المُطْمطم، لاهوت الجمال، وناسُوت الوصال(١)، وطلعة الحق، هوية إنسان الأزل(٢)، في نشر مَنْ لم يَزَلْ(٣)، من أَقَمْت به نواسيتَ الْفَرْق إلى طريق الحق، فَصَلِّ اللهم به منه فيه »!(٤) يقول ابن عربي: اللهم صل على محمد الذي تَجَسَّدَ فيه اللهُ، اللهم صل على نفسك التي ظهرت، وتظهر في في صور الكائنات. ألا ترى مع الحق أن هذا الدعاء الصوفي يَحْمُوم الكفر الأثيم، وخطيئة الوثنية الجاحدة؟.

وما إخالك بعد هذا ممَّن ستخدعه فتنةُ السراب الخلوب فيما تتغزَّل به الصوفية من أدعية شعرية أو نثرية، فإنها إذ تدعو، أو تصلي، فإنما تفتري ذلك لرب ليس هو ربك الحق أيها المسلم، قد يفتنك من الصوفي دعاؤه: « اللهم » غير أن هذا الدعاء يهتف به البوذي واليهودي والبهائي، وكُلٌّ يعني به رب هواه، وإله أساطيره! وقد يخدعك من الصوفي قوله: « اللهم صل على محمد » ويقولها أيضاً البهائي! فمحمد الذي تصلي عليه الصوفية، ليس هو خاتم النبيين، وإنما هو ظن ابتدعوه، وسموه: « محمداً »؛ ليفتنوك به. محمدهم هو إله الآلهة الصوفية في تجسد بشري، بل إنك لترى الصوفية في كتبهم لا يسمونه إلا: بـ« الحقيقة المحمدية » يعنون بذلك أن الله حقيقة متعينة أو متجسدة في صورة محمد!! ﴿إن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (١١٦)﴾ [الأنعام: ١١٦] ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣)﴾ [الجاثية: ٢٢] هذا حكم الله، فبأيِّ حكم بعده تؤمنون؟!.

---

(١) ص ١٥ « مجموعة الأحزاب » ط استامبول سنة ١٢٩٨ هـ.

(٢) أي الإنسان الذي وصل بين الألوهية والإنسانية في ذاته، فباطنه لاهوت، وظاهره ناسوت.

(٣) أي حقيقة الله، فالله عند ابن عربي إنسان قديم!.

(٤) أي هو الإله القديم الذي ظهر في صورة إنسان، وعن هذا الإنسان انتشرت جميع الأنواع الخلقية، وعنه ينتشر ما لا يزال في مكنون الغيب من أنواع الخلق.

ويأفك الصوفية أنهم أحباء الله، وأحباء رسوله!، يفترون ذلك في صوت ناعم رقيق، فَيُرْعِشُ جسدَك سكرُ الصوت المُفعَم بأنوثة الرياء، وخنوثة النفاق فيصرخ «الدرويش» في وَجْهِ مَنْ يذكِّره بالحق: «أَوَمَنْ يقولون ذلك تفترون عليهم أنهم عدو لله؟!» ولكن لا تنس يا صاح أن اليهودية والنصرانية زعمتا هذا، فكذبهما الله ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ٢٠] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٨] والدليل على الحب الصادق لله طاعته وتقواه، ومتابعة رسوله فيما جاء به ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ولقد ذكرت لك دينَ الصوفية كما هو في كتبهم المقدسة، فهل تجد فيه بارقةً مِنْ ظَنٍّ، تميل بك إلى توهم أنهم أحباء الله أَوِدَّاء رسوله؟، إنهم دانوا بأحبارهم وكهانهم أربابًا من دون الله، فكيف تصدق أنهم أحباء الله ورسوله؟.

ودعوي حبهم للرسول وآل بيته دعوى الرجس أنه قداسة، والإثم الكبير أنه روحانية فضيلة!!، وكتلك الفرية افتراء الشيعة أنهم أحباء آل بيت محمد!!، أترى الشيعة والصوفية: اتبعوا الرسول، وجعلوه وحده الأسوة والقدوة الحسنة؟!، مائم ما يحتجون به لدعواهم سوى العكوف على الأضرحة الزنيمة[١] المفتراة لآل البيت!، سوى تلك القباب التي شيدوها معبودة على عظام نخرة، لا تدري أهي لحيوان أم إنسان[٢]، أم هي أمشاج من عظام شتى، لا تدري أهي لصالح أما طالح، لمسلم أم يهودي، فقد شيدتها الفاطمية[٣] في مصر؛ لتصرف الناس عن حج بيت الله، ولتجعل قلوب المسلمين نفسها قبوراً خربة، ثم سمتها بأسماء آل البيت، وأقامت علي سدانها وعبادتها الصوفية!، ما لهم من دليل على حبهم لآل البيت سوى عبادة

[١] «الزنيم»: المستحلق في قوم ليس منهم. (٢) ص ١٤ المصدر السابق.

[٣] «الفاطميون»: من الأسر الإسماعيلية الشيعية الباطنية، التي كانت حاكمة في شمال أفريقيا وبعد ذلك في مصر – في الفترة (٢٩٧ – ٥٦٧ هـ)، (٩٠٩ – ١١٧١م) وأسسها عبيد الله المهدي الشيعي (ت. ٣٢٢ هـ). انظر: «دائرة المعارف الإسلامية» (٢٥ / ٧٧٣٤).

تلك الأصنام بتقبيل أستارها وأحجارها ولثم نحاسها وخشبها، وتعطير أجوائها، والاستشفاع بأعتابها، واقتراف الأعياد الوثنية في كل موسم لها، وسل الآمِّين تلك «الموالد» عن عربدة الشيطان في باحاتها[١]، وعن الإثم المهتوك في حاناتها، وعن حمم الشهوات التي تتفجر تحت سود ليلاتها(٢)!، وهكذا تكد الصوفية في سبيل أن تجعل دنيا المسلمين كلها مقبرة، قفراء إلا من الوحشة، جرداء إلا من الرهبة والفزع، خاوية إلا من الخطايا تُقْتَرفُ باسم الإسلام!، تكد في سبيل أن تجعل نفوس المسلمين مقابر، وغاياتهم المقابر، وآلهتهم العظام البوالي في المقابر!، وتحث المسلمين؛ ليجعلوا الحياة كلها قرباناً إلى غيابات العدم، وجيف المقابر!، فما ينقضي في مصر أسبوع إلا وتحشد الصوفية أساطير شركها، وعُبَّادَ أوثانها عند مقبرة يُسَبِّحُون بحمد جيفتها، ويسجدون أذلاء لرمتها، ويقترفون خطايا المجوسية في حَمْأَتِها، ويحتسون آثام الخمر و «الحشيش» والأجساد التي طرحها الليل علي الإثم فجوراً ومعصية! ويسمونها للناس: «موالد» أو مواسم عبر وذكريات خوالد!، وما تجتمع جماعة صوفية، أو تنفض، إلاَّ ليبحثوا كيف يحتفلون بصنم قبر، أو رمة قبر؟! وما يُهَوِّم ليل على صوفي، أو يُفْزِعه بالنور نهار، إلا وقلبه مستعبد بهوى صنم قبر، أو رمة قبر، وما يقعد صوفي أو يقوم، أو يركب أو يمشي إلا وينعق مستغيثاً بصنم قبر، أو رمة قبر، قبور قبور!، هذه هي دنيا الصوفية، لها جهاد الصوفية، ولرممها عبادتها، لها تحيا، ولها تموت، وبها تعيش! وخير ما تتمناه الصوفية، هو أن يهلك المسلمون جميعًا، حتى يكون في كل ساعة «مولد» مقبرة، وعيد رمة، فليقتل المسلمون أنفسهم؛ ليمدوا الصوفية بأعياد كثيرة

[١] «الباحات» جمع باحة وهي: الساحة.

(١) يصف الجبرتي ما كان يحدث في مولد العفيفي – وكأنما يصف موالد اليوم «ينصبون خيامًا كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوي، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس، وخواصهم وعوامهم، و[فلاحين] الأرياف وأرباب الملاهي والملاعيب والغوازي والبغايا والقرادين والحواة، فيملئون الصحراء والبستان، فيطئون القبور [ويوقدون عليها النيران، ويصبون عليها القاذورات] ويبولون ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهاراً، [ويستمر ذلك نحو عشرة أيام أو أكثر] ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء، [وينصبون لهم خياماً أيضاً] ويقتدي بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار، بل يعتقدون أن ذلك قربة وعبادة، ولو لم يكن ذلك، لأنكره العلماء، فضلاً عن كونهم يفعلونه، فالله يتولى هدانا أجمعين» ص ٢٢٥ جـ ١ «تاريخ الجبرتي» ط ١٣٢٢ هـ.

للقبور، ونذور للجماجم! ، ما لهم من دليل على حبهم للرسول وآل بيته سوى تلك «التواشيح» التي يتغزلون بها في العيون الحوالم[١] النُّعْس[٢]، والشفاه الظوامىء اللُّعْس[٣]، والأهداب المسبلات في إغراء على لهب من الورد يتوهج في الخدود النُّضْر، تلك هي أدلتهم! ويالها من أدلة! حياة كلها خطايا، وقلوب أربابها رمم معبودة، ونفوس آلهتها جيف، وأفكار كلها للأساطير وحياة ميتة، ووجود يفزع منه العدم، ودنيا خمول خامد تعصف بها الذلة . فأين الكفاح في سبيل بناء الحياة؟ .

إن الله – سبحانه – وصف لنا نفسه في كتابه الحق بصفاته المقدسة، وسمى نفسه بأسمائه الحسنى، فوصفه المسلمون، وسموه بما وصف، وسمى به نفسه، فلم يفتروا له صفة، ولم يبتدعوا له اسمًا، ولم يختلقوا لصفاته، ولا لأسمائه [معانٍ] غير التي وردت في اللغة التي نزل الله بها كتابه، هذا؛ لكيلا يفتروا عليه ما لم يتكلم به، أو يصفوه بما لا يحبه، أو يسموه بما لا يرضاه، وشرع سبحانه لنا شرعًا هاديًا كريمًا ختم به شرعته، بلغه رسوله الأمين، فلم يدخل المسلمون في شرعه سبحانه ما ليس منه، ولم يتهموا شرعه بالقصور أو التقصير؛ لأن ربه الحكيم الخبير خالق الزمان والمكان، يعلم ما يصلح لكل زمان ومكان، وقد أخبرهم سبحانه أن رسالة محمد، هي خاتمة الرسالات، فليس بعده من نبي ولا رسول، فما جاء به صالح للحياة، حتى تقوم الساعة، وإلا اتهمنا مَنْ نزله بأنه غير عليم ولا خبير ولا حكيم، كذلك لم يتهم المسلمون شرع الله بالجمود، ولا بأنه عقبة كئود[٤] تقف في طريق سُمُوِّ حضارة الإنسانية، أو تقدمها.

---

[١] «الحوالم» جمع «حالم» و «حَلَم» الصبي: بلغ مبلغ الرجال.

[٢] «نَعَسَ»: فترت حواسه فقارب النوم، وخصَّ المؤلف العين؛ لأنها أول ما تلاحظ في النوم ولوصفها بأنها ذابلتين كذبول الناعس.

[٣] «اللَّعَس»: لون الشَّفَة إذا كانت تضرب إلى السواد.

[٤] عقبة «كَؤُود»: صعبة.

أما الصوفية، فتجحد بما وصف الله، أو سمى به نفسه، وتكفر بوحيه، وتؤمن برب تجزأت ذاته، فكانت كل شيء تراه العين، أو يطيف بالظن، فَلْتُنَاجِ الصوفية بصلواتها ما تشاء، ولتُدَرِّ بالدعوات تحت أقبية الليل في هياكلها العبقة بالبخور الوثني، فإنما تناجي أصنامًا، وإنما تضرع إلى رمم!.

دعوة الصوفية الأخلاقية

يزعم بعض الكاتبين أن الصوفية دعوة أخلاقية مثالية، ويستشهد لذلك بما يلمحه في كتبهم من دعوة إلى الأخلاق الفاضلة، وبما يفتنه من روعة الجمال في البيان الأدبي عن تلك الدعوة، وعلى ما في هذا الزعم الغافل من غضون[١] سود من الكذب، وتجاعيد[٢] كابية من الباطل، فإني أقول: إن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة كَمٌّ مشترك بين الأديان جميعها، سواء منها ما نزل به وحي من الله، أو ما فترته الأهواء، وأفكته الأساطير، فتش في كتب البوذية والبرهمية، والزرداشتية والمانوية والغنوصية وإخوان الصفا[٣]، بل فتش حتى في كتب اليهود الْوَضْعِيَّة، وفي كتب أَيَّة نحلة(٤) ضالة، تجد دعوة تلتهب حماسة إلى التسامي بالخلق، وإلى تحقيق مُثُله العليا، فليست الصوفية - إن صدقنا زعمها - بِدْعًا في زعومها، وإنما هي كغيرها من الدعوات الضالة، شَرٌّ ينافق بأنه: بِرُّ الخير، ورذيلة ترائي بأنها: روح الفضيلة، وكفر يختال بأنه: إيمان

---

[١] «الغضون» جمع غضن وهو: كل تثنٍّ وتكسُّر في ثوب أو درع ونحوه، ويقال: جاء في غضون كلامك كذا: في أثنائه وطيَّاته.

[٢] «جَعُد» الشعر وغيره: اجتمع وتقبَّض والتوى.

[٣] «إخوان الصفا»: جماعة سرية باطنية مزجت الفلسفة اليونانية والعقيدة الباطنية بالعقيدة الإسلامية، وكان أول ظهورها في النصف الثاني من القرن الرابع، وهي تستهدف القضاء على الإسلام ودولته لتأسيس دولتهم التي تضم شتى عقائد الوثنية والمجوسية والإباحية، قالوا بأن الإمام إلهي الذات وإنه معصوم، وقالوا بوحدة الأديان وإلغاء التعصب الديني. وأهم أعلامهم: محمد بن مشير البستي، وأبو الحسن على بن هارون الزنجاني. انظر: «الموسوعة الميسرة» (٢ / ٩٥٠).

(٤) فالبهائية مثلاً تزعم أنها تؤمن بكل الكتب السماوية، كالتوراة والإنجيل والقرآن، وتسجل هذا في كتبها، وتزعم أنها تدعو إلى السلام العالمي، والإخاء البشري العام، فهل نحكم بأنها نحلة مؤمنة مسلمة؟ كلا. فإنها تدين برب تجسد في سيدها ميرزا حسين علي. والصوفية شر منها في معتقداتها الباطلة.

النبوة، فليست الدعو الخلقية هي الْفَيْصَل بين دين ودين، أو دعوة ودعوة – فإنها في كل دعوة، وفي كل دين – وإنما الفيصل بين الأديان والدعوات، وكونها حقًا أو باطلاً، خيرًا أو شرًا هو العقيدة التي تنبعث عنها هذه الدعوة الخُلُقيَّةُ، أو الباعث الذي يكمن وراء السلوك، والغاية التي توجهه إلى هدفه، وترْجي منه. وقد ذكرت لك دين الصوفية، أو عقيدتها، فهل تجدها حقًا؟، وهل نعتبر ما تدعو إليه من الْمُثُل الأخلاقية خيرًا، وإن كانت رائعة البيان فاتنة الصُّوَر، خَيِّرة المظهر؟، وهل نعتبر ما ينبعث عنها من عمل خيرًا في ذاته، كَبِرِّ يتيم، أو جهادٍ في سبيل مثل أعلى يعطف الإعجاب، ويُلْهِم الْفِدَائِيَّة؟، كلا. فالله يقوله لنبيه: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥] وإن كان عمله خيرًا نبيلا في أعراف السُّلُوكيِّين. هذا؛ لأن الباعث، أو النية، أو العقيدة التي ينبعث عنها هذا العمل، ليست حقًا ولا خيرًا، فكل ما ينتج عنها من سلوك، فهو مثلها باطل وشر. ألم تر إلى هذا البطل العربي الذي قاتل مع أصحاب النبي قتالاً ليس كمثله قتال في الصبر والجْلاد والبطولة التي تكافح الموت. لقد قال عنه رسول الله ﷺ: «إنه في النار؟!»[١] هذا؛ لأنه قاتل حَمِيَّةً، لا في سبيل الله، أو بمعنى آخر: لم تكن لديه العقيدة المخالصة التي تجعل من هذا القتال خيرًا، أو عملا صالحًا له عند الله ثوابه. وعقيدة الصوفية إيمان بربٍّ يتجسد بذاته في حجر أو جيفة، فغاية الصوفي من عمله رضوان الإله المتجسد في الحجر والجيفة، وباعثه على العمل حب الحجر أو الجيفة!.

أما عمل المسلم، ودعوة المسلم الخلقية، وجهاد المسلم؛ فوراء هذا كله

[١] روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون، فاقتتلوا فلمّا مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب النبي ﷺ رجل لا يَدَعُ لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقال: ما أجزأ منا أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل النار ....» الحديث انظر: البخاري (٢٨٩٨، ٤٢٠٧، ٦٤٩٣، ٦٦٠٧) ومسلم (١١٢).

عقيدة خالصة، تُوَحِّد الله توحيداً خالصاً في ربوبيته وإلهيته، ويوجه ذلك كله غاية سامية مُطَهَّرة؛ هي رضوان الله وحده.

يقولون: اقرأوا ما كتب الصوفية من دعوة إلى التسامي والروحانية، والتأملات الشاعرة في أسرار الكون، وسرائر النفس والحياة، والاستسلام المطلَق إلى مُبْدع الوجود. وأقول لهم: بل اقرأوا ما كتب الصوفية عن الله ورسله، واقرأوا ما كتب الصوفية عن معتقدهم. ابتلوا العقائد، قبل ابتلاء الأخلاق يا أسارى الصوفية!، فما الخُلُقُ إلا نتيجة، والصوفية نفسها تقرر أنها دين وعقيدة، قبل أن تكون دعوة خلقية، فلتحاسَبْ على دينها واعتقادها قبل محاسبتها على دعوتها الأخلاقية!، وما أحكم وأحسن قول الفضيل بن عياض[١]: «إن العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً، لم يُقْبَل، وإذا كان صواباً، ولم يكن خالصاً لم يُقبَل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص ما كان لله، والصواب ما على السنة، وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ [الكهف: ١١٠][٢].

فعلى الذين يعصف بهم الإعجاب بدعوة الصوفية الخلقية، أن يولوا إعجابَهم شطْر كل فرقة حكم الله عليها بالكفر، ففيها أيضاً الدعوة إلى مثل تلك الأخلاق التي يسحركم البيان عنها في الصوفية!، بل في بعضها أروع مما في الصوفية اقرأوا هذه الدعوة: «خَفِ الله إله آبائك، واخدمه بحب؛ لأن مخافة الله وحدها هي التي تَرْدَع الإنسان عن الذنوب، وحُبّه تعالى هو الذي يحث المرء على الخير، دَرِّب نفسَك على الخصال الحميدة، أحِبَّ الحقيقة والاستقامة زينة النفس، وتعلّق بهما، كن حازماً في المحافظة على كلمتك. ترفّع عن المُوَارَبة والتهرب والمراوغة، أبغض الكسل والخمول».

---

[١] هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر؛ ثقة عابد، ولد بخراسان، وتوفي بمكة سنة (١٨٧ هـ)، السير (٨ / ٤٢١).

(٢) ص ٧٤ «تفسير ابن القيم».

دعـوة حـارة إلى أروع الأخـلاق، وحَقٌّ يَرِفُّ وقـدسـيـة ولكن! ثـم اقـرأوا هذه: «إننا نبغي من العالم الحقيقة المجردة، ونجني الخير والطهر والجمال» دعوى رَيَّانة الجمال، ولكن ليتها كانت صادقة! واقرأوا هذه: «إن لم تكن لنفسك، فَلِمَنْ تكون؟ ولكن إن كنت لنفسك فقط، فلم تكون؟!» دعوة إلى الإيثار النبيل والتكافل الرحيم الوَدُود. واقرأوا هذه: فكِّر مَليًّا في ثلاثة أمور؛ تَنْجُ إلى الأبد من سيطرة الذنوب، اعلم: أن فوقك عينا ناظرة، وأذنا سامعة، وأن جميع أعمالك مسجلة في كتاب»[١] قول تظنه إيمانًا يتهجد بالصلاة المؤمنة، قول يوحي بالإيمان بأن الله بكل شيء محيط.

تلك الدعوات الرائعة في تساميها الغائي[٢] ليس في الصوفية مثلها، ومع هذا حكم الله سبحانه على أصحاب تلك الدعوات بأنهم عدوه، وأن عليهم غضبه ولعنته؛ لأنهم يهود، والعقيدة اليهودية ضلالة، وباطل، فكل ما انبعث عنها من عمل، أو قول، فهو مثلها ضلال وباطل، وحابطٌ عند الله، وإن كان يستهدف المثل العليا في أعراف الأخلاقيين.

فلو أن الدعوة الخلقية كانت وحدها، هي الميزان الذي نَزِنُ به إيمان الإنسان أو كفره، لحكمنا على أولئك اليهود الملعونين بأنهم بررة يَتَبَتَّلون في المحاريب المقدسة!، لو كانت الدعوة الخلقية وحدها، هي أساس الحكم على الإنسان بأنه مسلم أو غير مسلم، لدخل تحت الحكم بالإسلام كل زنديق وملحد وكافر، فما منهم من أحد إلا ويدعو إلى الأخلاق الفاضلة.

العقيدة الصافية هي مِلاك الأمر كله، وروح الدين كله، وهي التي تُقَوِّم العملِ والخلق بالخَيريَّة أو الشَّرِّيَّة في نظر الإسلام، وهي التي لها المقام الأول والاعتبار الأسمى عند الله سبحانه، ثم تَمَثُّلُ ما تقتضيه تلك العقيدة الصافية في حياتنا أخلاقًا وسلوكًا ودعوة، واتباعًا صحيحًا لهدى الله وحده.

(١) تلك النصوص عن «الفكر اليهودي» ترجمة ألفريد يلوز من ص ٢٤، ٢٠٠، ٢٠٢ وما بعدها.
[٢] من الغاية: مدى الشيء.

ليس المهم ما تتخلَّق به، أو تقوله، أو تعمله، بل الأهم قبل كل شيء ما تعتقده، اذكروا مرة أخرى، بل اذكروها دائمًا، تلك هي الآية التي يقول رب العالمين فيها لمحمد : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر : ٦٥] . والمَعْنِيُّ طبعًا؛ هو العمل الذي يبدو خيرًا في ذاته، وإلا لما كان للتوعد بحبوطه معنى. ولقد أشرك الصوفية إشراكًا خبيثًا، وأخبثُ ما فيه أنه يفتن الناسَ عن حقيقته، فيظنونه توحيداً صافياً . لقد خدعتك الدعوة الخلقية في الصوفية عن عقيدتها، فوزنت قولها في الأخلاق بميزانك العاطفي الذي يهتز مع الخديعة، ويميل ظالمًا مع الهوى، ولكن زِنْها بميزان الحق والعدل من كتاب الله، زنها بميزان التوحيد الخالص، وثَمَّت ترى أنها الفتنة الخاتلة، وأن دعوتها الخلقية ليست إلا شِفُّ رياء يحاول ستر عقيدتها الملحدة، اسمعوا ما يقول ابن عربي عن الله :

يا خالق الأشياء في نفسه   أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كَوْنُه فيـ   ـك ، فأنت الضيِّق الواسع(١)

يصف الله بأنه خالق مخلوق، وبأن ذاته هي جميع ذوات أنواع الخلق، وأنه ما زال يخلق في نفسه ما لا ينتهي من أنواع الخلق، فهو ضَيِّقٌ؛ باعتباره حقًا؛ أي مُجَرَّدًا عن النعوت، وهو واسع باعتباره خلقًا متنوعًا كثيرًا لا ينتهي. واسمع إليه يقول عن الله : « فَذَكَرَ – أي الله – أن هُوِيَّتَه هي عين الجوارح التي هي عَيْنُ العبد، فالهوية واحدة، والجوارح مختلفة، ولكل جارحة عِلْمٌ من علوم الأذواق يخصها من عين واحدة تختلف باختلاف الجوارح » .

يصف الله بأنه نفس جوارح العبيد، قَيَدُ السارق، ويد القاتل، ويد المرتشي، ويد المقامر، ويد المخمور يتناول بها الإثم . كل هذه الأيدي، هي أيدي رب ابن عربي، والعين المختلسة والأذن السارقة، والفم المنتن من الحرام، كل أولئك من جوارح رب ابن عربي، والمعارف الحِسِّيَّة التي نستمدها من اليد

(١) « الفصوص » شرح قاشاني، ص ١٠٩ .

والقدم والعين والسمع واللسان؛ إنما هي معارف رب ابن عربي؛ لأنه عين تلك الجوارح كلها، ويؤكد هذا بقوله: «فلا قُرْبَ أقرب من أن تكون هُوِيَّتُه عين أعضاء العبد وقواه، وليس العبد سوى هذه الأعضاء والقوى، فهو - أي الله - حَقٌّ مشهود في خَلْق مُتَوَهَّم، فالخلق معقول، والحق محسوس مشهود عند المؤمنين وأهل الكشف والوجود».

أرأيت إلى غلواء الزندقة في دين ابن عربي؟!، إنه يزعم أن الخلق شيء معقول؟!، أما الله - سبحانه - فشيء محسوس!؛ لأنه عين ما ترى عيناك، وتسمع أذناك، أما «الخَلْقُ» فصفة، أو وَجْهٌ من وجوه الحق سبحانه!، ويؤكد ذلك مرة أخرى بقوله: «ثم تممها الجامع للكل محمَّد ﷺ؛ بما أخبر به عن الحق: بأنه عين السمع والبصر واليد، والرِّجْل واللسان، أي: هو عين الحواس» وبقوله: «[تحققنا] بالمفهوم وبالإخبار الصحيح أنه عين الأشياءُ، والأشياء محدودة وإن اختلفت حدودها، فهو محدود بحد كل [ذي محدود]»(١) رَبُّه عين كل شيء! ولكل شيء، حَدٌّ يُعَرَّف به، فكل تعريف هو تَعْرِيفٌ لِكُنْه الذات الإلهية، إذ كل شيء عند ابن عربي هو عين الله!!، فَلْيَطِرْ فَكرُك عبر الآباد[٢] والآنات[٣] والآزال[٤]، وَلْيَجُلْ خيالُك في شتى الصور، المستحيل منها والممكن، فكل شيء يراه فكرك، ويلمحه خيالك، هو رب ابن عربي، فكر في المغول، والصليبيين، وكل مستعمر سام العرب والمسلمين خَسْفًا[٥]، أو هوانًا، فكر في الجاهليين يُجَرِّعون صِحَابَ النبي العذاب، فكر في

---

(١) هذه النصوص كلها عن «فصوص الحكم» لابن عربي ص ٨٨، ١٠٧ ومابعدها واقرأ هذا النص: «إن الله لطيف، فمن لطفه ولطافته أنه في الشيء المسمى كذا المحدود بكذا عين ذلك الشيء، حتى لا يقال فيه إلا ما يدل عليه اسمه بالتواطؤ والاصطلاح فيقال: هذا سماء وأرض وصخرة وشجر وحيوان وملك ورزق وطعام والعين واحدة من كل شيء وفيه» ص ١٨٨ فصوص ط الحلبي، يعني أن الله هو عين كل هذه الأشياء وغيرها. فإذا عرفت شيئًا منها بتعريف، فهذا التعريف صادق على الله بالتواطؤ يعني أنه هو عين تعريف الله نفسه في جنسه وفصله، فتأمل.

[٢] «الآباد» جمع أبد وهو: الدهر.

[٣] «الآنات» جمع الآن بمعنى: الحين.

[٤] «الآزال» جمع أزل وهو: القدم.

[٥] «خسف» الله به الأرض: غاب به عنها.

الصهيونيين[١] اليوم، وفيما يكيدون به للإسلام، فَكر في السفاحين الأوغاد، فكر في أولئك جميعًا، وسل ابن عربي وأَحْلاَسَه عنهُم، وثمت تسمع منهم: إنهم جميعًا الذات الإلهية! أليسوا أشياء؟ وابن عربي يقول: إن الله هو عين الأشياء جميعها!، أليسوا خَلْقًا؟ وابن عربي يقول: إن الله هو عين الخلق؟، أليست لهم جوارحُ باغية مُلَطَّخَةٌ بالدم البريء؟!، وابن عربي يقول: إن الله هو عين كل يد وقدم ولسان!، والصوفية المعاصرة تعبد ابن عربي، وتدين بقدسيته، وأتحداهم أن ينبذوه، أو يعلنوا على الملأ كفره ومروقه؟!، فإن فعلوا، كان آية على أنهم خرجوا من دينه.

هذه يَحَامِيمُ[٢] من عقيدة الصوفية، فهل ينفعها أن تملأ الوجود بعد ذلك بالدعوة إلى الخلق الفاضل؟، إنها إذ تقول: اتق الله، فإنما تعني به ربها الذي هو الصخر الأصم والجيفة المنتنة، تعني ربها الذي هو عين كل شيء، وإذ تقول: جاهد في سبيل الله، فإنما تعني به وهما عَبَدَتْهُ رَبًّا يتعين بذاته في كل خَلْقٍ! اقرأوا ذلك جيداً، ثم نبئوني: أما زلت أسارى الإعجاب بدعوة الصوفية الخُلُقِيَّة؟!.

على أن الدعوة الخلقية الصوفية، هي دعوة إلى الأخلاق السَّلْبِيَّة(٣)، فحسب، إذ هي قائمة على الزهد المانَوِيِّ، فهي – على الزعم بأنها خير، ودون التفات إلى معتقدها – لا تصلح لأمة تريد أن تقود الحياة بقوة الحق والعدل إلى

[١] **الصهيونية**: حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود تحكم من خلالها العالم كله، واشتقت من اسم (جبل صهيون)، ثم أصبح هذا الاسم علمًا على اليهود أجمع، ومن أبرز الشخصيات المرتبطة بالحركة الصهيونية؛ اليهودي النمساوي هرتزل. «الموسوعة» (١ / ٥١٨).

[٢] **«اليحاميم»** جمع: يحموم وهو: الدخان.

(٣) يمتاز الإسلام في دعوته الخلقية بأنه يدعو إلى أقوى وأعز الأخلاق الإيجابية وإلى أقدس الأخلاق السلبية، فهو لا يطلب منك ألا تفعل الشر فحسب، بل يأمرك أن تفعل الخير، فهو يأمر مثلاً بالجهاد والسعي في سبيل الرزق، وينهي عن الرهبانية والسرقة يتجلى لك ذلك في قوله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وفي قوله: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧] وقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١] بل يتجلى لك ذلك أي جانب الإيجاب وجانب السلب في عقيدة التوحيد ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

الخير العام، وأن تتزعم العالم في سلام وأمن، تريد الوثبة الجريئة المقدامة التي تُسَخِّر كل شيء أذن الله لها فيه في سبيل تحقيق قِيَمِهَا الرفيعة المؤمنة، تريد الحياة دَفَّاقَة التيار، زَخَّارة المشاعر بالحيوية المتدفقة، المندفعة دائمًا إلى الأمام، جَيَّاشة[١] الليل والنهار بالعمل الدائب المنتج المثمر، والجهاد في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا، إنما تصلح دعوة الصوفية الخلقية – بذلك الاعتبار نفسه – لجماعة تعيش في الكهوف، أو المغاور، أو على قُنَنِ[٢] الجبال في الحِسِّ الهامد، والشعور الخامد، والوجدان الأصم البليد، وكل إنسان فيها منطو على نفسه. لجماعة تقطعت أرحامها، فعاش كل فرد فيها لنفسه، يسخر ليله ونهاره لنفسه، دون أن يحول عينيه وغاياته عن نفسه وحدها!؛ فهي أخلاق تطفح بالأثرة الضيقة المكتومة الخانقة، والفردية التي ترى الدنيا لها وحدها، وتعمل؛ ليكون كل شيء لها وحدها!، إنها رهبانية تسري فيها قشعريرة الخوف المذعور من الحياة، وَرِعْدَةُ الْفَرَقِ[٣] الْقَلِقِ من المجتمع، رهبانية تعيش في غيابة الخمول الأَسْوَان[٤] وراء الوجود الإنساني!، تَصْلُحُ لجماعة تعيش للعدم الميت، لا للحياة الشاعرة بذاتها وَمُقَوِّمَاتها، تعيش للوحدة الكابية الساهمة المحتضرة، لا للجماعة التي يعمل فيها كل إنسان لنفسه، ولمن معه، وتجعل الإيثار النبيل شعارها، وابتغاء مرضاة الله فَلَكَ حياتها وغاياتها وبواعثها. فدعوة الصوفية الأخلاقية؛ فِرَارٌ ذليل من الحياة، وَجُبْنٌ يرتجف من الحياة، وَتَفَرُّدٌ موحش في تيه الوحدة الذاهلة القائمة، وَقَتْل ظلوم لقوى الإنسانية المكافحة في سبيل تقدم الحياة، وكفران باغٍ بما أنعم الله به على الإنسان من قوى؛ ليعمل باسم الله ما يعمله لنفسه، وللجماعة التي يجب أن يشيد صروحها سامقات عاليات الذُّرى.

ويزعمون أن الصوفية جاهدت حتى نشرت الإسلام في بقاع كثيرة!. ولقد علمت ما دين الصوفية؟!، فما نشروا إلا أساطير حمقاء، وخرافات

[١] «جاش» الماء: تدفَّق وجرى.
[٢] «القُنَن» جمع قُنَّة وهي: أعلى الشيء.
[٣] «الفرَق»: الخوف.
[٤] «أسي» عليه: حزن، فهو أسوان.

بلهاء، وبدعًا بَلْقَاء[١] شوهاء، ما نشروا إلا وثنية تؤله الحجر، وتعبد الرمم!!، ما نشروا دينهم إلا في حماية الغاصب المستعمر، وطوع هوى الغاصب المستعمر، فَعَدُوٌّ الإسلام، يوقن تمامًا أن البدع، هي الوسيلة التي تصل إلى الهدف دائمًا، لكي يقضوا بها على الإسلام وأهله، فَعَلَهَا قديمًا، ويفعلها حديثًا. واقرأوا تاريخكم إن كنتم تَمْتَرونَ[٢]، أروني صوفيًا واحدًا قاتل في سبيل الله؟!، أروني صوفيًا واحدًا جالد الاستعمار، أو كافحه، أو دعا إلى ذلك(٣)؟ إن كل مَنْ نُسِبَ إليهم مكافحة المستعمر – وهم قلة – لم يكافحوه إلا حين تخلى هو عنهم، فلم يطعمهم السحت من يديه، ولم يبح لهم جَمْعَ الفتات من تحت قدميه، وإلا حين قهرت فيهم عزةُ الوطنية، ذل الصوفية، فقاتلوا حَمِيّة، لا لدين(٤)!. ثم اقرأوا ما كتب الزعيم مصطفى كامل في كتابه: المسألة الشرقية: «ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسة للقيروان، أن رجلاً فرنساويًا دخل في الإسلام، وسمى نفسه: سيد أحمد الهادي، واجتهد في تحصيل الشريعة،

[١] «بلِق»: كان فيه سواد وبياض، فهو أبلق وهي بلقاء. [٢] «تمترون»: تشكون.

(٣) سقط بيت المقدس في يد الصليبيين عام ٤٩٢ هـ والغزالي الزعيم الصوفي الكبير على قيد الحياة، فلم يحرك منه هذا الحادث الجلل شعورًا واحدًا، ولم يحر قلمه بشيء ما عنه في كتبه، لقد عاش الغزالي بعد ذلك ١٣ عامًا إذ مات (سنة ٥٠٥هـ) فما ذرف دمعة واحدة، ولا استنهض همة مسلم، ليذود عن الكعبة الأولى، بينما سواه من الشعراء يقول:

أحل الكفر بالإسلام ضيما ... يطول عليه للدين النحيب

وكم من مسجد، جعلوه ديرا ... على محرابه نصب الصليب

دم الخنزير فيه لهم خلوف ... وتحريق المصاحف فيه طيب

أهز هذا الصريخ الموجع زعامة الغزالي؟ كلا؛ إذ كان عاكفًا على كتبه يقرر فيها أن الجمادات تخاطب الأولياء!! ويتحدث عن الصحو والمحو. دون أن يقاتل، أو يدعو حتى غيره إلى قتال!!، وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية، فلم نسمع عن واحد منهما أنه شارك في قتال، أو دعا إلى قتال، أو سجل في شعره أو نثره آهة حسرى على الفواجع التي نزلت بالمسلمين لقد كان يقرران للناس أن الله هو عين كل شيء، فليدع المسلمون الصليبيين، فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة في تلك الصور. هذا حال أكبر زعماء الصوفية وموقفهم من أعداء الله!! فهل كافحوا غاصبًا أو طاغيًا؟

(٤) سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا» (رواه البخاري ٢٨١٠، ومسلم ١٩٠٤).

حتى وصل إلى درجة عالية، وَعُيِّن إمامًا لمسجد كبير في القيروان، فلما اقترب الجنود الفرنساوية من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها، وجاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد، يعتقدون فيه فدخل «سيد أحمد» الضريح، ثم خرج مُهَوِّلاً لهم بما سينالهم من المصائب، وقال لهم: بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم؛ لأن وقوع البلاد صار بحتًا[١]، فاتبع القوم البسطاء قوله، ولم يدافعوا عن القيروان أقل دفاع، بل دخلها الفرنساويون آمنين»[٢] وحين أغار الفرنجة على المنصورة قبَل منتصف القرن السابع الهجري، اجتمع زعماء الصوفية! أتدري لماذا؟! لقراءة رسالة القشيري والمناقشة في كرامات الأولياء[٣]!: «من أجل ذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا المستعمرين، يغدقون على الصوفية الجاه والمال، فرب مُفَوَّض سام، لم يكن يرضي أن يستقبل ذوي القيمة الحقيقية من وجوه البلاد، ثم تراه يسعى إلى زَيارة حلقة من حلقات الذكر، ويقضي هنالك زيارة سياسية تستغرق الساعات، أليس التصوف الذي على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة في الأمم؟»[٤] ثم إن كل من نسبت إليهم الصوفية أنهم جاهدوا في سبيل الله، وعملوا على نشر الإسلام، ليسوا صوفيين، وإنما حشرتهم الصوفية في زمرتها زوراً وبهتاناً، وأستاذها في ذلك الشيعة[٥]. لقد سمى الصوفية رسول الله صوفيًا، ومثله الخلفاء، وَكُلُّ بطل عبقري فذ من المسلمين زعموا أنه صوفي!!، هذا؛ ليخدعوا المسلمين بهؤلاء عن زعمائهم من طواغيت الصوفية!، وليفتنوا المسلمين بزعمهم أن أولئك القديسين الأبطال كانوا بعض أئمة الصوفية! والتاريخ يذكر أن لقب «صوفي»

[١] «البحت»: الصِّرف الخالص، لا يخالطه شيء.

(٢) ص ٢١٢ «المسألة الشرقية» للزعيم مصطفى كامل «نقلاً عن ص ١١ من كتاب «التصوف في الإسلام» للدكتور عمر فروخ.

(٣) «الطبقات» للشعراني ط صبيح جـ ١ ص ١١.

(٤) ما بين القوسين من كلام الدكتور فروخ في كتابه «التصوف في الإسلام».

(٥) يذكر الشيعة في كتب طبقاتهم كثيراً من أئمة أهل السنة وينسبون إليهم أقوالاً هم أبرياء منها، كل هذا ليفتنوا المسلمين عن طريق ذكر هؤلاء البررة.

لم يُبْتَدع إلا في منتصف القرن الثاني الهجري، وأن أول من لقب به هو « أبو هاشم الكوفي »[١] فأروني صوفيًا واحداً كان له فضل خير على الإسلام؟!.

أجيبوا يا من فتنت الصوفية عن الحق عقولكم!، لا تأتوني يا أسارى الصوفية بأقوالهم في الأخلاق، ولكن ائتوني بعقائدهم، ثم زنوها بالقرآن، إن كنتم به مؤمنين!، لا تقولوا: قال فلان الصوفي: كذا في الأخلاق، أو فعل كذا مما هو في مظهره حق وخير، ولكن قولوا قبل كل شيء: إنه يعتقد كذا، فالصوفية تزعم أنها الحقيقة في الإسلام، وروح عقيدته، والأخلاق ليست إلا بنت العقيدة، والإسلام قبل كل شيء، إنما يبتلي العقيدة أو النية، فإن كانت النية، أو العقيدة كما يحبها الله، اعتبر ما يصدر عنها من فعل صائب خيراً، وجازي عنه بالخير، وإن لم تكن العقيدة خالصة، فكل عمل يصدر عنها، فهو هباء، وإن كان في مظهره أعظم الخير(٢)، اسمعوا قول الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ثم قوله تعالي: ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢) ﴾ [التوبة: ١٠٢] ففي العقيدة لا يقبلها إلا خالصة نقية، أما في العمل؟ اقرأوا الآية؛ لتعرفوا الجواب.

لقد افترت الصوفية على الله ما لم تفتره زندقة من قبل، فجعلته هو عين خلقه اقرأوا هذا الكفر لابن عربي: « فالحق مَحْدُودٌ بكل حَدٍّ، وصور العالم لا تنضبط، ولا يحاط بها، ولا [يُعلم] حدودُ كل صورة منها إلاّ على قدر ما حصل، لكل عالم من صورته، فلذلك يُجْهَلُ حَدُّ الحق، فإنه لا يُعْلَم حَدُّه إلا بعلم حد كل صورة »(٣) يقول: إنه لا يمكن تعريف الله، لماذا؟ لأن الله هو عين

[١] هو أبو هاشم عثمان بن شريك الكوفي الصوفي، توفي سنة (١٥٠ هـ)، وهو ممن قيل عنه أول صوفي.
(٢) كما فعل ذلك الصوفي الكبير الإنجليزي المال والعاطفة، فبنى داراً كبيرة لعلاج الفقراء، لقد كان « المندوب السامي الإنجليزي » يذهب إليه في كل عام ليأكل عنده « الفتة » هو ورجال سفارته.
(٣) ص ٧٠ « فصوص الحكم » ط الحلبي جـ١.

كل شيء، فنحتاج في تعريفه إلى الأخذ بتعريف كل صورة من صور الوجود؛ إذ هو عينها، وصور العالم لا تنضبط، ولا تتناهى، فتعريفه سبحانه، لا يتناهى تبعًا لذلك!، والصوفية تفتري على نوح أنه لم يحسن أداء رسالته؛ إذ دعا قومه إلى الشريعة، ولم يدعهم إلى الحقيقة. دعاهم إلى الظاهر، لا إلى الباطن، ثم تحكم الصوفية على قوم نوح المشركين بأنهم أجابوا دعوة الله بالفعل، وأنهم فهموا الحق الذي ستره عنهم نوح، فعملوا بالمستور، فكانوا من المفلحين، وتحكم بأن نوحًا نفسه أثنى عليهم لعبادتهم الأصنام(١). ثم اقرأوا قول ابن عربي في الباب ١٢٩ من الفتوحات المكية[٢].

لا تراقبْ، فيس في الكون إلا واحد العين، فَهْوَ عينُ الوجود
ويُسَمَّى في حالة بإله ويُكَنَّى في حالة بالعبيد

ترى، هل ستظلون مصرين على أن الصوفية دعوة إلى الأخلاق المثالية، وأنت تعرفون أن الإصرار على كلمة كفر واحدة تمحو من سِجِلِّ الإنسان كل كلمة مؤمنة، والصوفية مصرة على كلماتها الكافرة!!.

خلاصة دين الصوفية

ونلخص لك دين الصوفية في كلمات قصار؛ أما في الوجود فيدينون بأن المطلق منه عينُ المقَيَّد، أو نفس الْعَيْنِيِّ المتقوم بخصائصه في هذا، أو ذاك من الأشياء ذات الكيان المادي، أوبمعنى آخر: يرون أن الله هو عين خلقه، وأما في الاعتقاد؛ فيدينون بأن الكفر والإيمان، أو الشرك والتوحيد، اسمان لحقيقة واحدة أو مترادفان لهما مدلول واحد، وأما في الدين، فيرون السماوي منه عين الْوَضْعِيِّ، فَمُنَزِّلُ الأول، هو الله، باعتباره حقيقة مُجَرَّدَة عن النعوت

(١) ص ٧٠ وما بعدها فصوص «انظر الفص النوحي».

[٢] قال في «الفتوحات»: «وإذا كان اتساع الممكنات لا يقبل التناهي، فما ظنك بالاتساع الإلهي، فيما يجب له وما يعطيه من المعرفة كل ممكن على عدم التناهي فيه». انظر: «الفتوحات» (١٤ / ٢٦٩).

الإيجابية أو السَّلْبيَّة، أو الإضافيَّة، وواضعُ الثاني هو الله – وتعالى جَدُّ رَبِّنَا[١] – باعتباره متجسداً في صورة بشرية!!، وأما في الجزاء الأخروي؛ فيلتقي عندهم طرفاه الثواب والعقاب، فالنعيم في الفردوس عين العذاب في جهنم، كلاهما عين الآخر في الحقيقة والأثر!! وأما في الفكر؛ فيدينون بأن الحقيقة عين الخرافة أو الأسطورة، وبأن الحق والباطل، أو الصواب والخطأ يتحدان في الدلالة، وكلاهما مقياس صحيح لصاحبه، وأما في الأخلاق؛ فيدينون بأن الخير والشر، أو الفضيلة والرذيلة سواء في الباعث والغاية وفي القيمة، وإن شئت حديثًا أكثر اختصاراً، فقل: إن خلاصة دين الصوفية، وفكرها وخلقها: لا تقابل، لا تضاد، لا تناقض، إذ الكل ذات واحدة، هي ذات الله – سبحانه –، أو كما يقول ابن عربي: «ما في الوجود مثل، فما في الوجود ضد، فإن الوجود حقيقة واحدة، والشيء لا يضاد نفسه»(٢).

خلف الصوفية كسلفهم

قد يقول قائل: ما لنا، ولا بن عربي وغيره، فتلك أمة قد خلت، وما لها من أثر!، ولكني أقول لهذا الذي خدعته الصوفية عن سُمِّها، فسقته إياه يحسبه عسلا مُصَفًّى: نحن لا نحارب أناسًا، وإنما نحارب تراثًا وثنيًا، آمن به سلف الصوفية على أنه الروحانية القدسية في الإسلام، وعاثوا[٣] به فساداً في عقائد المسلمين. والصوفية المعاصرة؛ تدين بما دان به سلفُها كابن عربي وابن الفارض، وفي تقديس كهنة الصوفية لذكراها، وفي التغني بشعرهما الوثني في نشوة سكرى. في ذلك كله بُرْهَانٌ على أن الصوفية المعاصرة، امتدادٌ طويل عريض عميق لدين ابن عربي والشعرَاني!، إنها تتعبد بكل ما خلفت الصوفية السالفة من تراث، وتقدس ما كتب أحبارها، وتبشر به على أنه تجليات الروح

---

[١] «جدُّ» ربنا: جلاله وعظمته.

(٢) ص ٩٢ فصوص جـ١ ط الحلبي.

[٣] «عاث»: أفسد.

الإلهي، وتؤمن به إيمانًا عميقًا، يسلب الفكر، ويختلب البصيرة، ويهوي بالنفس إلى غَوْرٍ[١] سحيق من الإلحاد، بل ربما أذنت لك الصوفية في الطعن على كتاب الله، وتثور وترغي[٢] وتزبد إذا مسست كتاب صوفي زنديق بسوء، ولئن أنكرت مرة على طبقات الشعراني ما فيها من خطايا، لرموك بعمى البصيرة.

كل صوفي هو ابن عربي في زندقته، وابن الفارض في وثنيته، والشعراني في خباله وخطاياه. تدبر أورادهم اليوم، وقصائدهم التي يرقصون بها رواد حانات الذكر!، تدبر نعيبهم في كل لحظة بالهامدين، تجد دليل ما أقول، ألا تسمع منهم: مدد يأهل التصريف؟ مدد يا رئيسة الديوان(٣)؟

واستمع إلى أولئك «المُخَمّرين(٤)» بعد حلقات الذكر، تجدهم يتسابقون إلى القول بأنهم: «يهود، نصارى، مجوس» والدراويش يصيحون من الفرحة الطروب: «اكْفَرْ، اكفر» يا مْرَبّي!

فرار الصوفية من النقد

زعم الصوفية أن من ينتقدهم، يُطْرَدُ من رحمة الله!، يُهوِّلون بهذا قيدا ظلومًا «للدراويش» حتى لا يُحَطِّموا أغلالَ الصوفية عن أعناقهم وقالوا: «وهذا الفن من الكشف يجب سَتْرُه عن أكثر الخلق: لما فيه من الْغُلُوِّ، فَغَوْرُهُ

---

[١] «غور» كل شيء: قعره. [٢] يقال «فلان يرغينا الحديث»: يُقل منه كالرغوة.

(٣) تأمل الحجاج قبل الحج وبعده تراهم يطوفون حول الأضرحة في مصر، كأنما يريدون طمأنة أوثانهم أنهم على العهد مقيمون!!، بل تأمل الأسطورة التي يبتدعها سدنة كل صنم؛ إذ يزعمون أن من زار هذا الوثن، أو ذاك سبع مرات ماشيًا كتب له ثواب حجة!!، زعموا هذا للبدوي في طنطا، وللدسوقي في دسوق، ولشبل في الشهداء!!.

(٤) هم طائفة من الدراويش يجلسون بعد الذكر، ثم يتبارون في إنشاد أزجال أو أشعار يزعمون أنها إلهام ساعتهم، وما زلت أذكر ذلك الرجل الهرم في قريتي «زاوية البقلي» وهو يقول عن الأقطاب:

ساعة يجونا عرب   ساعة يجونا أعجام
ساعة يجونا نصارى   لابسين زنار
ساعة يجونا سكارى   من حدا الخمار

بعيد »(١)!، باطنيةٌ منافقة، ورياء تعوذ به الصوفية إذا صعقتها صدمة الحق، وقالوا: «إذا رأيت منتقداً على التصوف، ففر منه فرارك من الأسد، واهجره»(٢).

ترى هل يفر الصوفية من هذا النقد العادل؟، ما أرتضى لهم أن يكونوا تحت سَطْوَة هذا الجبن الرِّعْديد[٣]، ورَهْنَ هذا العجز الذليل!!.

وقالوا: «طريق الكشف والشهود، لا تحتمل المجادلة والرَّدَّ على قائله، وحِرْمَانُهُ يعود على المُنْكِر»(٤).

كلَّ هذا: ليظَلَّ ضحايا الصوفية عُمْيَ البصائر، والقلوب، مختومًا على سمعهم، فلا يسمعون من أحد كلمة حَقٍّ تجادل باطلاً صوفيًا(٥)!!.

أما أنا ياسماحة الشيخ؛ فسأظل إن شاء الله – ورعايته أستلهمها وعونه أستمده – أثيرها حَرْبًا على الصوفية في تراثها الوثني، ومعتقداتها الفاسدة، وما نبتغي بها سوى الذياد[٦] عن الحق، ورضا الحق، ولن يروعنا في سبيل الله منكم وعيد. نعم سأظل – وعلى الله توكلت – أحارب باطل الصوفية بالحق من كتاب الله، فإنها محسوبة على الإسلام، بل يظن الكثير في أقطابها أنهم مشارق ربانية، وينابيع نورانية، ومثل عليا للروحانية، فحق على كل مسلم تمزيق هذه الأقنعة التي نسجتها تهاويلُ الأوهام، وأفانينُ الأساطير؛ لكيلا يُحْتَجَّ على دين الله بدين الصوفية؛ وليؤمن المسلمون أن الخير والهدى والسعادة في

(١، ٢، ٤) ص٣، ٨ «رسالة الفناء» من مجموعة رسائل ابن عربي طبع الهند، ص ٨ «إيقاظ الهمم شرح الحكم» لابن عجيبة.

[٣] «الرِّعديد»: الجبان، والجمع رعاديد.

(٥) كان يحضر مجلس الدباغ رجل لا يعتقد فيه أنه ولي كبير!!، فكان إذا حضر سكت الدباغ عن أساطيره الصوفية خشية أن يفضحه الرجل أمام تلاميذه، ثم قال لهم: «إذا حضر هذا الرجل فلا تسألوني عن شيء حتى يقوم» ويروي أحد تلاميذه أنهم كانوا إذا سألوا الدباغ وذلك الرجل حاضر وجدوه – أي الدباغ – كما يقول تلميذه: «كأنه رجل آخر لا نعرفه ولا يعرفنا وكأن العلوم التي تبدر منه لم تكن له على بال» ص ٤٢ جـ ٢ «الإبريز». أعرفت سر سكوت الصوفية أمامك؟ إنهم يخشون بطش الحق بهم أمام دراويشهم.

[٦] «الذياد» من ذاد: دفع.

الاعتصام بكتاب الله وحده، والاقتداء بخاتم النبيين وحده، فهو أخلص الخلق توحيداً لربه، وأهداهم إيمانًا به، وأزكاهم طاعة، وأشدهم تُقَاةً، وأعرفهم بما نَزَّله الله عليه، وهداه، وهدى المسلمين به.

مزاعم كاذبة

تزعم الصوفية «أن التصوف صِفَةٌ لله»[١]! وأن «من صدق بهذا العلم، فهو من الخاصة، وكل من فهمه من خاصة الخاصة، وكل من عَبَّر عنه، وتكلم فيه؛ فهو النجم الذي لا يُدْرَك، وأن علم التصوف لا يستغني عنه أحد، وأن نسبته إلى العلوم نسبة الكُلِّيِّ لها، ونسبة الشرط الذي لابد منه لتحصيلها، وأنه لا يوجد تحت أديم السماء أشرف من علم التصوف، وأنه لن ينقطع، حتى ينقطع الدين»[٢] كأنما رسول الله، وأصحابه كانوا من جهلة العوام!.

وكأنما ابن عربي والشعراني أعظم مقامًا عند الله من السابقين الأولين!.

وكأنما العلم الحديث الذي فجر الذرة، وسخر قواها، وجعل من الحديد طيرا، كأنما هو غير مُجْدٍ في تقدم البشرية!؛ لأنه ليس تصوفًا!.

بل هذا معناه: أن ما جاء به المتصوفة أفضل وأعظم مما جاء به خاتم النبيين! أليسوا يقولون: «إنه لا يوجد تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم؟» والرسول ﷺ لم يكن صوفيًا، ولا دعا بدعوة التصوف!.

فهل في مقدور صوفي أن يثبت صدق تلك الزعوم الكواذب، والظنون الشواحب البواهت!، كما ثبت بالحق الساطع أنها زيْغٌ وزيْفٌ وبهتان؟!.

مرحى[٣] بالمحاجة

وهنا ينازعني الإشفاق على شَيْبتك يا سماحة الشيخ، وعلى نفسك

---

(١) ص ١٥٨ «طبقات الصوفية» للسلمي.
(٢) ص ٧، ٨ كتاب «إيقاظ الهمم شرح الحكم» لابن عجيبة.
[٣] «مَرْحَى»: كلمة تعجب تقال للمخاطب لإيناسه.

الذوابة من هجير الأسى، ولَفْح اللوعة المضنية، بيد أني أرى من الخير، أن أصل ما بيني وبينك بالإلحاف في رجاء صادق، هو أن تقرأ، وأن تقرأ! وليست بطامع في أن ترد على ما كتبت!، ترى أَيُخلف الشيخ الكبير ظني»[1].

لم يحل خطر منصبك بينك، وبين أن تشكو منَّا إلى النيابة، فلما أن أيأسك عدلُها من أن تَظْلم لك، شكوت إلى كل حكومة سابقة!، فهل يحول بينك، وبين أن تذود عن الصوفية غائلة ساحقة ماحقة؟!، إني ليخيَّل إليَّ أن الشيخ الكريم سيدعوني إلى مناظرة يشهدها الجم الغفير من أتباعه، فمرحى مرحى بها، وإن كانت عند وثن الشعراني!، وإذا لم ينزع أحدكم إلى الرد، فسيؤمن الكثيرون أن الصوفية باطل جبان لا يعربد بِسَوْرته إلا حين يغمض الحق عنه عينيه لحظة!.

وأصيخوا إلى قول الله: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٤١ – ٤٤] فهلا أفَضْتُم إلى حمى الله، وعلى إشراق الهدي من كتابه وسنة رسوله، نسعى في الوجود دعاة إيمانٍ وحق وتوحيد وإخاءٍ وسلام؟!.

دعوة من الحب إلى الضحايا

أمَّا أنت أيتها الضحايا المسكينة التعسة، وأنت ياقرابين الشهوات من الطواغيت، فَلِلْهَوى الباغي دماؤك المسفوحة، وللأوثان منك النُّسُكُ المُلْحِد.

---

(١) أعثرني الله على كبير منهم في منزل رجل كريم لا يعرف دين الصوفي الكبير الذي كان على بينة من عدة لغات وعدة فلسفات، ويتزعم طائفة كبيرة لها فروعها المنتشرة في كل مكان، فما هي إلا لحظات قصار، حتى قهره الله بالحق من آياته، مما اضطره إلى أن يحكم بأن عقيدة السلف هي خير عقيدة. وهذا ديدنهم؛ فرار جبان، وكذب جبان!!.

أيها الحيارى في ظلمات الليل، وغَيَابَة التيه، انظروا، وانظروا؛ فَصَوْبَ عيونكم داعٍ كريمٌ حبيب، تتألَّق البشائر على مُحَيَّاه[١]، يدعوكم بالحب: أنْ هَلُمُّوا قبل أن يطويكم التيهُ، وتجتاحكم عواصفُه، فبابُ التوبة مفتوحٌ على مصراعيه، وما على بابه إلاَّ كل من يُرَحِّب بكم، ومن سماوات الهدى والْقُدْسِ تسمعون قولَ الرحمن ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ [الزمر: ٥٣] ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) ﴾ [الفرقان: ٧٠ - ٧١] واحذروا، فإن الله يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨] فتعالوا إلى الله، فما يملك ابن عربي، أو البدوي أن يقبل لكم متابًا، أو يغفر لكم ذنبًا، أو يبدل سيئاتكم حسنات!، أو يعفو عن زلة واحدة!.

أيها التائهون في كهوف الظلمات!؛ عودوا إلى الحق من هَدْي الله الحق، ثم انظروا حواليكم حين تنيبون إلى الله، وتعملون بهديه، ألا ترون الإسلامَ رفَّافَ الألوية في عزة على قمة الوجود الإنساني كله، وعلى الذرى من كل مناحيه؟!، ألا ترون هداه يناسم[٢] في رَحْمةٍ شرقَه وغربَه؟، ألا ترون الحياة فياضَةَ الصفاء والبشر والخير، تنعم بالسلام الوديع الرفيق الآمن؟!، ألا ترون القلوبَ ينابيع ثَرَّةً للإخاء والحب والإيثار؟، ألا ترون لكون كله محاريب إيمان، وحمى حَقٍّ وعدل، ومغانيَ سلام كريم؟!، لا تعجبوا إذا رأيتم ذلك كله فإنه وعد الله العلي الكبير القدير: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) ﴾ [النور: ٥٥] كل هذا يحققه الله للمسلمين إذا هم أخلصوا لله

---

[١] «المُحيَّا»: الوجه.

[٢] «نسم» الريح: حين تقبل بلين قبل أن تشتد.

وحده دينهم، وَوَعْدُ الله لن يتخلف؛ لأنه الكريم القدير، وقد حقق الله سبحانه وعده لمحمد ﷺ، ولأصحاب محمد، ولكل من سلك بالحق سبيل محمد، وسيحققه لكم إذا اتبعتم سبيله.

دعوة صادقة الحب أيها الحيارى: لا مَنْجاة لكم من آلامكم وأحزانكم، ومن الخوف الذي يعصف بكم، والقلق الذي تضطرب به مشاعركم، لا منجاة لكم من تلك الهموم الساجية إلا إذا لُذْتم بحمى الله وحده[١]، تؤمنون به، وتتدبرون آياته، وتهتدون بهديه، وتقتدون برسوله وحده ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤].



(١) لاذ الصوفية بفاروق، وأفاضوا إليه عبداناً يشكرونه على أن منح شيخهم كسوة، وبين يدي فاروق، وقف شيخ الصوفية يخطب عابداً شاكراً، فقال عن الكسوة: «إنها يا مولاي رمز لما أعطاك الله من مواهب، وعنوان لفيض من فيوضاته سبحانه على قلب فاروق الطاهر تكشف عن مدى طهر وضعه الله فيك، فصفت روحك الطيبة. وإن هذا التكريم للصوفية إنما هو قبس من قلبك النقي ينير لنا الطريق، ويهدينا سواء السبيل، فبك نستضيء، ومن هديك نسترشد، ومن روحك العالية نستمد الإلهام والهدي وإني إذ أتشرف بالوقوف بين يديك اليوم أقطع على نفسي عهداً وثيقاً أن أكون لجلالتك المخلص الوفي أمدك الله يا مولاي بروح من عنده، وألبسك حلة من مجده، وأيدك بجند من جنده، وأعانك بعونه وكفلك بعين رعايته» اقرأ الصحف الصادرة بتاريخ ٢٥ / ٣ / ١٩٤٧. فهل يذكر الصوفية؟! «بك نستضيء» تقديم الجار والمجرور يفيد قصر استضاءتهم على فاروق؟ فهل يذكرون؟ «من هديك نسترشد» هكذا؟ بتقديم الجار والمجرور؟ هذا معناه أن الصوفية لم تكن تهتدي بشيء إلا بهدي فاروق!!.

خاتمة

وإني – وقد ناضلت الصوفية بهدى الله – أعرف أن هذا النضال يثير عليَّ بَغْيَ أحقادهم، ويقف بي على شفا خَطَرٍ يَدْهَمُ بَغْتَةً منهم بجَوْره، غير أني أومن بهذه الحكمة الرائعة المؤمنة: «لأن يكونَ الناسُ جميعًا عَدُوًّا لي في الدنيا، خيرٌ من أن يكون الله وحده خصمي يوم القيامة» وأجعل من هذه الآية الكريمة مناراً لي ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) ﴾ [يُوسُف: ١١٠] هذا وعدُ الله لرسله، ووعده لأتباعِ رسله، فليتدبر الصوفية! ولْيَشْكُوا إلى النيابة ما شاءوا، فلن ترى النيابة فيمن يدلها على الجُناة جانيًا، ولا في رَدِّ العدوان عن كل مقدسات الدين والفضيلة، وقيَم الفكرِ جريمةً!، والصوفيةُ بَغْيٌ وفتنةٌ مجنونةُ الأحقادِ، غير أنها تختال عذراءَ طاهرة أَلَمَّ بها ظَنٌّ مرتابٌ، وملائكيَّة تُسَلْسِلُ الوحْيَ في فجر المحراب!.

ولن أضع القلم – وحسبي الله – إلا إذا أَصْمَيْتُ الصوفيةَ، وأدميت، أو إلاَّ إذا تهدمتُ أنا، أو قضيت!، فلن تخشى صَوْلَةُ الحق، سَوْرة الباطل، ولكن كل هذا لن يَمسَّ قلوبنا بحقد، ولا نفوسنا بضغينة، بل إنه ليرفع بأيدينا – ومن خلفها قلوبنا تحثها – في ضراعة خاشعة إلى الله أن يهب لنا، وللصوفية الإيمانَ الحقِّ، وأن يديهم سبحانه سبيل الإسلام.

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) ﴾ [آل عمران، ٨].

عبد الرحمن عبد الوهاب الوكيل

وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية

مراجع الكتاب ومصادره

- القرآن الكريم
- كتب السنة

٢ جامع الأصول في أحاديث الرسول

٣ دليل الفالحين شرح رياض الصالحين

٤ الجامع الصغير للسيوطي

- كتب تفسير

٥ تفسير ابن كثير

٦ تفسير ابن القيم

٧ تفسير الزمخشري

- كتب لغة

٨ القاموس المحيط

٩ معجم مقاييس اللغة لابن فارس

- كتب دينية إسلامية وغيرها

١٠ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية

١١ مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية

١٢ الْعَلَم الشامخ للمقبلي

١٣ حاشية الصاوي على الخريدة

١٤ العهد القديم

١٥ خلاص النفوس في الصلوات والطقوس

١٦ مكاتيب عبد البهاء

- كتب الصوفية

١٧ فصوص الحكم لابن عربي[١]
١٨ الفتوحات المكية لابن عربي
١٩ مجموعة رسائل ابن عربي طبع الهند
٢٠ مواقع النجوم لابن عربي
٢١ ذخائر الأعلاق لابن عربي
٢٢ ديوان عمر بن الفارض، طبع بيروت
٢٣ شرح الديوان للبوريني والنابلسي
٢٤ كشف الوجوه الغر للقاشاني
٢٥ الإنسان الكامل للجيلي
٢٦ تذكرة الأولياء للعطار
٢٧ الطواسين للحلاج
٢٨ أخبار الحلاج
٢٩ اللُّمَع للطوسي
٣٠ التعرُّف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي
٣١ قواعد الصوفية للشعراني
٣٢ اليواقيت والجواهر للشعراني
٣٣ الكبريت الأحمر للشعراني
٣٤ لطائف المنن للشعراني
٣٥ مطلع خصوص الكلم للقيصري
٣٦ إحياء علوم الدين للغزالي
٣٧ مشكاة الأنوار للغزالي

(١) اعتددنا بأربع نسخ بتحقيق الدكتور عفيفي
(٢) بشرح القاشاني (٣) بشرح جامي (٤) بشرح بالي افندي

٣٨ قوت القلوب لأبي طالب المكي
٣٩ جامع الأصول في الأولياء للكمشخانلي
٤٠ إيقاظ الهمم بشرح الحكم لابن عجيبة
٤١ الفتوحات الإلهية لابن عجيبة
٤٢ جواهر المعاني لعلي بن حرازم
٤٣ رماح حزب الرحيم لعمر بن سعيد
٤٤ الإبريز للدباغ
٤٥ تائية ابن عامر البصري
٤٦ النفحات الأقدسية لمحمد بهاء الدين البيطار
٤٧ القول الفريد لمحمد دمرداشي
٤٨ معرفة الحقائق لمحمد دمرداشي
٤٩ روض القلوب المستطاب لحسن رضوان
٥٠ مفتاح الفلاح لابن عطاء الله
٥١ المجموعة الدمرداشية
٥٢ بلغة المريد للبكري
٥٣ مجموعة الأحزاب طبع استامبول
٥٤ رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني
٥٥ منحة الأصحاب للرطبي
٥٦ الهبات المقتبسة لمحمد عثمان

- كتب مؤلفة عن الصوفية

٥٧ ابن الفارض والحب الإلهي للدكتور محمد حلمي
٥٨ الصوفية في الإسلام لنيكلسون
٥٩ في التصوف الإسلامي لنيكلسون
٦٠ الإنسان الكامل للدكتور بدوي

٦١ شطحات الصوفية للدكتور بدوي
٦٢ شهيدة العشق الإلهي للدكتور بدوي
٦٣ التصوف الإسلامي لزكي مبارك
٦٤ مشتهى الخارف الجاني للشنقيطي

- كتب التاريخ والتراجم والطبقات

٦٦ وفيات الأعيان لابن خلكان
٦٧ نفح الطيب للمقري
٦٨ ميزان الاعتدال للذهبي
٦٩ لسان الميزان لابن حجر
٧٠ طبقات الشافعية للسبكي
٧١ عجائب الآثار للجبرتي
٧٢ حضارة العرب لغستاف لوبون
٧٣ تاريخ العرب العام لسيديو
٧٤ تاريخ العرب العام لفيليب حتى
٧٥ مصر لأدولف إرمان
٧٦ المصريون المحدثون للمستشرق لين
٧٧ الحرب الصليبية الأولى لحسن حبشي
٧٨ فجر الإسلام لأحمد أمين
٧٩ لواقح الأنوار «الطبقات» للشعراني
٨٠ الرسالة للقشيري
٨١ طبقات الصوفية للسلمي
٨٢ الكواكب الدرية للمناوي
٨٣ طبقات الشاذلية للكوهني

- كتب فلسفة

٨٤ الفلسفة الشرقية لغلاب

٨٥ الفلسفة في الشرق لبول ماسون

٨٦ المدخل لجوتييه

٨٧ عقيدة الشيعة لرونلدسن

٨٨ العقيدة والشريعة لجولد زيهر

٨٩ مذاهب التفسير لجولد زيهر

٩٠ الفكر اليهودي جمع دكتور هرمس

٩١ التراث اليوناني للدكتور بدوي

- مراجع عامة

٩٢ مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده

٩٣ الكليات لأبي البقاء

٩٤ التعريفات للجرجاني[١]



(١) ملحوظة: لم نذكر تواريخ طبع هذه الكتب ولا أسماء مؤلفيها كاملة، إذ ذكرنا ذلك في متن الكتاب نفسه.

الفهرس

الموضـــــوع | الصفحة

الموضـــــوع | الصفحة

الموضـــــوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة